# التعريب

مَجلة نصف سنويّة مُحكَمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

المنظمة العربيّة للتربيَة وَالثقافة وَالعلوم

62

السنة الثانية والثلاثون
العدد الثاني والستون

ذو القعدة 1443 - حزيران (يونيو) 2022 م

# التعريب

# التعريب


**مجلة نصف سنوية**

**العدد الثاني والستون**

حزيران (يونيو) 2022



**المدير المسؤول:**

**المهندس محمد سامر القواص**

**المشرف على المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق**

**رئيس التحرير:**

**الأستاذ الدكتور محمود السيد**

**هيئة التحرير:**

**الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي**

**الأستاذ الدكتور قاسم طه السارة**

**الأستاذة الدكتورة زهيدة درويش جبور**

**الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليّل**

**الأستاذ الدكتور صالح بلعيد**

**الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني**

**الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد**

**الأستاذ الدكتور ميلود حبيبي**

## مجالات اهتمام المجلة

إن اهتمامات المجلة مركَّزة في الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وترجمة الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية.

وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكراً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

* تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
* بحوث مترجمة ودراسات في التعريب.
* التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
* من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
* عروض للجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
* الإعلام بالأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

**إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها**
**ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز**

***يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها راجع شروط النشر***

**التعريب**: مجلة **نصف سنوية** مُحَكَّمَة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

دمشق – ص.ب: 3752 – هاتف 3334876 / E-mail: acatap2@gmail.com - www.acatap.org

السنة الأولى: 1991 – دمشق ع **2022/6/15**

**الاشتراك: قيمة الاشتراك السنوي: داخل الوطن العربي: 25 دولاراً أمريكياً**

**خارج الوطن العربي: 35 دولاراً أمريكياً**

**قيمة النسخة الواحدة بدون أجور البريد 10 دولارات أمريكية أو ما يعادلها**

# في هذا العدد

* **افتتاحية العدد**..... VII-VIII

* **قواعد النشر في المجلة** ..... IX-XII

* **بحوث في التعريب**

- **التعريب بين دور العلماء ومسؤولية الدول العربية**..... **3**
  أ. د. محمود السيد
- **العربية بين التقديس والصناعة في العلم – تأملات في قضايا اللغة والتعريب** ..... **31**
  د. أحمد شحلان
- **طرق وضع المصطلحات العلمية عند العرب في مجال التعريب** ..... **51**
  د. محمد حسن عبد العزيز

* **بحوث في الترجمة**

- **الترجمة باللغة العربية** ..... **67**
  أ. د. سام عمار
- **نماذج توضيحية للإبداع في الترجمة** ..... **93**
  د. عادل داوود

- **ترجمة وتعريب العلوم نحو رقمنتها بتقنيات الذكاء الاصطناعي..... 117**
  أ. د. أيمن شاهين
- **أضرب الترجمة عند طه عبد الرحمن – القسم الأول ..... 157**
  د. زهير قوتال


*** بحوث في الحضارة العربية الإسلامية**


- **ابن رشد الفيلسوف العربي المسلم العظيم .. الذي زرع بذور النهضة الأوربية ..... 179**
  د. يعرب النبهان

# الافتتاحيـة

دأبت مجلة التعريب على أن تكون رائدة في الموضوعات التي تدرجها في كلّ عدد من أعدادها؛ لأنها التزمت الخطّ العلمي الأكاديمي الذي يقدم للباحث العربي والقارئ عامة مادة علمية متميزة، ولا سيما في الاختصاصات التي تتّصل بعنوانها، وهي الترجمة والتعريب.

من هنا كان هذا العدد الجديد الذي ناقش عدداً من القضايا المهمّة؛ وتخصّص أكثر في بعض الأبحاث التي نُشِرت والدراسات التي تتّصل بالترجمة والتعريب، ليكون ما في كل بحث إضافة أخرى متميزة؛ إذ تناول أحد الأبحاث قضية "التعريب بين دور العلماء ومسؤولية الدول العربية" وهو بحث تناول جانباً إضافياً على قضية التعريب، عندما خصَّ دور العلم بهذه القضية، إضافةً إلى دور المؤسسات الرسمية التى ترعاها دولها العربية، عسى أن نصل إلى المبتغى والهدف اللذين وضعتهما الدول نصب عينيها.

يبدو أنّنا ما زلنا نبحث عن الطّرق الصحيحة لوضع المصطلحات في البلاد العربية، وقد كثرت الأبحاث التي طالبت بهذا ومنها البحث المنشور في هذا العدد بعنوان "طرق وضع المصطلحات العلمية عند العرب" وكأنّ لدى الباحث أفكاراً جديدةً يريد طرحها، بعد أن اطَّلع على مَن تَقدَّمه.

هذا ما كان مختصاً بالتعريب، أمّا ما يتصل بالترجمة فقد ضمّ العدد بعض الأبحاث الخاصّة بها، نحو "الترجمة باللّغة العربية" وربما كان الهدف اطّلاع القارئ على اللّغة التي يجب اعتمادها في الترجمة، من حيث اللّفظ ومن حيث تركيب الجملة والأسلوب. ويتصل بهذا البحث بحث آخر عنوانه "نماذج التوضيحية للإبداع في الترجمة".. فقد أثبت صاحبه نماذج برأيه يجب أن تعتمد إذا ما أراد المترجم أن يقدّم نصاً مترجماً، وأكثر اختصاصاً من هذين البحثين البحث التالي "ترجمة وتعريب العلوم نحو رقمنتها بتقنيات الذكاء الاصطناعي" وهذا البحث المتشعّب المتميز

إن حقّق الأهداف التي وضعها صاحبه، فإنه لا شك سيساعدنا كثيراً في الأبحاث اللّغوية لنساير هذا التطور السريع اللاّفت الذي يصيب كل مرافق الحياة ومنها اللّغة.

وفي العدد مثال على أنواع الترجمة عند "طه عبد الرحمن" ومثل هذه الأبحاث تُلقي الضوء على جهود بعض الباحثين إذ أنّ التطبيق العلمي يرفد النظري كثيراً. ومن الموضوعات البعيدة عمّا سبق بل هي من حضارة العرب بحث عن ابن رشد، الذي يعتبره صاحب البحث هو من "زرع بذور النّهضة الأوربية".

ما من شك في أن من يطلع على نوعية أبحاث هذا العدد سيثني على جهود العلماء الذين رَفَدوا العدد بما نحتاج إليه، ونقول لولا هذا الغنى الذي تطلبه المجلة لما كان هذا الغنى المعرفي، فوصلنا جميعاً إلى ما نصبو إليه، والله من وراء القصد.

**الأستاذ الدكتور محمد ولد أعمر**
المدير العام للمنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم

# قـواعـد الـنـشر فـي المـجلـة

تنشر مجلة التعريب (مجلة مُحكَّمة – نصف سنوية) المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

1. ألاّ يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قُدِّما للنشر في أيٍّ من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه **تصريحاً خطياً** يفيد بأنه **لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.**
2. أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
3. ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستعمال برنامج مايكروسوفت word، ترسل نسختان الأولى بصيغة Microsoft Word والثانية PDF إلى بريد المجلة الإلكتروني إلى عنوان المركز التالي:

**acatap2@gmail.com**

مع مراعاة ما يلي:

أ. **ألاّ يتجاوز عدد صفحاتها /20 صفحة/** من الحجم العادي (6000 كلمة) ولا يقل عن **/7 صفحات/.**

**ب. أن تكون المادة خالية من الأخطاء الإملائية والنحوية واللغوية.**

**ج. ضرورة استعمال علامات الترقيم أصولاً.**

**د. أن تكون الجمل مترابطة ومتماسكة.**

4. تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه، مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة **بملخص وافٍ ودقيقٍ لها باللغتين العربية والإنكليزية بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.**
5. ترفق المادة المقدمة للنشر متضمنة:

**أ. اسم المؤلِّف الثلاثي بالعربية وبالحروف اللاتينية.**

**ب. نبذة مختصرة من سيرته.**

**ج. الصفة أو المرتبة العلمية، مثال (دكتور، أستاذ دكتور، باحث أكاديمي... الخ)**

**د. العنوان البريدي الكامل.**

**هـ. عنوان البريد الإلكتروني.**

**و. رقم الهاتف والجوّال.**

6. تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بثَبَتٍ للمصادر والمراجع المستعملة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.

7. تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها في مكانها في النص، وترسل أيضاً بملف أو ملفات منفصلة بحيث تكون واضحة، و**بدقة صالحة للطباعة أعلى من 200 dpi** بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة والحجم المناسب، على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص، مع ضرورة مراعاة حقوق الملكية الفكرية للشكل.

8. تُعَرَّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وَفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرِّب بها **في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث** أو المقالة المقترحة مِن قِبَله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9. تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لايتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:
   - أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.
   - أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.
   - ألاّ يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.
   - أن يَصْحَبَ العرضَ معلوماتٌ ببليوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.

10. يبلَّغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتَسَلُّم موادهم وبالموافقة المبدئية على النشر أو عدمها ، وذلك قبل صدور العدد الجديد بثلاثين يوماً.

11. تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكَّم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحوٍ سِرِّي، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها،

ومن ثَم صَلاحها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكَّمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المُحَكَّم.

12. يحق للمجلة – إذا رأت ضرورة لذلك – إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكَّم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.

13. يبلَّغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلُّمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة بردِّ المواد التي لا تنشر لأصحابها.

14. تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صَلاحها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.

15. لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر **إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير**، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم العدد وتاريخه الذي نشرت فيه المادة.

16. إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبِّر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17. تقدم المجلة للباحثين المشاركين في المجلة مكافأة مالية رمزية بقيمة **5 دولارات أمريكية (أو ما يعادلها في دولة المقر) عن الصفحة الواحدة والتي تحتوي على 300 كلمة**، وبحيث لا يتجاوز عدد صفحات البحث عشرين صفحة دون احتساب المراجع والملخص (حسب الفقرة 3– أ). وبذلك **تصل المكافأة إلى /100/ دولار أمريكي كحد أقصى (يمكن أن يتجاوزِ عدد الصفحات 20 صفحة في بعض الحالات لاستكمال الموضوع وحسب الأهمية).**

18. **تعتذر هيئة التحرير عن عدم نشر المقال الذي لا يلتزم بالشروط الواردة آنفاً.**

19. ترسل المواد وتوجه المراسلات **باسم المهندس محمد سامر القواص المشرف على المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر** إلى العنوان: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر دمشق – ص.ب: 3752 – هاتف: 3334876 – 11 – 963 + فاكس: 3330998 – 11 – 963 + / **البريد الإلكتروني:** E-mail: acatap2@gmail.com **الموقع على الإنترنت:** www.acatap.org – **الصفحة على فيس بوك:** المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر **http:**//www.facebook.com/Acatap.Damascus

**20. ملاحظات التنسيق:**

أ– أن يكون البحث مرقوناً على برنامج Microsoft Word ويفضل النسخة 2010.

ب– نوع الخط في المتن Simplified Arabic بحجم (14)، اتجاه الفقرة (عربي)، وتباعد أسطر (مفرد)، حجم خط العنوان الفرعي (15).

ج– نوع الخط في المتن للغة الأجنبية Times New Roman بحجم خط (13).

د– من الهام جداً الالتزام بكتابة الأرقام إن وجدت "**بالتنسيق العربي**" على الشكل التالي (....123)، وليس بالتنسيق الهندي. حجم الخط (13) في سياق الحروف العربية والأجنبية.

هـ– حجم خط الحواشي السفلية (11) وللأرقام (10).

و– الانتباه إلى وضع الفاصلة، والنقطة، وحرف الواو، ... الخ، بحيث تكون من أصل الكلمة بدون مسافة بينها وبين الكلمة كما هو موضح في الجدول التالي:

| الخطأ | الصواب |
|---|---|
| العربية . | العربية. |
| العربية ، | العربية، |
| العربية : | العربية: |
| و العربية | والعربية |
| العربية ؟ | العربية؟ |

| الخطأ | الصواب |
|---|---|
| العربية ! | العربية! |
| ( العربية ) | (العربية) |
| - العربية - | -العربية- |
| " العربية " | "العربية" |
| [ العربية ] | [العربية] |

# بحوث في التعريب

# التعريب بين واجب العلماء ومسؤولية الدول العربية

**أ. د. محمود أحمد السيد**
رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق
الجمهورية العربية السورية

**محتويات البحث:**

**أولاً – مدخل تعريفي**
**ثانياً– التعريب وواجب العلماء تجاهه**
**ثالثاً– التعريب ومسؤولية الدول العربية تجاهه**
**رابعاً– خاتمة**

نحاول في هذا البحث الموجز أن نتعرف مفهوم التعريب الذي نروم تحقيقه على المستوى القومي، وواجب العلماء نحو هذا التحقيق، وواجب الدولة ومسؤوليتها تجاه هذا الموضوع، لنخلص أخيراً إلى رسم بعض الصوى للنهوض بالواقع والارتقاء به.

## أولاً– مدخل تعريفي

التعريب لغةً مصدر للفعل «عرَّب»، وعرّب بمعنى أفصح وأبان، وعرَّب عن الرجل إذا تكلم بحجته، وعرَّب منطقه إذا هذَّبه من اللحن، ويقال عرَّبت له الكلام تعريباً إذا بيّنته له، وعرَّبه أي علّمه العربية، وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها.[1]

---

**(1) معجم لسان العرب** لابن منظور- الجزء الرابع- دار المعارف، ص 2865.

والتعريب اصطلاحاً إيجاد مقابلات عربية للألفاظ الأجنبية لتعليم اللغة العربية واستعمالها في ميادين المعرفة البشرية كافة.

والمقصود بالتعريب حالياً استعمال اللغة العربية على أنها اللغة الأم الموحِّدة والموحَّدة على الصعيد العربي للتعبير عن المفاهيم، واستعمالها في التعليم بجميع مراحله، والبحث العلمي بمختلف فروعه وتخصصاتها، واستعمالها لغة عمل في مؤسسات المجتمع العربي ومرافقه كافة.[2]

وتجدر الإشارة إلى أن التعريب اتخذ مفاهيم متعددة من قبلُ، فقد تداخل مفهوم التعريب مع مفهوم الترجمة، فتعرض قضايا فنية حول طبيعة اللغة وطاقاتها الدلالية والاستيعابية وآلياتها الذاتية، وحول إعداد المترجمين وتدريبهم.. الخ. وفي هذا الإطار تكون قضية التعريب قضية علاقات فكرية وثقافية باللغات الأخرى أي قضية عربية أجنبية.

وقد يعني التعريب تعريب لغة الإدارة الرسمية ويشمل ذلك أنواع النشاط المالي والتجاري والاقتصادي، وقد يعني تعريب لغة التعليم والعمل معاً في بعض الدول العربية التي كانت رازحة تحت الاحتلال الأجنبي واستقلت بعد ذلك.

والتعريب من جهة أخرى قد يعني كل ما يستوعبه المجتمع العربي ويحتويه في نسج حياته، مما يتلقاه بأي صورة من صور التلقي الفكري والمادي والاجتماعي من أهداف وقيم ووسائل، والانطلاق منه على أنه واقع جديد للتفاعل الجدلي إنتاجاً وعلاقات، أخذاً وعطاءً، تأثيراً وتأثراً، من رؤية متكاملة للحياة، وقدرة ذاتية على ممارستها.

والتعريب على هذا النحو هو قضية متعددة الأبعاد والوجوه والمستويات، فهو قضية قومية، وهو قضية دينية، وهو قضية مجتمعية، وهو قضية تربوية، وهو قضية أمن ثقافي، وهو قضية إبداع وابتكار، وقد سلّطتُ الأضواء على هذه القضايا في كتاب «في قضايا التعريب».[3]

---

(2) الدكتور محيي الدين صابر ـ **قضايا الثقافة المعاصرة**ـ الدار العربية للكتاب، تونس 1982، ص87.

(3) الدكتور محمود أحمد السيّد- **في قضايا التعريب**- المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ـ دمشق 2010 ص14.

وفي ضوء هذه الأبعاد والقضايا فإن التعريب يعني سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربي بما يوحّد المشاعر العربية ويجمعها حول تاريخها وواقعها ومصيرها، مما يجعله عاملاً جوهرياً في الخروج من دائرة التخلف السياسي المتمثل في التجزئة إلى حرية الوحدة العربية في الصورة التي تؤصل دور الأمة العربية التاريخي والمصيري، بحيث يعطي هذا المعنى الشامل للوحدة العربية مضمونها الحضاري المعاصر، ويعينها على كسر طوق التخلف والتحرر من أنواع التبعات الاقتصادية والتقانية «التكنولوجية» والثقافية. ومن هنا يكون للتعريب هدفان:

**أولهما**: إيجاد شخصية إبداعية عربية تمتلك القدرة الذاتية على إنتاج العلم وصناعة التقانة. وهذه القدرة ليس مناطها المعرفة العلمية وحدها، ولكن المناخ العلمي الذي يستدعي عدداً من الظروف المواتية لتملك القدرة الذاتية، وهي ظروف متعددة الجوانب، منها ما هو سياسي، ومنها ما هو تشريعي، ومنها ما هو تنظيمي، وما هو اجتماعي، وما هو ماليّ، وما هو في الأساس علمي.

و**ثانيهما**: هو القدرة على المشاركة والتفاعل من منطلق متميز، ذلك أنه يمكن للأمة العربية أن تسهم في الحضارة العالمية المعاصرة متجاوزة عقبات التخلف بضمّ قدراتها البشرية والعلمية والمادية، واستنبات علمها عربياً، وتوحيد استراتيجياتها تنموياً، وأن تضع تقانة عربية، وسبيلها إلى ذلك هو الإنسان الذي يتلقى علوم عصره بلغته، يتعلّم ويعلّم ويبحث بها، حتى يكون ذلك إغناء للثقافة العربية بين المتخصصين والمتعلمين وجماهير الشعب بما يوسّع من قاعدة المشاركة، وصنع الوعي بالتقدم، ودعم الشعور بالحاجة إليه، والإسهام في تطويره.[4]

ونخلص إلى القول إن التعريب لا يعني تمجيد الماضي، بل هو تأكيد الهوية، وتطلع إلى المستقبل في انطلاقة إبداعية جديدة تتفاعل مع الواقع وتفعل فيه، وتواكب التطور الفكري والعلمي، وتعمل على المشاركة في صياغة المستقبل الإنساني في أبعاده العلمية والتقانية من

**(4)** الدكتور محيي الدين صابر- **قضايا الثقافة العربية المعاصرة**- مرجع سابق ص 88.

خلال القيم الروحية والإنسانية التي كانت الأساس الراسخ لحضارتنا ونظرتنا إلى العالم.[5]

وهكذا نجد أن التعريب لا يمكن أن يعني الانغلاق ونحن في عصر التفاعل العالمي على مختلف المستويات، وتنوع الوسائل، ذلك لأن الدعوة إلى الانغلاق منافية لجوهر حضارتنا العربية الإسلامية.[6]

فالتعريب المقصود في بحثنا هو سيادة اللغة العربية على الصعيد العربي في مختلف قطاعات الدول العربية إعلاماً وتعليماً وتواصلاً ومراسلات وتفاهماً وجمعاً بين الأصالة والمعاصرة، وتحرراً من أنواع التبعيات الفكرية والاقتصادية والتقانية والثقافية حفاظاً على الذاتية الثقافية والهوية القومية، وإسهاماً في الحضارة العالمية المعاصرة متجاوزاً عقبات التخلف، واستنباتاً للعلم عربياً، وتوحيداً لاستراتيجياتها تنموياً بغية صناعة تقانة عربية.

## ثانياً- التعريب وواجب العلماء تجاهه

للعلماء دور كبير في مسيرة حركة التعريب، فهم القدوة في وضع المصطلحات العربية مقابل المصطلحات الأجنبية، وهم القدوة والمثال في الاستعمال اللغوي، وفي الحرص على سلامة اللغة العربية وتعميمها وانتشارها، وتيسير تعليمها وتعلمها، والارتقاء بالعامية إلى مصافّها، والإسهام في التوعية بخصائصها وسماتها ومزاياها على جميع الصعد، وفي تحقيق تراثها في مختلف ميادين المعرفة، وفي الترجمة إليها من اللغات الأجنبية ومنها إلى تلك اللغات، وفي الارتقاء بالمحتوى الرقمي العربي المصوغ بالفصيحة على الشابكة (الإنترنت). وفيما يلي تبيان لهذه الواجبات الملقاة على عاتقهم في أداء مهامهم.

**1- وضع المصطلحات العربية مقابل المصطلحات الأجنبية:** ويُعدُّ أداء هذا الواجب مسؤولية كبيرة يضطلع بها علماء الأمة تجاه لغتهم إغناءً لها ورَفْداً لها بالكلمات العربية، وبرهاناً على أن

---

**(5)** الدكتور محيي الدين صابر- **اللغة العربية مستودع الفكر العربي**- منشور في تعريب العلوم بين النظرية والتجربة الميدانية- التعاضدية العمالية للطباعة والنشر- صفاقس 1987 ص11.

**(6)** المرجع السابق.

لغتهم العربية وَلُودٌ تستجيب لمتطلبات الحياة، وتواكب روح العصر، عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا).

ولا يمكننا أن ننسى الجهود الكبيرة التي بذلها رجالات التعريب الأوائل في وضع المصطلحات العربية مقابل المصطلحات الأجنبية، فقد وقفوا أنفسهم لأداء عملهم بكل جدارة وكفاية وإتقان وتبتل على محراب العلم، فها هو ذا الدكتور حسني سبح يضع المصطلحات الواردة في الجملة العصبية، وتصدرها الجامعة السورية في معجم عام 1935، وها هو ذا الدكتور مأمون الحموي يضع معجم المصطلحات الدبلوماسية عام 1949، وها هو ذا معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور كلير فيل، وقد وضعه الدكتور مُرشد خاطر، والدكتور حمدي الخياط، والدكتور صلاح الدين الكواكبي عام 1956، وها هو ذا الدكتور الأمير مصطفى الشهابي يضع معجم المصطلحات الحراجية بلغاتٍ ثلاث هي العربية والإنجليزية والفرنسية عام 1962، ويضع الدكتور جميل صليبا عام 1971 المعجم الفلسفي باللغات الأربع العربية والإنجليزية والفرنسية واللاتينية، ويضع الدكتور نور الدين العتر معجم مصطلحات الحديث عام 1976.

وثمة معاجم أخرى وضعها علماء كل في مجال اختصاصه في الرياضيات والفيزياء وألفاظ الحضارة والعلوم التربوية والنفسية والجيولوجيا والبيئة... الخ.

وتجدر الإشارة إلى أن معاجم المصطلحات في مختلف ميادين المعرفة أمانة ومسؤولية يضطلع بها العلماء لمواكبة التدفق المعرفي الذي يزخر به عصرنا، إلا أن الهوة ما تزال بعيدة بين هذا التدفق المعرفي، وما ينجزه العلماء في وضع المصطلحات المتدفقة بغزارة وبخاصة في ميدان المعلوماتية وغيرها من الميادين العلمية.

ومن الملاحظ أن ثمة علماء لم يتعبوا أنفسهم في البحث والتنقيب والتفتيش في تراثنا العربي عن مقابلات المصطلحات الأجنبية على غرار النهج الذي كان يتبعه رجالات التعريب الأوائل، وها هم أولاء يدعون علانية إلى استعمال المصطلحات الأجنبية كما وردت في منأى عن الترجمة والمجاز والنحت، وأرى أن هذا المسار ثغرة في صرح لغتنا العربية الخالدة التي وسعت كتاب الله

لفظاً وغاية، وما ضاقت عن آيٍ به وعِظاتِ، على حدّ تعبير الشاعر حافظ إبراهيم.

فرجالات التعريب الأوائل اعتمدوا الترجمة من اللغات العالمية، ووضعوا خطة شاملة للتعريب، ورأوا أن تعريب الطب يجيء في مقدمة الأولويات، ووضع الأمير مصطفى الشهابي شروطاً لنقل المصطلحات إلى العربية متمثلة في:

1- تحري لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأعجمي، وهذا يقتضي أن نكون مطلعين اطلاعاً واسعاً على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعاجم العربية، وفي مختلف كتبنا العلمية القديمة.

2- إذا كان اللفظ الأعجمي جديداً، أي ليس له مقابل في لغتنا العربية، ترجمناه بمعناه إن كان قابلاً للترجمة أو اشتققنا له لفظاً عربياً مقارباً، ونرجع في وضع اللفظ العربي إلى الوسائل المتمثلة في الاشتقاق والمجاز والنحت والتركيب المزجي.

3- إذا تعذر علينا وضع لفظ عربي بالوسائل السابقة عمدنا إلى التعريب مراعين قواعده قدر المستطاع.(7)

وتجدر الإشارة إلى أن المعايير التي انتهجها العلماء العرب في وضع المصطلحات تتمثل فيما يلي:

1- وجود مناسبة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي.
2- تحرّي لفظ عربي يؤدي معنى اللفظ الأجنبي بطريق الاطلاع على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعجمات العربية، وفي مختلف كتب التراث العلمية.
3- ترجمة اللفظ الأعجمي الجديد الذي ليس له مقابل في اللغة العربية، أو وضع لفظ عربي مقارب له بطريق الاشتقاق أو المجاز أو النحت، وإذا لم يتيّسر ذلك فيعرّب.
4- تفضيل اللفظ العربي على اللفظ المعرّب القديم إلا إذا اشتهر المعرّب.
5- تفضيل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة إلا إذا شاعت.

---

**(7)** الدكتور مصطفى الشهابي- **المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث**- مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق ط2 1965 ص93.

6- تفضيل الكلمة الواحدة على كلمتين أو أكثر إذا أمكن ذلك.
7- الترجمة الحرفية إذا لم توجد كلمة واحدة.
8- الاقتصار على اسم واحد للمعنى العلمي الواحد في المجال الواحد.
9- تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به.
10- قبول اللفظ العربي السائغ.[8]

وأسهم علماء المجامع في الوطن العربي في إغناء اللغة العربية بالمصطلحات في مختلف ميادين المعرفة ولاسيما النباتية والطبية، فصاغوا للدلالة على الحرفة أو شبهها من أي باب من أبواب الثلاثي مصدراً على وزن (فِعالة) بكسر العين مثل: غِراسة، نِحالة..الخ، وصيغة «مَفْعَلة»قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي يكثر منه الأعيان سواء أكان من الحيوان أو من النبات أو الجماد مثل: مَلْبَنة، مَزْبَدة، مَبْقَرة. وصاغوا قياساً من الفعل الثلاثي على وزن مِفْعل ومِفعلة ومِفعال، للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء «مِبْضَع، مِمْلَسة»، وصيغة «فُعال» للدلالة على المرض مثل: زُهار، صُداع، كُساح، عُصاب...الخ، وصيغة (فعّال) للاحتراف مثل: زهَّار، نحَّال، وأجازوا النسبة إلى جمع التكسير مثل: أخلاقية، وظائفية، شعوبيّة، ملائكي...الخ. وفضلّوا استعمال كلمة واحدة في وضع المصطلحات، فكلمة «حديدة» نجدها في الفرنسية أربع كلمات «un morceau de fer»، وكلمة «مشى» نجدها ثلاث كلمات «il a marché». ووضع الأمير مصطفى الشهابي كلمة «أغرّ» العربية مقابل عبارة « marqué en tête» الفرنسية المؤلفة من ثلاث كلمات، ولم يعمل على ترجمتها حرفياً «معلّم في رأسه»، كما اجتهد العالم الدكتور صلاح الدين الكواكبي في استقراء بعض الصيغ في تراثنا، واقتراح توليد كلمات جديدة في ضوئها، ومن الصيغ التي أشار إليها صيغة «فَعَلان» للدلالة على الحركة والاضطراب مثل: غَلَيان، وهَيَجان، وصيغة «فُعالة» للدلالة على بقية الشيء مثل «ثُمالة، عُفارة»، وصيغة «مفعول» للدلالة على ألم في العضو المسمى به مثل «مَمْعُود، مكبود،

**(8)** الدكتور محمود أحمد السيّد- **الهاجس اللغوي**- وزارة الثقافة السورية- دمشق 2019 ص107.

ممغوص». وتجدر الإشارة إلى أن عمل العلماء في هذا المجال يتطلب تعاوناً من العاملين في قطاعات المجتمع كافة، وذلك لمدّ مجامع[9] اللغة العربية على أنها المرجعية العليا لشؤون اللغة العربية بالمصطلحات الأجنبية في مجالات عملهم بغية وضع البديل العربي المقابل لها، على أن تكون ثمة سرعة في وضع هذه الأبدال العربية حتى لا تسري الكلمات الأجنبية على الألسنة والأقلام، ويصبح من الصعوبة مَحوُها. وهذا ما لجأت إليه الحكومة السورية في تعميمها على جميع الوزارات والمؤسسات والشركات والاتحادات...الخ موافاة مجمع اللغة العربية بدمشق بالكلمات الأجنبية في مجالات عملها لتقوم بوضع الأبدال العربية المقابلة لها.

كما تجدر الإشارة إلى وجوب التزام علماء الأمة بالمصطلحات الموحدة على الصعيد العربي تلافياً للبلبلة التي تحدث في عدم الالتزام باستعمالها، وحرصاً على توحيد الفكر بين أبناء الأمة الواحدة في مختلف أصقاعهم.

**2- القدوة والمثال في الاستعمال اللغوي:** على العلماء أن يكونوا قدوة ومثالاً في استعمال اللغة الفصيحة في كتاباتهم ومناقشاتهم، ذلك لأن العالم تنخفض مكانته في نظر الآخرين إذا ارتكب الأخطاء اللغوية، ولحن في أثناء تعبيره الشفاهي والكتابي مهما يكن متمكناً من اختصاصه، ويزداد الأمر سوءاً إذا كان العالم من أعضاء مجمع اللغة العربية، وكان حرياً به أن يصحح أخطاء الآخرين لا أن يصحح الآخرون له خطأه.

وطالما لاحظنا مناقشات لرسائل الماجستير والدكتوراه في جامعات وطننا العربي تجري بالعامية وبالهجين اللغوي، وكان حرياً بأعضاء هيئات التدريس الجامعي أن يلتزموا استعمال العربية الفصيحة في أدائهم في منأى عن استعمال العربيزي والفرانكو آراب والعامية، وأن يكونوا قدوة ومثالاً أمام طلابهم في الاستعمال اللغوي السليم.

**(9)** الدكتور محمود أحمد السيّد- **في قضايا التعريب**- المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر- دمشق 2010 ص159.

**3- العمل على تيسير اللغة:**

من الملاحظ أن ثمة صيحات ارتفعت من هنا وهناك على الصعيد العربي داعية إلى تيسير استعمال اللغة في التعليم والإدارة والحياة العامة، وتحاشي التعقيدات وتذليل الصعوبات التي فرضها التزمُّت والتصنع والتقعُّر من فريق من اللغويين، مما أدى إلى صعوبات في استعمال اللغة وتعليمها وسيرورتها طيّعة على الألسنة والأقلام، «وليس فساد اللغة إلا أن تتحجر في مكانها، فلا تملك أن تُبِيْنَ عما تجيش به الحياة العقلية والاجتماعية على مر الزمن من أفكار وأحداث».[10] ويرى الأديب الكبير نجيب محفوظ أنه «لا يقضي على لغة مثل تقديسها والمحافظة على تراثها، ونحن نشعر نحو العربية بالقداسة باعتبارها لغة القرآن الكريم، ولكن القرآن سيظل هو القرآن، وستبقى لغته دون تغيير أو تحوير، تتلى علينا ليلاً ونهاراً، وتقرأ إذا قرئت مصحوبة بالهوامش المفسرة، فلا خوف بعد ذلك من أن تتمتع العربية بالحرية التي تحظى بها اللغات الحديثة التي تصير لغة عصرية بكل معنى الكلمة، وأن تستوعب جميع الأفكار، وجميع الأشياء».[11]

ولقد ألفينا أن العلماء انقسموا إلى فريقين **أولهما** محافظ يسعى إلى الإبقاء على اللغة العربية في جميع أنظمتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية لكي لا تتغيّر ولا تختلف، و**ثانيهما** **مُجدِّد** يروم الخروج على الأنظمة الثابتة.

وبين هذين العاملين تقع اللغة في صراع دائم، فإذا ما تمسكت بالقديم المحافظ وحده جمدت وتخلفت، وإذ ما فتحت صدرها للتغير من غير حدود ضاعت شخصيتها القائمة على الانتظام والاستمرار، وتعرضت للتشعب والاندثار.[12]

---

**(10)** محمود تيمور- مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة- الجزء التاسع ص32.
**(11)** وزارة الثقافة السورية- **فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية**- سلسلة آفاق ثقافية- دمشق 2003 ص206.
**(12)** الدكتور أحمد محمد قدور- **مدخل إلى فقه اللغة العربية**- دار الفكر بدمشق- 2010 ص257.

والواقع لا نريد للغتنا العربية أن تخضع لواحد من هذين العاملين دون الآخر، لأن في كل واحد منهما خطراً إذا ما استقوى واستبد، ويستوي هنا خطر الجمود الكامن في المحافظة والتزمت، وخطر الانحلال الماثل في التساهل والخروج على الضوابط، والحال السليمة للغة تخضع للتوازن بين هذين العاملين كي نصل إلى نوع من التطور الهادئ الذي يربط بالقديم وتراثه، ولا يرفض الجديد ومتطلباته.(13)

وما من عالم غيور على اللغة العربية يدعو إلى الخروج عن قواعدها وأنظمتها وقوانينها، إلا أن سنن الحياة تدعو إلى التجديد والتطور، ولا تخرج اللغة ما دامت كائناً حياً عن هذه السنن شريطة الحفاظ على تلك الأنظمة والقوانين والاستجابة إلى متطلبات العصر المتطور والمتوثب والمتغيّر في الوقت نفسه.(14)

ويمكن أن تتوجه الأنظار في مجال تجديد اللغة، وتيسير شؤونها إلى إغناء اللغة بمصطلحات جديدة اقتضتها ظروف الحياة وطبيعة العصر الحاضر، عصر العلوم والتقانة، وتتوجه الأنظار أيضاً إلى ميداني النحو والإملاء بعد أن نظر إليهما على أنهما من صعوبات اكتساب اللغة وتعليمها وتعلمها، وإلى ميدان البلاغة والتخفيف من مصطلحاتها وتفريعاتها، وقبول استعمال ألفاظ جديدة، وعبارات جديدة اكتسبت دلالات جديدة في حياتنا المعاصرة، والسعي إلى تنقية اللغة من ظاهرة الجنوسة، وإزالة التحيّز منها لمصلحة الذكورة، ولا يمكن إغفال العمل على تجديد اللغة في ميدان تعليمها وتعلمها، واستعمال الطرائق الحديثة في هذا الميدان.

وهكذا نجد أن واجب العلماء كبير في مجال تيسير اللغة، وتلك هي مسؤولية وأمانة في الحفاظ على قوانين اللغة وأنظمتها من جهة، والاستجابة إلى متطلبات العصر من جهة ثانية، وتحقيق التوازن بينهما.

---

**(13)** الدكتور محمود أحمد السيّد- **الهاجس اللغوي**- مرجع سابق ص105.
**(14)** المرجع السابق.

**4- الإسهام في تحقيق التراث في مختلف ميادين المعرفة، التراث الموجود على الأرض العربية، والموجود في خارج الأرض العربية:**

من واجب العلماء العرب تجاه حركة التعريب في البلاد العربية السعي الجاد والحثيث نحو تحقيق المخطوطات العلمية والأدبية، وفي مختلف ميادين المعرفة، ونفض الغبار عنها، والعمل على نشرها وتعميمها. ومن المعروف أن تراث أمتنا الحضاري يتسم بالغنى والتنوع، وأن منه ما هو موجود على الأرض العربية، وما هو موجود خارج الأرض العربية، فهنالك مليون مخطوطة عربية موزعة في أرجاء العالم، وتشير الإحصاءات إلى أن:

- في تركيا 155 ألف مخطوطة
- في روسيا 40 ألف مخطوطة
- في أمريكا 15 ألف مخطوطة
- في فرنسا 8500 مخطوطة
- في إيطاليا والفاتيكان 7500 مخطوطة
- في يوغوسلافيا 14 ألف مخطوطة
- في بريطانيا وسورية 20 ألف مخطوطة
- في الهند والسعودية 15 ألف مخطوطة
- في العراق والمغرب 35 ألف مخطوطة
- في تونس 25 ألف مخطوطة
- في اليمن 10.000 عشرة آلاف مخطوطة

وهذه المخطوطات تحتاج إلى تحقيقها، مع الأخذ بالحسبان أن على العلماء أن يميزوا بين الغث والسمين، وينتقوا ما يغذي العقل منها في عملية الفرز والتحقيق، إذ ليس كل ما ورد في التراث صالحاً للبقاء والحياة، ويضطلع معهد التراث العلمي العربي في جامعة حلب بسورية بمهمة الإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه في الميادين العلمية تحقيقاً ونشراً وإسهاماً في

حركة التعريب، كما أن على العلماء في الجامعات العربية الاهتمام بهذا الجانب، وأن يقوم كل منهم في مجال اختصاصه بإغناء هذا الموضوع، وذلك بالتنسيق مع زملائه المتخصصين.

**5- الإسهام في زيادة المحتوى الرقمي العربي المصوغ بالفصيحة على الشابكة (الإنترنت) ومراكز التواصل الاجتماعي:**

غني عن البيان أن ثمة فقراً في نسبة المحتوى الرقمي العربي على الشابكة، وأن ثمة استشراء للعامية المكتوبة بالأحرف اللاتينية، واستبدال الأرقام بالحروف العربية في الرسائل والدردشات، وبالهجين اللغوي (العربيزي والفرانكو آراب)، وعلى علماء الأمة مسؤولية الحدّ من طغيان هذه الظاهرة، وتعزيز مسألة استعمال الفصيحة السهلة والميسرة، ودعم مبادراتها على الشابكة، والإعلان عن مسابقات لزيادة المحتوى الرقمي العربي المصوغ بالفصيحة، وتقديم الجوائز للفائزين فيها على غرار ما قامت به الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية في سورية بالإعلان عن مسابقة «الكندي» على الصعيد العربي، وتكريم الفائزين فيها بإشراف السيدة نائب رئيس الجمهورية الأستاذة الدكتورة نجاح العطار، وكان الفائز في المرتبة الأولى موقع في تونس، وفي المرتبة الثانية موقع في مصر، وبالثالثة موقع في سورية.

**6- الإسهام في الترجمة:**

تشير الإحصاءات أيضاً إلى أن ثمة ضعفاً في الترجمة في البلاد العربية، وأن هناك خللاً في حجم الترجمة بين الدراسات الإنسانية الاجتماعية والأدبية، والدراسات العلمية، وأن على العلماء واجب إغناء الثقافة العربية في مختلف ميادينها بالترجمة عن اللغات العالمية، ونقل الجوانب الإيجابية المشرقة من تراثنا العربي إلى اللغات الأجنبية، وعلى عاتق الأطر الجامعية في الجامعات العربية، والمعاهد العربية تقع مسؤولية القيام بهذا العبء بالتنسيق والتعاون مع الأطر العاملة في مراكز الترجمة، ومؤسساتها على الصعيد العربي. وثمة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ينهض بأعباء ترجمة أمهات الكتب العلمية الطبية، والهندسية، والبيئية، والنباتية، والعلوم الإنسانية..الخ، وهو في أمسّ

الحاجة إلى الدعم لينجز رسالته في تعزيز حركة التعريب في البلاد العربية.

**7- الإسهام في الوعي اللغوي:**

ما من عالم منتمٍ إلى أمته إلا ويعتز أيما اعتزاز بلغته، وعلى العلماء العرب أن يفخروا كل الافتخار بلغتهم العربية ذات الأبعاد المتعددة على جميع الصعد، فهي لغة القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم آيةً لنبوته، وتأييداً لدعوته، ودستوراً لأمته، وهي حاملة التراث العربي، والحديث النبوي الشريف، والثقافة العربية في مختلف ميادينها، وهي الموحِّدة والموحَّدة على الصعيد العربي، والرابطة التي تربط بين أبناء الأمة العربية الواحدة.

للضاد ترجع أنساب مفرّقة فالضاد أحسن أم برّةٍ وأبِ

تفنى العصور، وتبقى الضاد خالدةً شجاً بحلق غريبِ الدار مغتصبِ

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي إذ يقول:

ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ بيانٌ غير مختلف ونطقُ

ولغتنا العربية هي هويتنا، ووطننا الروحي، ورحم الله الشاعر نزار قباني القائل:

إني أحبك كي أبقى على صلةٍ بالله بالأرض بالتاريخ بالزمن

أنت البلادُ التي تعطي هويتها من لا يحبك يبقى دونما وطنِ

وعلى علماء الأمة واجب صون العربية الفصيحة من جهة، وتثقيف أبناء الأمة بأهمية اللغة، ودورها، ووظائفها، وبأن اللهجات العامية عامل تفريق بينهم، في حين أن الفصيحة هي عامل توحيد، وبأن أعداء الأمة يرومون ابتعاث ما يفرّق، ووأد كل ما يوّحد، واللغة هي في مقدمة عوامل التوحيد، ولذلك كانت محلّ سهامهم ومحطّ مؤامراتهم وكيدهم، ومن المؤلم حقاً أن يكون نفر من أبناء الأمة يُنفِّذون بأيديهم ما عجز الاستعمار عن تنفيذه من قبلُ في إبعاد العربية،

واعتماد الأجنبية في تعليمهم وبعض شؤون حياتهم.

ومن هنا كان على علماء الأمة الغيورين والمنتمين والعقلاء أن يسهموا أيما إسهام في عملية الوعي اللغوي قولاً وفعلاً وسلوكاً وفكراً ونزوعاً وأداءً، انطلاقاً من مسألة أن لغتنا العربية هي مسألة وجود وقضية وهوية.

**8- العمل على الارتقاء بالعامية إلى مصافّ الفصيحة:**

طالما أثيرت مسألة استعمال العامية والفصيحة في الواقع الثقافي والإبداعي، وثمة من دعا إلى استعمال العامية في الأعمال القصصية والروائية والمسرحية، وظهرت بعض الأعمال في هذا السياق، وكان لعميد الأدب العربي الدكتور طه حسين رأي رزين تجاه هذا الموضوع عندما عقّب على لغة القصص التي كتبها الأديب الكبير نجيب محفوظ إذ يقول: «إن روعة قصص نجيب محفوظ تأتي من لغتها، فهي لم تكتب بالعامية المبتذلة، ولم تكتب بالفصحى القديمة التي يشق فهمها على أوساط الناس، وإنما كتبت بلغة وسطى يفهمها كل قارئ مهما يكن حظه من الثقافة، ويفهمها الأُمِّيون إن قرئت عليهم، وهي مع ذلك لغة فصيحة نقيّة لا عوج فيها ولا فساد، وقد تجري فيها الجملة العامّية أحياناً حين لا يكون منها بُدّ، فيحسن موقعها، وتبلغ منك موقع الرضا».[15]

والواقع إذا وردت عبارة بالعامية في أثناء السرد القصصي والروائي والمسرحي، وكان لابدّ من توضيح فكرة أو التعبير عن موقف شعبي فلا ضيرَ من استعمال هذه العبارة كما أوضح ذلك السيّد العميد. أما الأمر المستهجن فهو أن يتخلى الأديب والعالم عن الرسالة المنوطة بهما في الارتقاء بلغة الجمهور ذائقة وفكراً ووجداناً ولغة، ذلك لأن العاميات تختلف في دلالة معانيها بين قطر عربي وآخر، لا بل تختلف حتى في القطر الواحد بين محافظة وأخرى.

**(15)** الدكتور نصر عباس- **تأثير العاميات في الواقع الثقافي والإبداعي**- قراءة حول واقع العاميات في الرواية المصرية- مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة عام 2018 ص26.

ولقد حسم مجمع اللغة العربية بدمشق هذا الموقف عندما أكدّ في بيان صادر عنه خطورة تحويل اللهجات العامية من المستوى الشفهي إلى المستوى الكتابي، وفرَّق بين الدراسات اللغوية التي تتناول العامية موضوعاً للدرس والتحليل خدمة للفصيحة، وبين الدراسات التي ترمي إلى تقعيد العامية وترسيخها. كما أكدّ خطورة تقعيد اللهجات العامية، ووضع أنظمة نحوية وصرفية لها لأن هذا مُؤْذِنٌ بتحويلها إلى لغات مستقلة، وهذا ما يؤدي بدوره إلى سلخ الإنسان العربي عن هويته وتراثه. وعدّ المجمع أخيراً أن تشجيع العاميات رِدَّة قومية ونكسة وحدوية يقف وراءها دعاة التجزئة وتمزيق الأمة العربية.(16)

وهكذا نجد أن واجب العلماء تجاه التعريب متعدد الأبعاد والمقاصد، وأن عليهم مسؤولية كبيرة تجاه لغتهم الأم لابدّ أن ينهضوا بها بكل كفاية وجدارة وأمانة.

**(16)** الدكتور محمود أحمد السيّد- **الهاجس اللغوي**- مرجع سابق ص 199.

**ثالثاً– التعريب ومسؤولية الدول العربية تجاهه**

غنيٌ عن البيان أن دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة الرسمية في كل دول عربية إنما هي اللغة العربية، وأن رؤساء الدول العربية وملوكها وأمراءها أقسموا اليمين على احترام الدستور، وتطبيق القانون، إلا أنهم لم يجسّدوا هذا الاحترام على أرض الواقع استعمالاً للغة البلاد سليمة على الألسنة والأقلام في كلماتهم، وخطبهم، وتعاميمهم، وقراراتهم، ومناقشاتهم، وبلاغاتهم، وهم يحاسبون الآخرين على تجاوزهم حدودهم في عدم الالتزام بسلامة لغتهم واحترام حرماتها، فإذا نحن نلاحظ أن ثمة نغمات نشاز تدعو إلى استبعاد العربية، واعتماد اللغة الأجنبية في العملية التعليمية التعلمية على أنها لغة كونية، وقد تجاهل مُطْلِقوها مكانة لغتهم الأم في مسيرة الحضارة البشرية، وأنها بين اللغات الست المعتمدة في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، وسمعنا هذه المعزوفات تنطلق من أعضاء مجامع لغة عربية ماضياً وحاضراً،[17] «فابتلينا – نحن العرب– بإهمال لغتنا وبغرورنا أن سواها أعمق وأبهى وأفتى وأقرب إلى مقوّمات الحضارة الحديثة، والنتيجة صغرنا في أنفسنا دون أن نكبر في أنفس الحاكمين حتى صرنا لا ننتمي لبيان عربي ولا لبلاغة عربية» على حدّ تعبير الدكتور كمال يوسف الحاج في كتابه «في فلسفة اللغة»[18]. فها هو يصرّح قائلاً: «لا أبالغ إذا قلت إن معظم مشكلاتنا الاجتماعية سببه التنازل عن واحدنا الأحد، عن تاريخنا الواحد، عن لساننا الواحد، عن أرضنا الواحدة، عن تراثنا الواحد، عن إرادتنا الواحدة. وليس في العالم شعب يريد إدخال عفاف على عفافه، إذ إن كل أمة عزيزة الجانب، أبية الخلق، ثابتة الإرادة تقدّم لغتها على لغة سواها، ولا تتناول الأشياء الأخرى إلا من بعد أشيائها القومية، أي من وراء حدودها الوطنية». [19]

**(17)** الدكتور محمود أحمد السيّد- **الهاجس اللغوي**- مرجع سابق ص49.
**(18)** الدكتور كمال يوسف الحاج- **في فلسفة اللغة**- دار النهار- بيروت 1967 ص6.
**(19)** المرجع السابق.

وعلى الدول العربية مسؤوليات جسام تجاه لغتها، والعمل على سيرورتها وانتشارها والحفاظ على مكانتها، وتتجلى هذه المسؤوليات فيما يلي:

**1- إصدار القرار السياسي وكفانا تأجيلاً وتسويفاً:** إذا ألقينا نظرة على واقع التعريب في البلاد العربية، فإننا نلاحظ أن ثمة تلكؤاً في إصدار القرار الحاسم لسيادة اللغة العربية على الأرض العربية تعليماً وإعلاماً وتواصلاً عبر الكلمة المسموعة والمرئية والمطبوعة، إذ يدل الواقع في الدول العربية على التراخي في اعتماد العربية في التعليم الجامعي ما عدا سورية التي اعتمدتها في التعليم، وشؤون حياتها بعد حصولها على استقلالها، وكان للمجمع العلمي العربي في دمشق الذي أنشئ عام 1919 دور كبير في مدّ الجامعة السورية بالمصطلحات العلمية، وفي تعريب دوائر الدولة ومؤسساتها، كما كان لقانون حماية اللغة العربية الصادر في خمسينيات القرن الماضي دور هو الآخر في تعزيز حركة التعريب ومسيرته.

أما في وقتنا الحالي فلا نجد سوى الإهمال من أغلب الدول العربية، وترك الأمور تتطور كما كتب لها، فليس هناك قرار تعريب جدّي في الوطن العربي، ولا قرار مضادّ على حدّ تعبير الدكتور عبد الله العروي، إذ يقول: «ولما كان إهمال الأمور يعني في الحقيقة استمرار التخلف والتبعية والأمية، فكل قرار يستهدف التقدم والتطور يتساوى منطقياً مع قرار التعريب، فمضمون القرارين واحد، هو سياسة قومية تخطط لمستقبل عربي. ولما كان مشكل التعريب قائماً حتى الآن، فهذا دليل على أن القرار الوحدوي لم يتخذ فعلاً في الكيان العربي. أما السلطات الخاضعة لمنطق الإقليمية فإنها لن تجرؤ على تبني الإصلاح، لأنها تعتمد الازدواجية سياسة، فهي تحافظ على اللسان القديم لتكسب قدراً من الشرعية، وتفسح في المجال لنشر لسان أجنبي لتحقيق قدر من التحديث، وتترك الحرية للهجات لتضمن قدراً من الاستقلال الداخلي. ومن هنا فإن الواجب يقضي على العرب ليفكروا بكيفية حديثة مع أنفسهم وبلسانهم، لا مع غيرهم بلسان الغير فقط».**(20)**

**(20)** الدكتور عبد الله العروي- **ثقافتنا في ضوء التاريخ**- المركز الثقافي العربي- بيروت- الطبعة الثانية سنة 1988 ص28.

وتجدر الإشارة إلى أن احترام اللغة هو من احترام الذات، ومن تجليّات الاعتزاز بالانتماء، ولغتنا العربية لم تهزم، لكن أبناءها هم المنهزمون عندما تخلّوا عنها، والعجيب أن السلطات الحاكمة في الدول العربية، والمسؤولين، وأغلب مؤسسات المجتمع تقف متفرجة ومحايدة تجاه هذا الانتحار اللغوي على حدّ تعبير فهمي هويدي، الذي يرى أن تدهور أحوال اللغة العربية، والازدراء بها ما هو إلا تعبير عن الهزيمة الحضارية، وقديماً قيل: إنّ اعوجاج اللسان دلالة على اعوجاج الحال، وهو الأمر الذي إن صح، فإنه يدل على أن المشكلة ليست في ألسنة اعوجَّت، ولغة تدهورت، وإنما هو استسلام للهزيمة والانكسار، وشعور باليأس من الحاضر والمستقبل».[21]

ولو ألقينا نظرة على توصيات مؤتمرات التعريب التي عقدتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو) لوجدنا أنه ما من مؤتمر عقد إلا وكان يشتمل على إصدار القرار السياسي في إحدى توصياته، وحتى الآن لم يصدر القرار السياسي، مع الأخذ بالحسبان أن وزراء الصحة العرب، ووزراء التعليم العالي العرب، وعمداء كليات الطب في الجامعات العربية، أوصوا في اجتماع عقدوه في دمشق في ثمانينيات القرن الماضي أن يعرّب الطب في كليات الطب في الجامعات العربية تعريباً كاملاً في عام 2000، وها نحن أولاء وبعد مضي عقدين على الموعد الذي كان مقترحاً نرى أن الوضع ازداد سوءاً، وأن ثمة صيحات تنطلق في بعض المؤتمرات والندوات داعية إلى التجريب في تدريس مجموعة من الطلبة باللغة العربية، وتدريس مجموعة أخرى باللغة الأجنبية، لنتبيّن فاعلية أيٍّ من الطريقتين أجدى في تحصيل الطلبة، علماً بأن ثمة قرناً كاملاً مضى على تدريس الطلبة الطب باللغة العربية في الجامعات السورية، وها هم أولاء خريجوها يَبُزُّون أقرانهم من أبناء الدول العربية الأخرى الذين درسوا باللغة الأجنبية، ويتبؤون أرقى المناصب الأكاديمية في المشافي الأوربية والأمريكية، وقد درسوا الطب في إجازاتهم الجامعية باللغة العربية، وآن للسلطات الحاكمة في الدول العربية أن تعترف بالحقيقة، وأن تقتدي بالدول الأخرى كبيرها وصغيرها في التدريس بلغتها الأم، وها هو ذا الكيان الإسرائيلي الغاصب والمحتل

**(21)** فهمي هويدي- **لغتي هويتي**- مدونة تعنى بشؤون اللغة العربية- أهوتك إيه؟ مايو 2009.

يعمل على إحياء لغته العبرية الميتة منذ ألفي عام، ويعيدها إلى الحياة، لتتبوأ مكانتها في العملية التعليمية التعلمية بدءاً من رياض الأطفال حتى الدراسات العليا في الوقت الذي نرى فيه جنوح الدول العربية إلى استبعاد لغتهم الأم من العملية التعليمية التعلمية في بعض الجامعات الرسمية والخاصة، وامتد هذا الاستبعاد إلى مدارس التعليم الأساسي الخاصة في بعض المواد، وها هي ذي اللغة الإنجليزية تهيمن في دول الخليج العربي، واللغة الفرنسية تهيمن في دول المغرب العربي، وحقق الاستعمار بيد نفر من أبناء الأمة العربية ما كان قد عجز عن تحقيقه من قبلُ إبان احتلاله للدول العربية.

**2- قضية اللغات الأجنبية في العملية التعليمية التعلمية:**

إنّ طبيعة العصر، عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا) تحتم على الدول العربية أن تواكب روح هذا العصر، وتقتضي هذه المواكبة إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب إتقان لغة الأمة العربية الفصيحة على أن تعلّم مواد المعرفة كافة باللغة العربية إلى جانب تعليم لغتين أجنبيتين في مرحلتي التعليم الأساسي والثانوي، ويمكن أن تكون ثمة مناهج إثرائية في المواد العلمية باللغة الأجنبية إلى جانب المناهج التي تدرّس بالعربية، وفي التعليم الجامعي تدرّس المقررات باللغة الأم ما عدا مقررين اثنين يدرّسان باللغة الأجنبية. وفي فروع الجامعات الخاصة الأجنبية على الأرض العربية على الدول العربية أن تدرّس طلابها العرب تاريخ أمتهم وجغرافيتها بالعربية على أن يكون مقرراً إجبارياً على هذه الشريحة من الطلبة.

**3- التعميم على الوزارات والمؤسسات والاتحادات والنقابات والشركات والجمعيات والقطاع الخاص لاستعمال اللغة العربية الفصيحة في ندواتها ومراسلاتها واجتماعاتها، ومناشطها، ومتابعة التنفيذ:**

على الدول العربية مسؤولية التعميم على جميع الوزارات ودوائرها والمؤسسات والاتحادات والنقابات والجمعيات الأهلية والقطاع الخاص والشركات التجارية والخدمية والسياحية والصناعية لاستعمال اللغة العربية الفصيحة في مناشطها كافة، ندوات ومراسلات واجتماعات ولافتات

وإعلانات، ومتابعة إنفاذ هذه التعاميم.

**4- إصدار القوانين الرامية إلى حماية اللغة العربية:**

ما دامت اللغة وطناً، فما من وطنٍ إلا ويحتاج إلى حماية ودفاع عنه، وعلى الرغم من أن عدداً من الدول العربية كان قد أصدر قوانين لتوفير الأمن اللغوي كقانون حماية اللغة العربية في سورية عام 1952، وقانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية في العراق عام 1977، وقانون حماية اللغة العربية في الأردن عام 2015، وقانون حماية اللغة العربية في قطر عام 2017، وقانون تعميم استعمال اللغة العربية في الجزائر عام 1992، إلا أن هذه القوانين تحتاج إلى متابعة لإنفاذ موادها على أرض الواقع، إذ ما تزال الأمور تترنح في مكانها، وما يزال الوضع اللغوي يعاني القصور في أدائه إن على المستوى الجامعي أو ما قبله، أو على المستوى الإعلامي والإعلاني، أو الرقمي العربي، أو على مستوى مواكبة روح العصر وتوفير المقابلات العربية للتدفق المعرفي في جميع ميادينه.

**5- الإسهام في تعليم اللغة العربية لأبناء الجاليات العربية في المهاجر، ولغير أبنائها ممن يرغبون في تعلم اللغة العربية إن في داخل الدول العربية أو في خارجها:**

وهذه مسؤولية كبيرة على الدول العربية أن تقوم بها، وتوفر مستلزماتها ومتطلباتها، وأن تحذو حذو الدول الكبرى التي تربط أبناءها بلغتهم الأم، ومن ثمّ تعمل على نشرها على الصعيد العالمي، وتفتح المراكز في خارج بلدانها لتعليم لغتها ونشر ثقافتها. ومن الملاحظ أن نفراً من أبناء الجاليات العربية في المهاجر لا يعرفون لغة آبائهم وأجدادهم، وهذه ثغرة كبيرة تعانيها لغتنا العربية مع أبناء المهاجرين وأحفادهم، وهذا لا نجده عند الأقوام المهاجرة الأخرى ويا للأسف! وما على الدول العربية إلا أن تربط أبناء المهاجرين بوطنهم وتراث أمتهم ولغتها وثقافتها وقضاياها، وأن تبذل كل إمكاناتها في هذا السبيل.

**6- إقامة دورات لتعليم اللغة العربية لغير أبنائها ممن يعملون على الأرض العربية:**

ونجد هذه الظاهرة في دول الخليج العربي، إذ إن جنسيات مختلفة تعمل في دول الخليج دون أن تعرف اللغة العربية، ولا تقوم دول الخليج بإقامة دورات لتعليم هؤلاء العاملين على أراضيها من هنود وباكستانيين وغيرهم لغة البلاد العربية، لا بل يتنازل الخليجيون عن لغتهم، ويحدثون هؤلاء الأجانب بلغتهم، والأخطر من هذا أن العائلات الخليجية تضع أطفالها بين أيدي المربيات من هذه الجنسيات غير العربية، ولنا أن نتصور حال هؤلاء الأطفال، وكيف ستكون تربيتهم؟

وما دام هؤلاء العمال الأجانب في أمسِّ الحاجة إلى العمل على الأرض العربية، فإن عليهم أن يتعلموا لغة البلاد التي يعملون فيها، وعلى الدول أن تعمل على توفير هذا التعليم لهم إذا كانت تعتز بلغتها العربية، وتسهر على مستقبل أطفالها.

**7- إلزام ممثلي الدول العربية باستعمال اللغة العربية في المحافل الدولية:**

ما دامت اللغة العربية من بين اللغات العالمية الست المعتمدة في الأمم المتحدة فلا مسوّغ أبداً لأن يتحدث ممثلو الدول العربية في الأمم المتحدة، وفي المنظمات التابعة لها (اليونسكو، اليونسيف، الصحة العالمية، البنك الدولي..الخ) باللغة الأجنبية، ولا يمكننا أن نتصور نظرة الآخرين إلى هؤلاء الممثلين الذين هجروا لغتهم الأم المعبِّرة عن هويتهم وحضارتهم وثقافتهم، واستبدلوا بها لغة أجنبية، ورحم الله شاعرنا الكبير أبا الطيب المتنبي القائل:

ومن جهلت نفسُه قَدرَه يرى غيره منه ما لا يرى

**8- استعمال العربية في المؤتمرات والندوات التي تعقد على الأرض العربية، مع الترجمة إلى الأجنبية إذا كان ثمة أجانب يشاركون فيها:**

لوحظ في السنوات الأخيرة أن هنالك مؤتمرات وندوات تعقد على الأرض العربية، وتستعمل فيها اللغة الأجنبية، ولا مسوّغ أبداً لاعتماد اللغة الأجنبية في هذه المؤتمرات والندوات مادامت تعقد على الأرض العربية، ويشارك فيها ممثلو الجهات المعنية في الدول العربية، ولا مانع من

استعمال الترجمة إلى الأجنبية إذا كان ثمة أجانب يشاركون في هذه المؤتمرات والندوات. أما أن تستعمل الأجنبية وتستبعد العربية، فإن هذا الأسلوب ينافي سيادة الدول العربية، ويحط من قدر لغتها ومكانتها، وعلى الدول العربية أن تأخذ بالحسبان هذه الظاهرة، وأن تكون حريصة على استعمال لغتها العربية في أعمال هذه المؤتمرات والندوات والملتقيات.

**9- التعاقد مع الشركات الأجنبية لإرفاق الترجمة العربية لاستعمال الأجهزة والوسائل والتقنيات وصيانتها على غرار الترجمة إلى العربية في مجال الأدوية المستوردة:**

على الدول العربية في تعاملها مع الدول الأجنبية، وفي مذكرات التفاهم التي تجريها معها في المجالات التجارية والخدمية والصناعية والسياحية، أن ترفق الشركات الأجنبية التي تتعامل معها الترجمة العربية لاستعمال الأجهزة والوسائل والتقنيات وصيانتها على غرار الترجمة إلى العربية في مجال الأدوية المستوردة، ومن البدهي أن تقبل الدول الأجنبية هذا المنحى ما دامت تعمل على تصدير منتجاتها إلى أسواق الدول العربية، على أن تكون المراسلات أيضاً بين الدول العربية والدول الأجنبية وشركاتها ومؤسساتها باللغتين العربية والأجنبية.

**10- احترام لغات الفئات الخاصة على الأرض العربية، والسماح لها بتعليم لغتها الأم لأبنائها إلى جانب لغة الأمة العربية الفصيحة:**

ثمة فئات على الأرض العربية لها لغتها الخاصة بها كالأرمينية والشركسية والكردية والأمازيغية...الخ. وغني عن البيان أن أمتنا العربية من قبلُ قد احترمت اللغات الأخرى، وترجمت منها إلى العربية، وعلى الدول العربية حالياً أن تحترم هذه اللغات أيضاً، وأن تقدر أصحابها، وأن تمنحهم حق تعليم أبنائهم لغتهم الخاصة بهم، على أن يعتمدوا لغة الأمة العربية الفصيحة على الصعيد الوطني والعربي، إلى جانب لغتهم الأم، ما دامت العربية هي اللغة الموحِّدة والموحَّدة على صعيد الأمة. أما أن تكون تلك اللغات بديلاً عن العربية، اللغة الرسمية في الدولة، فهذا يتنافى ومبدأ الوحدة الوطنية والقومية لأبناء الأمة كافة.

**11- السعي إلى زيادة المحتوى الرقمي العربي على الشابكة ومراكز التواصل الاجتماعي:**

وهذه مسؤولية على الدول العربية أن توليها الاهتمام للارتقاء بواقع هذا المحتوى الذي أشارت الإحصاءات إلى تدني نسبته على الشابكة، ومراكز التواصل الاجتماعي، وعلى وزارات الاتصالات والتقانة في الدول العربية أن تدعم هذا التوجه، وتوليه رعايتها، بحيث تشجّع المبادرات الإيجابية لزيادة نسبة المحتوى الرقمي العربي المصوغ بالفصيحة على الشابكة، ومراكز التواصل الاجتماعي، وتعلن عن المسابقات في هذا المجال، وتكرّم الفائزين فيها.

**12- دعم الاستثمار في اللغة العربية على أنه ثروة قومية في عالم المعرفة:**

ثمة رغبة في الدول الإسلامية غير العربية لتعلم اللغة العربية بغية فهم الرسالة الإسلامية قرآناً عربياً، وحديثاً نبوياً شريفاً، وتراثاً...الخ، وعلى الدول العربية تحمل مسؤولياتها في هذا الصدد، وتوفير مستلزمات العملية التعليمية التعلمية برامجَ وكتباً وأطراً تعليمية. وهنا يجيء الاستثمار في اللغة العربية على أنه ثروة قومية في عالم المعرفة، ووسائل التواصل الحديثة، ويُدِرُّ هذا الاستثمار عوائد على الدول العربية. ولا يكون هذا الاستثمار في الدول الإسلامية وحدها، وإنما يكون على الصعيد العالمي أيضاً ما دام ثمة أجانب يرغبون في تعلّم اللغة العربية.

**13- الاهتمام بالوعي اللغوي:**

على المسؤولين في الدول العربية التحلي بالوعي اللغوي لتنفيذ القوانين والتعاميم والبلاغات والقرارات الرامية إلى صون اللغة العربية وحمايتها، وأن يعملوا على توفير الندوات والمحاضرات، ومستلزمات إنجاح هذا المسعى، وأن يتحلوا بالإرادة والشعور العالي بالمسؤولية لتنفيذ التوصيات المنبثقة عن هذه المؤتمرات والندوات والمحاضرات، ذلك لأن الوعي اللغوي لدى من بيدهم قرارات التنفيذ، عامل هام في إنجاح مسيرة التعريب.

**14- دعم الترجمة إلى العربية ومنها إلى اللغات الأجنبية:**

تسهم الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية أيما إسهام في دعم حركة التعريب، وإغناء الثقافة العربية في مختلف الميادين، وعلى الدول العربية أن تخصص الميزانيات الكافية في وزارات التعليم العالي في البلاد العربية، وفي وزارات الثقافة لترجمة أمهات الكتب، وأن تعد ترجمة الكتب شرطاً من شروط الترقية لأعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات إلى جانب التأليف، والبحوث، والإشراف على الرسائل الجامعية.

وعلى الدول العربية أيضاً أن تقدم الدعم المادي الكافي للمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجهة المعنية بتوحيد الفكر بين أبناء الأمة العربية الواحدة بطريق التربية والثقافة والعلوم.

وإذا كانت الترجمة إلى اللغة العربية من اللغات الأجنبية، والثقافات الأخرى تغني الثقافة العربية، وحركة التعريب، فإن نقل الأمور الإيجابية من ثقافتنا العربية إلى الثقافات الأخرى يعرّف الآخرين بغنى التراث العربي، وإنسانيته، ومناقبيته، ويظهر إسهام الحضارة العربية في مسيرة الحضارة البشرية.

**15- النص على النجاح في اللغة العربية على أنه شرط للتعيين في وظائف الدولة:**

نصت الإعلانات عن المسابقات التي تجريها أغلب الدول العربية على أن من شروط التعيين في وظائف الدولة النجاح في المعلوماتية، واللغة الأجنبية (الإنجليزية) في دول الخليج العربي، وبعض الدول العربية الأخرى، والفرنسية في دول المغرب العربي، ولا يُنَصُّ على النجاح في اللغة العربية، علماً بأن كثيراً من الوظائف في الدولة لا تتطلب استعمال اللغة الأجنبية، وإنما تتطلب العربية. لذا كان على الدول العربية أن تولي شرط النجاح باللغة العربية الاهتمام في الإعلانات التي تجريها هذه الدول.

**16- المتابعة الجادة لإنفاذ مواد قوانين حماية اللغة العربية من جهة، وتوصيات مؤتمرات التعريب من جهة ثانية:**

من المخجل حقاً أن تضع بعض الدول العربية قوانين لحماية اللغة العربية، إلا أن بنود هذه القوانين لا تنفذ على الصورة المرغوب فيها، فإذا التسميات الأجنبية تتموضع على واجهات المحال التجارية، والخدمية، والسياحية، في الوقت الذي ينص قانون حماية اللغة العربية على التسميات العربية على واجهات هذه المَحالّ.

ومن المحزن حقاً أن تجد توصيات انبثقت عن مؤتمر التعريب الأول الذي عقد في ستينيات القرن الماضي، ما يزال بعضها يتكرر في مؤتمرات التعريب التي عقدت في العقدين الأول والثاني من الألفية الثالثة، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على غياب المتابعة الحثيثة، والجادة لتنفيذ التوصيات من جهة، وعلى عدم الجدية في تنفيذ القوانين على أرض الواقع.

وبناء على ذلك كان لابدّ على الدول العربية أن تنهض بمسؤولية المتابعة الجادة للتنفيذ، إن في بنود القوانين أو توصيات الندوات والمؤتمرات. ولكم كانت دهشة ممثل منظمة الصحة العالمية كبيرة عندما تبيّن له أن أغلب الجامعات العربية تدرّس العلوم الصحية باللغة الأجنبية لا باللغة الأم العربية!!.

**رابعاً– خـاتـمـة**

لما كان التعريب مسألة متعددة الأبعاد، وهو موضوع قديم جديد يتناول هوية الأمة تاريخاً ومصيراً وحفاظاً على الذاتية الثقافية كان المسؤول عن تجسيده على أرض الواقع لا يقتصر على العلماء والمسؤولين في الدولة، وإنما تقع المسؤولية على أبناء الأمة كافة ما دام التعريب الذي نرومه هو سيادة اللغة العربية على الصعيد العربي في مختلف قطاعات المجتمع العربي إعلاماً، وتعليماً، وتواصلاً، ومراسلات، وتفاهماً.. الخ.

ولن يتمكن أبناء الأمة من القيام بواجباتهم تجاه لغتهم إلا إذا اتسموا بالوعي والإدراك، وتمثّل ما تحتله اللغة العربية من مكانة، وما تعبّر عنه من وظائف تفكيراً، وتعبيراً، وتواصلاً، وهوية، ووجوداً، وحضارة، فإذا لم يتحلّ أبناء الأمة بالوعي، ولم يقم كلٌ منهم بدوره في صون لغته الأم، والاعتزاز بها، والسعي إلى سيرورتها، وانتشارها سليمة على الألسنة، والأقلام، والواجهات، والمَحالّ، وجميع مناحي الحياة، فإن الأهداف المتوخاة من مسيرة التعريب لن تتحقق، ذلك لأن نجاح التعريب، وتجسيده على أرض الواقع لا ينهض به العلماء وحدهم، وإنما يحتاج إلى تعاون المسؤولين في الدول العربية من جهة، وتعاون جميع أبناء المجتمع العربي من جهة ثانية، مع وجود قوانين رادعة لحماية الأمن اللغوي والدفاع عنه ما دامت اللغة هي الوطن الروحي للأمة.

## مراجع البحث


1- الدكتور أحمد محمد قدور- مدخل إلى فقه اللغة العربية- دار الفكر بدمشق- 2010.
2- الدكتور عبد الله العروي- ثقافتنا في ضوء التاريخ- المركز الثقافي العربي- بيروت 1988.
3- فهمي هويدي- لغتي هويتي- مدونة تعنى بشؤون اللغة العربية- أهوتك إيه؟ 2009.
4- الدكتور كمال يوسف الحاج- في فلسفة اللغة- دار النهار- بيروت 1967.
5- الدكتور محمود أحمد السيّد- الهاجس اللغوي- وزارة الثقافة السورية- دمشق 2019.
6- الدكتور محمود أحمد السيّد- في قضايا التعريب- المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر- دمشق 2010.
7- محمود تيمور- مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة- الجزء التاسع.
8- الدكتور محيي الدين صابر- اللغة العربية مستودع الفكر العربي- صفاقس 1987.
9- الدكتور محيي الدين صابر- قضايا الثقافة المعاصرة- الدار العربية للكتاب- تونس 1982.
10- الدكتور مصطفى الشهابي- المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث- مطبوعات مجمع اللغة العربية في دمشق 1965.
11- الدكتور نصر عباس- تأثير العاميات في الواقع الثقافي والإبداعي- قراءة حول واقع العاميات في الرواية المصرية- مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة 2018.
12- وزارة الثقافة السورية- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية- سلسلة آفاق ثقافية- دمشق 2003.

# العربية بين التقديس والصناعة في العلم
# تأملات في قضايا اللغة والتعريب

**د. أحمد شحلان**
المدير الأسبق لمكتب تنسيق التعريب بالرباط
المملكة المغربية

كثيرًا ما يدور الجدل حول من يعتبر اللغة العربية لغة مقدسة ومن يعتبرها لغة ككل اللغات. وعلى كل حال، لن نفتح مجالًا لهذا الجدل هنا، لكن لا بد لنا من إيضاح المعنى المقصود بالقداسة في هذا السياق، وما حدود هذه القداسة؟ وفي أي حقل من حقول المعارف يُستعمل هذا اللفظ. لعله غاب عن منكر صفة القداسة عن العربية، أن القداسة هنا هي بمعنى عام، لا ترتبط بالبيعة أو الكنيسة أو المسجد أو المعتقد وحسب. ذلك أن القداسة في أصل اللغة، هي احترام أي شيء يَعتقد فيه الإنسانُ أفضليةً وسُمُوًّا وشيئًا يدعو للاحترام، ومن هذا المعنى العام، يجد المستعملُ المفهومَ الذي يريد. ومن يجد صفة القداسة متمثلة في اللغة العربية، وأنا منهم، يجدها من وجهين: الأول لأنها لغة تاريخ الأمة وتراثها ولغة القرآن، وقد لا يعني هذا المعنى كل الناس، وهذا أمر طبيعي. والوجه الثاني هي مقدسة لأنها لغة علم وحضارة وتطور وتفاعل. كان ذلك منذ ظهور الإسلام، حيث أصبحت لغة مراسلة **دنيوية** محض في مكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه، إلى غير المسلمين من أحباش وفرس وروم وغيرهم، وأصبحت **دنيوية** عندما شاركت في حركة ترجمة واسعة النطاق، منذ العصر الأموي حيث عُـرِّبَتْ الدواوين والعُمْلَة وديوان الخرَاج وسجلات الجيش...، إلى ترجمة التراث الإنساني المتمثل على الخصوص، في مدونة المعارف الإغريقية (أصل ومصدر ثقافة الغرب اليوم)، سواء في ترجمات مباشرة عن

اليونانية أو عن السريانية. ثم في الموسوعة العلمية العربية الكبرى، التي كانت بلُغَتِها أو مترجمةً، هي الوسيلةَ الأولى للمعرفة في الغرب بعد أفول حضارة اليونان. والحديث عن هذا يحتاج إلى موسوعة كبرى، وتاريخ العلم عند المحققين، يقدم الكثير من الأدلة على هذا الفعل الحضاري الإنساني. اللغة العربية من هذا الوجه هي مقدسة، أي **مُقدَّرة محترمة** باعتبارها كانت وعاء للمعارف الشاملة. وبهذا قَدَّسها البابا في عصر بداية تعلم الغرب عنا، عندما حث أتباعَهُ على تعلمها وترجمة القرآن في طليطلة، في القرن الحادي عشر الميلادي. وما كان هو وهُم يؤمنون بكتابها المقدس. وقَدَّسها علماء الغرب مؤرخو الحضارات بهذا المعنى، وما كانوا يقدسون كتابها. وبهذا المفهوم نحن نقدس، أي نحترم ونقدر، اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية واللغة الصينية واللغة الألمانية، وكلَّ لغة تتحرك في حقول المعرفة أو تُواصِل الإنسان بأخيه الإنسان، لأنها وعاء للمعارف والتجارب الإنسانية المُعْتَبَرة. ولماذا لا نقول لأنها قوة إلهية مكن الله بها الإنسان ليسعى في الأرض كلٌّ فيما قُدِّر له. وبهذا نأمل من الذين لا يريدون للغة العربية أن تكون مقدسة أن يَدَعُوا التخفي وراء مثل هذا الجدل الذي لا معنى له، لأن اللغة العربية مقدسة، أي معتبرة مقدرة، بما لها من تراث إنساني مشترك، توجد دلائله في مكتبات الدنيا، مخطوطاتٍ علميةً لم ننته حتى اليوم من تصفحها والنظر فيها. وتدل عليه البحوث القيمة التي تركها مستشرقون ممن تحدث بحق عمَّا أُنْجِز في كل العلوم، باللغة العربية، وفي كل العلوم، كما عرَّف أرسطو العلمَ وكما صَنَّفه، وكما أبدع فيه علماؤنا أيام كانت اللغة العربية لغة الدنيا وبها ينتج العلم ويُعلِّم. وكذا اليوم حيث يذهب أطباؤنا العرب والمسلمون في زماننا هذا، وجُلُّهم تعلم في بدئه باللغة العربية، إلى جامعات غربية وأمريكية، يُبيّنون لهؤلاء الناس ما تتضمنه مؤلفات من مثل كتاب الكليات لابن رشد، وكتب الرازي وابن الهيثم وغير هؤلاء، من نظريات هي في قيد النظر العلمي الحديث. وهذه المعرفة العميقة بتراث العلوم الحقة في تاريخنا، هي التي مَكَّنت علماءنا الكبار فصاروا هم اليوم من يُشْرِف على إدارة شُعَب علمية في أدق المعارف العلمية المستحدثة في جامعات ومختبرات الغرب والأمريكتين وأستراليا، بمعية علماء ينتسبون إلى هذه الديار، يعملون بجانبهم الندّ للندّ، وأحيانًا هُم من يمثل الأستاذية في الفرع العلمي المعني.

غير أن في الصراعات الدائرة اليوم، وقبل اليوم، في العالم العربي حول قدر اللغة العربية من تجاوز النظر فيها هل هي مقدسة أو غير مقدسة، إلى أنْ اعتبرها غير صالحة أصلاً للاستعمال في أوليَّات مدارس تعليم الناشئة وفي محاضرات مُدرَّجات الجامعة. فَدَعَوا إلى استعمال اللهجات في مدارس الأمة الابتدائية، واستعمال اللغات الأجنبية في ثانوياتها ومعاهدها وجامعاتها. ومن هؤلاء من تخفَّى وراء استعمال **اللغة الأم** في التدريس، مُدَّعيًا أن من أسباب نهضة الغرب هو استعمالها لغة الأم، مُوحِيًا بأن هناك، فيما يخصُّ أمتَنا العربية، فرقًا بين اللغة الأم والعربية الفصيحة. والذي لم ينتبه إليه من يدعون هذا، أنه لم يكن يقصد **باللغة الأم**، عندما استُعملت في الغرب، لغة **الأم الولود**. بل للاستعمال تاريخ نورده هنا.

## لـــــغة الأم

أصل العبارة "**لغة الأم**" ديني. وظهر لأول مرة في القرن العاشر – القرن الحادي عشر، إثر صراع بين جناحين في الكنيسة الغربية، بين رهبان دير L'abbaye de Gorze الذين كانوا يستعملون في وعظهم وخطبهم لهجة جرمانية، ورهبان دير L'abbaye Saint-Paul de Cluny الذين كانوا يريدون استعمال لهجة رومانية التي هي francique "الفرنسيك" باعتبارها "**لغة أم**" لأنها كانت لغة النساء، ولأنها كانت تستعمل في "**الكنيسة الأم**"، كما نَصُّوا هم على ذاك. فمفهوم العبارة في الأصل خاص جدًا يتعلق **بلغة الكنيسة الأم.**

بعد هذا كُتبتْ حول "لغة الأم" أدبياتٌ كثيرة، نختار من بينها فقرة من مقالة أوردتها منظمة اليونسكو مؤرخة بـ 21 يبراير 2018، تحت عنوان:

L'UNESCO préconise la préservation de la langue maternelle (اليونسكو تدعو للحفاظ على لغة الأم) (النص في الأنترنيت)، ونوردها بلغتها قبل ترجمتها. فكيف تُعرِّف اليونسكو "لغة الأم"؟ تعريفًا جيدًا كما تقول: "la bonne explication" النص:

"La langue maternelle dite aussi langue native ou langue première (versus langue étrangère) est la première langue apprise à la personne dans la petite enfance, autrement dit, c'est la langue qui est parlée à l'enfant à la maison même

avant qu'il apprenne à parler. Il s'agit de la langue que l'enfant comprend avant de commencer l'école. Par ailleurs, la langue maternelle est celle qui est parlée par les natifs du pays où la personne habite. La langue maternelle est surtout celle que l'individu assimile et comprend mieux, au sens d'une valorisation subjective qu'il fait par rapport aux langues qu'il connait.

Il s'agit aussi de la langue acquise de manière tout à fait naturelle par le biais de l'interaction avec l'entourage immédiat, sans intervention pédagogique et sans une réflexion linguistique consciente. D'après les théories de Noam Chomsky et d'autre linguistes, la langue maternelle peut s'apprendre jusqu'à l'âge de douze ans. Après cette étape, les dextérités linguistiques du parlant sont différentes et toute langue apprise est considérée une deuxième langue"

نُترجِم النص: "**لغة الأم، وتسمى أيضًا لغة المَوْلِد أو اللغة الأولى، (في مقابل اللغة الأجنبية)، هي أول لغة يتعلمها الشخص في مرحلة الطفولة المبكِّرة، وبعبارة أخرى، هي اللغة التي يتحدث بها الطفل في البيت حتى قبل أن يتعلم الكلام. يتعلق الأمر باللغة التي يفهمها الطفل قبل بدء المدرسة. ومن جهة أخرى، لغة الأم هي لغة البلد الذي هو مسقط رأس الإنسان أصلا. وهي خاصة باللغة التي يستوعبها الفرد ويفهمها بشكل أفضل، عن تمثل ذاتي، عندما يقارن بين هذه اللغة ولغات أخرى يعرفها. وهي كذاك، اللغة المكتسبة بطريقة طبيعية تمامًا من خلال التفاعل مع المحيط المباشر، دون أي تدخل تربوي ودون تلقين لغوي مكتسب عن وعي. وتَبَعًا لنظريات Noam Chomsky وغيره من اللغويين، فصفة "لغة الأم" تستمر حتى سن الثانية عشْرة. بعد هذه الخطوة، يظهر التباينُ في الحذق اللغوي لدى المتكلمين، وأي لغة يجري تعلمها تعتبر لغة ثانية**".

يتضح من هذا النص أن "**لغة الأم**" منحصرة في "**لغة يتعلمها الشخص في مرحلة الطفولة المبكرة**" "**يتحدث بها الطفل في البيت حتى قبل أن يتعلم الكلام**" "**يفهمها الطفل قبل بدء المدرسة**" "**مكتسبة بطريقة طبيعية تمامًا من خلال التفاعل مع المحيط المباشر**" "**دون أي تدخل تربوي ودون تلقين لغوي مكتسب عن وعي**" "**تستمر حتى سن الثانية عشرة**" "**أيُّ لغة يجري تعلمها تعتبر لغة ثانية**". تسمح لنا هذه العبارة الأخيرة، أقول **تسمح**، بأن نفهم أن اللغات

التي تستعملها فرنسا وإنكلترا وأمريكا ووو، كلها لغات ثوان تختلف عن لغة الأم حسب التعريف، لأن هذه اللغات تُلقن عند هؤلاء الناس، بواسطة قواعد النحو والصرف والبلاغة التي لا تدخل في تعلم لغة الأم ولا يعرفها الفرنسي أو الإنجليزي أو الأمريكي الذي لم يدخل المدرسة (الأمي) لسبب من الأسباب.

إذن نفهم بناء على هذا القول، أن نص اليونسكو يفرق بوضوح بين "**لغة الأم**" **الطبيعية**، و"**لغة الأمة**" المبنية على القواعد النحوية (تركيبًا وصرفًا وبلاغة)، والمرفُودَة بالمدونة المعجمية التي تتضمن إرث الأمة المكتسب تاريخًا وجغرافيا، والتي تتوحد فيها معاني اللفظ على امتداد جغرافيا الوطن وتاريخه، ولا تختلف فيها المسميات من جهة إلى جهة إلا بقدر الاختصاص **المجمع عليه لدى الأمة كلها**. وتتطور معاني هذه اللغة تبعًا لتقدم العلوم وتنوع المعارف. وهذا لا يصدق على "**الدوارج اللهجات**" المصطبغة بصبغة **المحلية**، الخالية تمامًا من مدونات المصطلح العلمي بطبيعتها الوظيفية المياومة. وإنما يصدق على **اللغة المؤَحَّدَة المؤَحِّدَة** المقعَّدة ذات التراكم المعرفي الشامل. فكثير من الكَلِم الدارج يختلف من جهة إلى جهة أخرى في قلب الوطن الواحد، فإذا وضعنا هذا الكَلِم المختلف محليًا في مقرر مدرسي، فإنا لم نقدم للطفل أي جديد معرفي، لأنه معروف عنده في جهته، وتكراره في المقرر يكون عبثًا. ثم، وهذا هو الأهم، هل يصح لنا أن نختار في مقرر وطني شامل، من بعض اللهجات ونترك أخرى؟ وما المبرر في الاختيار؟ وهل تبعًا لهذا، يجب علينا أن نضع مقررًا دراسيًا لكل جهة من الجهات فيه نكدس ما تراكم من كَلِم خاص بالجهة. فإذا فعلنا هذا فعلينا أن نقسم المقررات حسب الجهات وحسب التقسيمات السياسية. وعندها سنحدث قطيعة بين المعارف في البلد الواحد، ثم نحدث قطيعة بين الأمة، ثم نحدث قطيعة بينا وبين موروثنا المعرفي التاريخي المحلي والتاريخي الإنساني. وليس في الأمم المتقدمة من يسعى إلى هذه الحال.

ولو كانت اللهجة الدارجة هي المقصود من العملية التعليمية، لكنا نعبث عندما نفتح المدارس وكل مؤسسات التعليم، لأن الكل يعرف اللهجة سليقة. ولو أردنا أن نجعل من الدارجة وسيلة لنقل

المعارف، لتَوَقَّف بنا الركب في بدء المسير، فليس في اللهجة الدارجة تراكم لمدونة مصطلحية علمية، لأنها مذ كانت وهي لغة الاستعمال اليومي، وفي أبعد الحدود، لغة الخلق والإبداع في الزجل والشعر العامي والقصص والسرد المحلي. ولو كانت اللهجة العامية كافية بنفسها، لوجدنا في العامة علماء في علم الفلك والرياضيات والفيزياء والفلسفة وغيرها بالسليقة والطبيعة، وهكذا دواليك. ولم يُشاهد هذا في الأمم الحاضرة. فلا يصنع العالِمَ إلا اللغةُ المقعَّدة الموحدة التي تُتداول في جنبات المؤسسات العلمية الأكاديمية.

لقد ظهرت الدعوة إلى استعمال العامية في الشرق العربي منذ القرن الثامن عشر، وكان الدعاة إلى ذلك أقوى، وما نجحوا في صنع علم بها. فتلك العاميات كلها لم تصنع علمًا لأنها انفصمت عن تراث لغوي تمثل فيه إرث يزيد عن أربعة آلاف سنة زمانًا، وحدث لأهله نسيان تجارب إنسانية تحقق فعلها على مدى ثلاث قارات هي آسيا وإفريقيا وأوربا. وواقع حالهم هذا كان نتيجة لأسباب كثيرة تاريخية معروفة، وأصبحت عامياتهم غير مؤهلة للصياغة العلمية، هذا عدا كونها متفرقات يختلف نطق مخارج حروفها بمجرد تعدي الحدود، وتختلف معاني معجمها في اللفظ الواحد إلى حد التناقض والجهل بأصل التأثيل.

وعليه فالمناهج الدراسية لا توضع في كل الأمم المتقدمة بالعاميات أو"**لغة الأم**" كما وُصِفَتْ آنفًا، وإنما توضع **بـ "لغة الأمة**" الموحدة. وهي في هذه الأمم، لغة تختلف عن "لغة الأم" كما وُصِفَتْ أيضًا آنفًا، مع العلم أن الدارجة أو اللهجة (في كل الدول العربية) تتميز بشيء لم ينتبه إليه مُعادو العربية، ذاك هو كونها عربيةً محض في بنيتها التركيبية والصرفية، ولا ينقصها إلا الإعراب، مع اكتسابها معجمًا جديدًا يصلح للاستعمال اليومي. وهي بهذا مدمجة أصلاً في العربية الفصيحة، ولا تحتاج لوسائط بينها وبين الفصيح، كما يدعي من يريد دمجها في التعليم الأولي لتكون واسطة. فطفلنا اليوم سنة 1441 هجرية، يردد في أول قسمه التعليمي "***طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا*** مِنَ ***ثَنِيَّاتِ الوَدَاع***" التي جرت بها الألسن قبل 1441 عامًا. يرددها نشيدًا مفهوما في أبسط لغة، وجرت بمفرداتها الألسن في زمن أقدم بكثير كثير من هذا التاريخ. على خلاف ما حدث في

اللغات الأخرى، مثل الإيطالية، والسردينية، والبروڤانسال والإسبانية والكطلانية والبرتغالية، والرومان (سويسرا النمسا ) والفرنسية (فرنسا وبلجيكا) (هذه هي بنات اللاتينية) التي انفصمت الروابط بينها وبين أمها اللاتينية انفصامًا تامًا. بل فقدت الواحدة منها روابط التواصل داخل نصوصها التاريخية (شفاهة أو علمًا). فالفرنسي اليوم لا يفهم شيئًا من الفرنسية القديمة التي لم تولد إلا في 14 فيفريي شباط 842م، في أول نص، وهو النص المعروف بـ"عَهْد ستراسبورگ" Serments de Strasbourg، وهو العهد الذي بمقتضاه اتفق حفيدا شرلمان Charlemagne، وهما Charles le Chauve و Louis le Germanique ضد أخيهما Lothaire I[e] في صراع على الحكم. وهذا هو النص الأصل، أي عِقْد ازدياد (ميلاد) اللغة الفرنسية:

Pro Deo amur et pro christian poblo et nostro commun salvament, d'ist di in avant, in quant Deus savir et podir me dunat, si salvarai eo cist meon fradre Karlo et in aiudha et in cadhuna cosa, si cum om per dreit son fradra salvar dift, in o quid il mi altre- si fazet et ab Ludher nul plaid nunquam prindrai qui, meon vol, cist meon fradre Karle in damno sit.

طبعًا لا يستطيع عالم اللغة الفرنسية اليوم، فضلًا عن فرنسي عاديّ، أن يفهم فيه شيئًا، لأن فرنسية هذا الفرنسي العادي أو العالم ابتعدت اليوم كل البعد عن أصلها وأصبح النص المقابل بعيدًا كل البعد عن أصله، وهذا هو:

Pour l'amour de Dieu et pour le salut du peuple chrétien et notre salut commun, de ce jour en avant, autant que Dieu m'en donnera le savoir et le pouvoir, je défendrai mon frère Charles, et l'aiderai en toute circonstance, comme on doit selon l'équité défendre son frère, pourvu qu'il en fasse autant à mon égard. Et jamais je ne prendrai avec Lothaire aucun arrangement qui, de ma volonté, puisse être nuisible à mon frère Charles.

ونترجمه للعربية: "**محبة في الله ومن أجل خلاص الشعب المسيحي [الأمة المسيحية] وخلاصنا المشترك، فإني من هذا اليوم فصاعدًا، وعلى قدر ما يمكّنني به الله من معرفة وقوة، سأدافع عن أخي تشارلز، وأكون له عونًا مهما كانت الظروف ودعا الإنصاف لنصرة الأخ،**

**شريطة أن يفعل الشيء نفسه بالنسبة لي. ولن أعقد بيني وبين لوثير أبدًا أي اتفاق بإرادة مني يمكن أن يكون سببًا في الإضرار بأخي تشارلز".**

لو فرضنا أنا طلبنا من امرئ القيس، في القرن السادس الميلادي، أن يترجم لنا هذا النص في صيغته الأولى أو في فرنسيته المعاصرة، لترجمه بنفس لغتي أنا الآن، نحوًا وصرفًا وبلاغة، لأني أنا لم أفعل شيئًا غير استعمال لغة امرئ القيس التي نظم بها شعره، في بنيتها التركيبة والنحوية والصرفية، في ترجمتي. وهذا الامتداد الزمني في اللغة على مدى ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة، باعتبار تداول نفس البنية اللغوية التركيبية والنحوية والصرفية ونفس المعجم المشترك العُرباني (السامي)، خاصة لم تتميز بها اللغات الأخرى.

إن اللغات التي تؤدي وظيفة اللغة الأولى، وهي التواصل، واللغات التي تمثل الكمال في ذاتها بأدواتها التركيبية والصرفية وسهولة استيعاب صور رموزها (حروفها) عددًا ورسمًا، هي اللغات القادرة على إنتاج العلم. واللغة العربية تتصف بهذه الصفات، فهي لغة بيان بامتياز. أي منذ كانت، وهي لغة تواصل، ثم صارت مع الزمان لغة إبداع أدبي رائع، كان قمته ما نزل وحيًا قرآنا. وفي هذه المسيرة الطويلة صارت لها القدرة على صوغ المعاني العلمية في مختلف العلوم، ولم يعجزها ما جاء في نُقول السريان ولا ما أبدعه مفكرو اليونان. وقد استطاعت أن تقوم بكل هذا لأنها كاملة في ذاتها، ونعني بالكمال هنا، أن لها تاريخًا طويلا، وامتدادًا جغرافيًا شاسعًا، (من حدود فارس إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط، ثم في قارة أوربا العصر الوسيط، وأوربا اليوم، فهي اللغة الجامعة بين الطوائف الإسلامية والعربية المختلفة، وهي أيضًا اللغة الحيَّة في أقسام اللغات الشرقية اليوم في كل أطراف العالم من قلب الصين إلى هرڤارد). وتمَـثَّل أيضًا هذا الكمالُ في كونها اللغة السامية (العُرْبانِية) الوحيدة التي حافظت على الصورة الأولى للغات الأسرة (اللغات الأكادية والآرامية والسريانية والعبرية والفينيقية...) فهي وحدها المُـعْربة، أي التي تتميز أواخرها بواحدة من حركات ثلاث: الرفع والنصب والجر، وهذه صفة قوة عند المدققين، على عكس ما يظنه مَن يروج لمقولة "الناس يقرؤون ليفهموا ونحن نفهم لنقرأ"، لأن هذا يصدق

على التداول البسيط للغة، أما الإبداع الرفيع في كل اللغات، فيدعو إلى الفهم ثم العَوْدِ للقراءة. واللغة العربية هي وحدها التي احتفظت بصيغ المثنى في الضمائر والصيغ الاسمية والتصريف الفعلي. وهي وحدها التي تفرق بين الجمع المؤنث والجمع المذكر (من بين أخواتها في أسرتها). وهي وحدها القادرة على التمييز بين المسميات المتقاربة الجنس والشكل واللون، فيما يعتبره الناس مترادفات، مع أن اللغة العربية لا تقبل المترادفات كما يظن من يجهل دقائقها. والناطق بالعربية هو وحده القادر على نطق كل الأصوات ويتحكم في كل مخارج الحروف، مما أهله لمعرفة لغات العوائل الأخرى المختلفة بيسر وسهولة.

وجاء وَهْمُ من اعتبر العربية عاجزة عن تلقين العلوم بسبب خلطه بين شيئين اثنين: بين لغة التواصل اليومي. ولغة العلم المُسْتعمِلة للمصطلح العلمي. وكل لغات العالم تتضمن هذين:

1- اللغة العادية المركبة من حروف وأفعال وأسماء (تستعمل في صيغ فعلية واسمية) وهذه أساس التواصل العادي، في صغيرات القرى وكبريات المدن، ولا فرق بينها في كل الدنيا، يتكلم بها كل الناس في أحوال معاشهم.

2- لغة العلم المَرفُودَة بالمصطلح في المختبر أو الورشة أو الجامعة، وهي لغة خاصة، وكل خاصة فيها تتضمن خاصات، تبعًا لتفرع العلوم ودقة مستعملاتها. وكل اللغات قادرة بقسمها الأول على التبليغ، وهذا هو الأساس، أما لغة العلم والمصطلح، فهي نوع من الدخيل على كل لغة، ما دام المختَرَع المعني هو من صنع أمة تتكلم بغير لغة مستورد العلم. فعالم الاجتماع أو الإناسي (الأنتروبولوجي)، في جامعة هارفرد الأمريكية، عندما يريد أن يبحث في موضوع "البَلْغَ" المغربية (حذاء)[1]، سيجد في لغته الإنجليزية عجزا وعِيًّا وقصورًا وضعفًا، ولا بد له في حينها من أن يستعمل لغة "السوق" وهي هنا دخيل ولغة علم، لأن صناعة "البلغَ" لا توجد في "احْوانتْ" (دكاكين) واشنطن فـ"لشَّرْبِيلْ" و"لْمْسِيَّطْ"، و"لزِيوَاني" و"لَبْسَاطْ"

[1] يمكن أن نأتي بنماذج مختلفة شبيهة بأنموذجنا هذا من كل وطن عربي.

و"الْقُرْمِيلْ" و"لَبْطَانَةْ" ولِيشْفَا"[2] إلى آخره، كلها مصطلحات مفقودة في اللغة الإنجليزية، وستصبح حاجة العالم إليها ماسة لصناعته المعرفية. وهذا الاحتياج هو احتياج كل صاحب لغة لم يصنع أهلُها العلمَ المراد معرفته، فهل كان على العالم الأمريكي أن يترك لغته الإنجليزية ويتهمها بالقصور ويتعلم لغة السوق في منعرجات فاس أو دروب مراكش ليكون عالمًا؟ إنه استعمل لغته الإنجليزية للتواصل، واستعمل مصطلح "السوق" للعلم. وهذا هو الطبيعي عند الأمم التي تعتز بلغتها وأصولها، ولا فرق بين اللغات.

ثم إن المصطلح في كثير من الأحيان، لا علاقة لمسماه بالعلم الذي استُعمل فيه. فالذي وضع مطلح **Sourie //Mouse** لم يضع في حقيقة الأمر أيَّ مشكل لمستعمل اللغة العربية على سبيل المثال، لان مسماه لا يرتبط أصلا بصناعه الحواسيب، إنه مسمى اخترعه من صورة قفزت إلى ذهنه حين وضعِه المصطلح، نتيجة للمادة التي وضع يده عليها، وقد اتخذت شكلها من انحناء كَفِّ يده أكثر من صورة الفأرة التي لم يكن لها وجود في بيته على الإطلاق. والدليل الأوكد على ما نقول، أن ذلك التصور الذي وُضع من أجله المصطلح، لم يعد قائما في الحواسيب الحديثة، فلمس سطح الحاسوب أو حتى الإملاء صوتًا، يقوم بنفس مهمة //Mouse Sourie ومع ذلك لم تتغير التسمية.

ونريد أيضًا أن ننبه الذين يقولون بأن اللغة العربية عاجزة عن تلقين العلم – وأن الإنجليزية أو الفرنسية أو أو أو، هي القادرة على ذلك – على أمر غاب عن ذهنهم، أو منعهم من الانتباه إليه قلة تدبرهم. ذاك أن العلوم الحقة، تنبي كلها على ثلاثة علوم أمهات أساس، وهي: الرياضيات والفيزياء والكيمياء. وهذه العلوم بالضبط، هي التي لا تحتاج إلى أي لغة. فهي كلها رموز. ومنها تفرع ما تفرع بلغات.

[2] الأسم الأول يطلق على حذاء نسائي مزخرف بخيوط مذهبة اللون، والباقي أسماء المادة الأولى والأدوات التي يشتغل بها الخراز (الإسكافي).

ومع ذلك، فإنا نسأل، ألم يضع العاملون في صناعة المعجم ما قد يساعدنا على تلقين العلوم بلغة عربية ونحن في وضع مريح؟ لا يسمح حيز النشر بالحديث عن تاريخ الترجمة وصناعة المعاجم العربية منذ القرن الثامن عشر في كُلِّيَتِها، ولدينا منها إرث عظيم مفيد مبدع، أسهم في فعله الأفراد والهيئات والمؤسسات في مصر قبل المجمع، من ترجمات للكتب العلمية، خصوصًا في الطب، ثم ما قدمه المجمع من أعمال جلّى، تنظيرًا ومصطلحًا، فيما نشر من كتب أو معجمات، أو عقد من ندوات، خلال كل تاريخه ولا يزال. وما قدمه الأفراد والهيئات والمؤسسات والمجامع في الشام، سورية ولبنان والأردن، وما قدمه الأفراد والهيئات والمؤسسات والمجامع في أرض الرافدين.

ولعلنا نوجز بعضًا من هذه الجهود التي قدمها مكتب تنسق التعريب، لا لأنه الأفضل، بل لأنا حُملنا أعباءه في مرحلة زمنية مضت نَوَدُّ، بهذه المناسبة، أن نذكر بمجملٍ لأعماله المتمثلة في وضع المصطلح العلمي، وذلك في معجماته المتخصصة. فقد صدر من هذه المعاجم حتى اليوم واحدٌ وأربعون معجمًا، وشَمِلت كل فروع المعرفة،كلها مطبوعة على الورق، أو في بنك يمكن أن تستفيد منه كل جهة تحتاج إل المصطلح العلمي من مؤسسات ومعاهد وشركات وغير هذه، وذلك بالرجوع إلى قاعدة البيانات المصطلحية للمعجم التقني ARABTERM، وتتضمن حاليًا "معاجم بلغات ثلاث هي الألمانية والإنجليزية والفرنسية، مَصحوبة بترجمة للمُصطلحات التّقنية باللغة العربية ومُرفقة بتعريفات دقيقة، وتَهمّ المجالات التالية: تقانات السيارات، هندسة المياه، الطاقات المتجددة، الهندسة الكهربائية، النسيج، النقل والبنية التحتية، المناخ والبيئة وإدارة النفايات الصلبة، الهندسة المدنية، تقانة المعلومات. وتتوفر هذه القاعدة على نحو 45530 مدخلا. كما تشمل هذه القاعدة المصطلحية ذخيرة معجمية موَحّدة بثلاث لغات هي العربية والفرنسية والإنجليزية وتهم مجالات: اللسانيات– الفيزياء العامة والنووية– الرياضيات والفلك – الموسيقا – الكمياء – الصحة وجسم الإنسان – الآثار والتاريخ – علم الأحياء – الجغرافيا – التجارة والمحاسبة – المصطلحات المهنية والتقنية (الطباعة والكهرباء)– العلوم الإنسانية –القانون – السياحة – الزلازل – الجيولوجيا – الاقتصاد – النفط – البيئة – الهندسة الميكانيكية –

التقنيات التربوية – الإعلام – الفنون التشكيلية – الأرصاد الجوية – الاستشعار عن بعد – علوم البحار – الحرب الإلكترونية – تقانات الأغذية –علوم الوراثة – علم الصيدلة – الطب البيطري – النقل– تكنولوجيا المعلومات – التواصل اللغوي – الهندسة المدنية – علم التشريح العياني – الآداب المعاصرة – محو الأمية وتعليم الكبار.

تشتمل القاعدة على قُرابة 125481 مدخل. وبهذا يصبح إجمالي مداخل المعجم التقني ARABTERM ما يناهز 170530 مدخلا". وللاستفادة من هذه الذخيرة يمكن الدخول إلى الموقعين: www.arabterm.org. ma .bca@arabizatio.org .

هذه هي الثروة الغنية من المصطلحات العلمية الحديثة، مضافة إلى الجهود التي أعدتها المؤسسات والمجامع اللغوية السابقة المذكورة، وإلى جهود كثيرة لم نطلع عليها، وهي موجودة بالقوة والفعل، وكلها في مستوى التعليم الجامعي الراقي. ومع ذلك ندعي أننا لا نملك لغة قادرة أن تكون لغة العلم والمعرفة والخلق والإبداع والاختراع. إن كثيرًا من اللغات اليوم، ولا نريد أن نضرب مثلا بدولة تعتمد اليوم في تعليمها العلمي والطبي لغة توقفت عن الاستعمال أكثر من ألفي سنة، وهي أصلا في ثروتها فقيرة إلى حد الشُّح، ولغتها لا تملك من قدرة اللغة العربية وعراقتها وتجربتها ومعجمها العلمي، إلا القليل القليل، ومع ذلك، يُدرِّس بها أهلُها العلمَ ويكتشفون ويخترعون ويسجلون براءات الاختراع بمقدار يتجاوز **ظاهريًا** –وأقول ظاهرياً لما سأقول أسفله– كل براءات الدول الإسلامية البالغة عددًا ما يفوق مليار ونصف، ويتجاوز **ظاهريًا**، بالكثير الكثير، ما تسجله أمتنا العربية (التي يبلغ عدد مكوناتها، ما ينيف عن خمسمئة مليون نسمة)، من براءاتٍ توزعت بين اللغات الأجنبية، وفي هذه أبدع أبناء أمتنا في جامعات الغرب. إن العربية لغة قادرة يُرهقها عجز أصحابها ممن نَسُوا قراءة تاريخ الأمة في سالف عهودها الزاهرة، حيث كانت العربية إنجليزية تلك العهود. وحيث ضُربت لها أكبادُ الإبل، من مدن غرب العصور الوسطى (بالمفهوم الغربي)، لأخذ العلم، في بغداد أو القاهرة أو دمشق أو القيروان أو قرطبة أو فاس أو مراكش. هذه هي المعارف –( مخزوننا المصطلحي وإرثنا العلمي المذكور)– التي

يجهل وجودَها أمثالُ من يعتبر العربية عاجزة والتعريب خرافة. والذي جعل الناس ذوي النيات الحسنة يعتقدون هذا الاعتقاد، هو الجهل بوجود المخزون المصطلحي، هو التكوين الأجنبي لمن يضع المخططات الدراسية أو من يأمر بفعلها، هو صعوبة تلقين العلوم بالعربية على من قل زادهم فيها. فلنفتح أقسامًا جامعية تجريبية في تعليم العلوم المذكورة، يشرف عليها أساتذة أكفياء في اللغة العربية، أكفياء في العلوم الحقة، وبهذه المعاجم التي ذكرنا. وسنرى أي الأقسام أكثر استيعابًا وفهمًا وإبداعًا، أهي التي تجري فيها العملية التربوية باللغة العربية أم تلك التي تعلِّم بلغة غيرها؟ ولنعلم أبناءنا اللغات الأجنبية منذ الطفولة، باعتبارها أداة تَفَتُّح ومساعدًا على النظر في الطرق والمناهج، ولنعلمهم بلغتهم العربية في جميع مراحل التعليم، حتى الجامعة، كل العلوم بدون استثناء، وسيكونون قادرين على تمثل العلوم بالقدر الذي يتمتع به الأمريكان وأكثر، لأن لغة التعليم العربية تمكن أبناءنا من الاستيعاب العلمي على قدم المساواة مع غيرهم، وبنفس المدة الزمنية التي يتعلم بها الفرنسي أو الإنجليزي، لأنهم لن يحتاجوا إلى ترجمة البنية اللغوية الأجنبية في ذهنهم، إلى بنية لغتهم الأصل، ليفهموا المعلومة المراد تلقينها، مما يضيع عليهم زمنًا يتفاقم هَدْرُه مع الزمن. والمشتغلون في ميدان الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية أو العكس يفهمون ما أقول. التعلم بلغة الأمة مع إتقان اللغات الأجنبية بوصفها لغة في ذاتها لا لغة تعليم، يمكن المتعلم من القدرة على أخذ المعرفة بسرعة، ويمكن من القدرة على الصناعة والاختراع الدقيق باللغة الوطنية عندما نريد ويُعترف لنا بإسهاماتنا في صنع العلوم كما نحن فاعلون.

### هل نسهم في المخترعات الحديثة؟

إننا نُسهم في المخترعات الحديثة اليوم بالحظ الوافر، غير أن مؤسسات الإحصاء، سواء في الأمم المتحدة، أو المعاهد المختصة، لا تدخل علماءنا الفاعلين اليوم في العلوم الحقة، ولا المحركين للفعل العلمي، وواضعي أدق الاختراعات في حسبانها، لأنهم ينتجون بلغة أماكن وجودهم، فلا ينسب الاختراع للعربي أو المسلم، وإنما ينسب للغة الفرنسية أو الإنجليزية أو الألمانية أو أو، ومن ثَمَّ للأمم المتكلمة بهذه اللغات. إن هذه حقائق متمثلة في مخابر وجامعات

الغرب وأمريكا وأستراليا. لقد قرأ جل علمائنا المهاجرين بلغة عربية في مدارسهم في بلدانهم، وكانوا عاديين في صفوفهم، ثم هاجروا فيمن هاجر، فصاروا أعلامًا منتجين مبدعين في الصنائع العلمية التي تكلفوا بها في كبريات الجامعات والمختبرات الغربية والأمريكية والأسترالية. وما كانت العربية التي أخذوها منذ الطفولة، إلا مساعدًا فعّالا على قوة استيعابهم. ولأنهم أنتجوا بلغات أجنبية،لم تُعَدُّ أعمالُهم في حصيلة الفعل العربي الإسلامي. مع أنهم أبدعوا بذهنية العربية التي ننكر.

العربية من اللغات الغنية تاريخًا وتجربة إنسانية، لأنها بنتُ ما يزيد على أربعة آلاف سنة، وعاشت في جغرافيا شاسعة، متعددة المناخات والتضاريس والأَهْوِيَّة. لقد حملت العربية كل هذه التجربة. ومهمتنا أن نرفع صوتنا للتعريف بقدرتها على صناعة المعرفة والعلم. مع الدعوة بكل إلحاح، إلى **تعلم اللغات الأخرى**، كلغات أدوات، وبالقدر الذي نستطيع، لا باعتبارها لغات تعليم، بل باعتبارها أدوات نستعملها في الوقت المناسب. وقوة اللغة لا تتجلى في استعمالها ألفاظًا وجملا، ولكن تتجلى بالأخص، فيما تُكسب الإنسانَ من قوة الاستيعاب والقدرة على صَوْغ المفاهيم في عقله، صياغة تساوي عراقة وتجربة اللغة التي هي لغته. والتعليم باللغة العربية، يعني الحفاظ على كل تجربة هذه اللغة بما وصفتُها عليه. بل هي لغة أمن "**ولغة عظيمة**"، كما عبر عن ذلك وزير التربية والتعليم الفرنسي السيد Michel Blanquer Jean الذي أعلن يوم 10 سبتمبرر 2018، عن دعمه **للغة العربية** في بلاده، حيث رأى أنه: "**يجب أن تنال الهيبة التي تستحقها باعتبارها** "**لغة عظيمة**"، كما قال، ولتصبح إحدى اللغات التي يتعلمها كل الفرنسيين (إذاعة RMC و BFM TV).

## أي منهج نختار لتوفير المصطلح وإنجاح عملية التعريب

نضيف إلى هذه التأملات المذكورة، بعض اقتراحات نادينا بها منذ أن كنا مديرًا لمكتب تنسيق التعريب، وأعربنا عنها في بعض منابر البحث اللغوي، لأن مكوناتها تصب في موضوع هذه الندوة المباركة التي بنى عليها المجمع القاهري مؤتمر دورته الثامنة والثمانين: "**تعريب العلوم:**

**التجارب، والمشكلات، والحلول**"، آملين أن تكون هذه المقترحات جزءًا متواضعًا في الحلول. فنقول: إذا كانت المؤسسات اللغوية لا تألو جهدًا في إعداد العدة لتطوير اللغة العربية لتساير ركب حضارة اليوم، فإن الجهد يحتاج إلى شروط أخرى لابد من أن تكتمل لتحقيق التعريب، من ذلك:

أ– تغيير أسلوب صناعة المصطلح ووسائط التنسيق، إذ يصعب اليوم، على أي كان، أن يتتبع ما ينتجه العلم لحظيًا، وفي كل مجالات المعرفة، بالطرق التقليدية التي أنجزت بها المعجمات المشار إليها، فوضع المصطلح اليوم وترصد المسميات الحديثة، يتطلب جهازًا ضخمًا يتكون من علماء في مجالات العلوم المختلفة، ومختصين في العربية يجمعون بين عميق المعرفة اللغوية والتخصص العلمي، وفنيين يحسنون تدبير الآلة والسيطرة على الحواسيب، وعمال يُنَشِّطون المعامل ويتبادلون لغة العمل. وعلى هذا الطاقم في هذا الجهاز، أن يكون قادرًا على الربط بين وشائج التواصل بين المؤسسات العلمية والجامعات والمجامع اللغوية والعلمية ومراكز التخصص ومراكز التصنيع ومخابر المقايسة ووسائل الإعلام، مرئية وسمعية ومكتوبة، ودُور الصناعة، مثل المفاعلات النووية، ومصانع السيارات، ومصانع الطيران ومصانع التجهيزات الطبية ومراكز صناعة الأغذية والمؤسسات الرياضية، وورشات العمال مهما صغر حجمها... ويكون هذا الربط بواسطة الأقمار الصناعية والأنترنيت، وعلى مدى أربع وعشرين ساعة ودون انقطاع، حيث تصنف العلوم لحظيًا وتستخرج مصطلحاتها وترتب وتحول في نفس الآن إلى جهاز المصطلحيِّ المختص الدقيق ذي المواصفات السابقة، ليعيد ترتيبها هو أيضًا في مجالها حاسوبيًا فيطبعها. **ونقترح أن يُتخذ المصطلح الأجنبي المشترك في أكثر من لغتين أجنبيتين بمنطوقه، مصطلحًا عربيًا مُعَرَبًا ربحًا للوقت وتسهيلًا للغة العلم وتوحيدها**"، وقد فعل هذا أجدادنا في طليعة انفتاحهم على العلوم نفس هذا لفعل. وهكذا يكون لكل يوم نتاجه المصطلحي، ولكل أسبوع نتاجه، ولكل شهر نتاجه. ويجتمع في آخر السنة مجلس علمي مؤهل تتمثل فيه كافة الدول العربية، ليُعِدَّ المعجم العلمي السنوي الشامل، والمعجمات الفرعية المختصة تبعًا لفروع المعرفة. ويُعقد مؤتمر التعريب كل سنتين لإضفاء الصبغة التوحيدية السياسية على هذا الجهد

وإخراجه ورقًا وإلكترونيًا، كما يشاع في الناس موقعه الإلكتروني للأخذ منه والاقتراح عليه. ويجب أن يرتبط هذا الجهد الكبير بـ: ب-

1- تعريب التعليم في كافة مجالاته. وهنا يجب أن نفرق بين تعريب التعليم ووضع المصطلح، فهما أمران مختلفان كل الاختلاف.

2- إنشاء وحدات مصطلحية في كل الجامعات العربية مع ربط بعضها ببعض بواسطة المطارف لتبادل النتائج والاتفاق من أجل اختيار الأفضل والأصوب خدمة للعلم، في إطار يربطها دومًا بمراكز العلوم الدولية ذات الاختصاص.

3- إنشاء أكاديميات لغوية إضافة إلى مجامعنا الرائدة، وتبقى هذه هي قائد القاطرة، نظرًا لتجربتها ورمزيتها وحكامتها، ويكون عمل تلكم الأكاديميات يوميًا وبالوسائل التقنية المتقدمة.

4- إيجاد أقسام متخصصة في صناعة المصطلح في بعض كلياتنا. العلمية والأدبية.

5- حث الجامعات الأصيلة، مثل القرويين والأزهر والزيتونة، على إيجاد تخصصات لغوية تجمع بين التعمق في اللغة العربية وتراثها، والتخصص الدقيق في علم من العلوم، مثلا: قسم اللغة العربية تخصص فيزياء، رياضيات، كيمياء، طب... ويشترط في هذه الأقسام الاهتمام الكبير بالتراث العربي في مختلف الاختصاصات، وكذا الممارسة العلمية في التخصصات العلمية (طب، كيمياء...) والتمكن من آليات الحاسوب.

6- إيجاد هيئات علمية تمهد السبل لتسهيل النحو العربي واختيار الأساسي من القواعد، في منظور حديث يستفيد من نصوص سهلة سلسلة محملة بدلالات حضارية وإنسانية تغري الذين يتعلمون اللغة العربية وتحببها إليهم.

7- إلغاء صفة الإقليمية عن المصطلح، ذلك أن الدول العربية التي كانت تابعة للاستعمار الإنجليزي لا تزال اليوم تتخذ اللغة الإنجليزية مرجعها ومعتمدها، ولذلك فمرجعيتها المصطلحية إنجليزية، وتلك التي كانت تابعة للاستعمار الفرنسي لا تزال اليوم تتخذ اللغة

الفرنسية مرجعها ومعتمدها، ولذلك فمرجعيتها المصطلحية فرنسية. ويظهر الأثر السيئ لهذه الوضعية في المؤلفات العلمية العربية أو الترجمات العلمية التي تنجز اليوم، بحيث تختلف المفاهيم واللغة العلمية من بلد إلى بلد، ويصبح الكتاب العلمي العربي، الذي كان من المفروض فيه أن يكون مشترك الفهم واللغة في كل أرجاء الوطن العربي، حبيسَ إقليمية المصطلح ومحدودية المنفعة. ونقترح، لتجنب هذه الوضعية، توحيد الكتاب المدرسي والجامعي، وقد يكون ذلك باجتماع وزراء التعليم والسلطات الجامعية العليا والمجامع ومن يهمهم الأمر، في ندوة علمية، يوزعون فيها بين أقطارهم تأليف الكتاب المدرسي والجامعي، فيتكفل بلد من البلدان بإعداد مؤلف في مجال من المجالات العلمية، باعتباره المسؤول، ويشرك معه مختصين في اللغة والعلم المعني، من جميع الدول العربية، لإضفاء طابع الشراكة العلمية والتوقي من أثر الإقليمية المشار إليها، بحيث يصبح الكتاب بعد تأليفه، مؤلفًا قوميًا لا قطريًا، موحدًا مفهومًا ولغة ومصطلحًا. وقد تكون مصر مثلًا مَقَرًّا لوضع مقررات الرياضيات في كل المستويات الدراسية، والمغرب مَقَرًّا لوضع مقررات الفيزياء، والأردن للطب، وهكذا دواليك. وعندما يتم إعداد هذه المؤلفات والمقررات، يجبر العمل بها في كل الوطن العربي. ويستقل كل بلد بوضع مؤلفات العلوم الإنسانية الخاصة به.

8- السعي من أجل جعل الجامعة جامعة عربية عالية القدرات، موحدة في المناهج والرؤى واللغة طبعًا. ومن شأن هذا التوحيد أن يحقق كثيرًا من الأهداف، من ذلك توحيد المستوى العلمي العربي، وجعل المقررات منسجمة مع حاجات المنطقة والمعطيات الخاصة بالجهة، والتخطيط العلمي العربي المبني على النظرة الشمولية والإحصائيات العلمية الدقيقة، تجنبًا لوجود الفائض من المتخرجين في علم من العلوم أو الخصاصة في علم من العلوم. وتوحيد المصطلح الذي يكون نتيجة حتمية لتوحيد المناهج والكتب والمقررات. وكل هذا رغبة في إعداد الطالب في التخصص المراد وفي المكان المراد وللحاجات المُلِحَّة وبالمصطلح الواحد. وبهذا تكون الجامعة جامعة الأمة، وخريجوها خريجو الأمة. وبهذا أيضًا توفر الإمكانات

ليجد الخريجون العمل المناسب على امتداد الوطن العربي، مما يوفر الأطر القادرة للأمة، والأمن والاستقرار للأفراد، وينهض بالوطن العربي.

9- تخصيص صندوق عربي يتكفل بنفقات دراسة الأذكياء النابغين في مجالات العلوم والتقنيات في كل بلد عربي، بحيث يُختارون بطريقة منهجية تضع لها الجهات المختصة أسسها ومبادئها، كما تضع لتكوينهم مخططًا زمنيًا يراعي الحاجات ويرمي إلى الاستغناء عن الأجنبي، ويكوّن في نفس الوقت الأطرَ العلمية العليا التي يمكن أن تبدع وتخترع وتصنع. ولعل من المفيد في هذه النقطة أن توضع عقولنا المهاجرة في الحسبان، فقد تكون هي عماد التكوين، لنتجنب الخلفيات التي تجعل المؤطر الأجنبي يُدخل الكثير من وسائل العلم في حيز الأسرار المضنون بها على غير أهلها. وغنى عن القول أن إنجاز هذا العمل لا يمكن أن يتم إلا بإعداد التجهيز الفائق، والمختبرات الراقية، والإمكانات المادية الضرورية.

10- اعتبار المدينة مؤسسة تربوية يجب الحرص على سلامتها لغة. إذ تعتبر المدينة بكل فعالياتها امتدادًا للعملية التربوية في البيت وفي المدرسة. كما أنها تعتبر مساعدًا فعالًا لتلقين اللغة، بل والعمل على تكوين الملكة اللغوية فيما هو سائر من أحوال الناس ومعاشهم وعلاقاتهم الاجتماعية. ولا يقل دور ما تستعمله واجهات وإعلانات ومنشورات المدن خطرًا وتأثيرًا عن وسائل الإعلام الأخرى. كما يمكن لهذه الكتابات المدينية التي أصبحت ذات أثر فعال في العملية الاقتصادية، أن تكون رمزًا حضاريا يؤثر إيجابًا وسلبًا في تفكير وشخصية الفاعل الأول في المدينة، وأعني "الفرد" تاجرًا ومستهلكًا.

وإذا كانت الأمة العربية اليوم تريد أن تتحقق من ثوابتها التي هي: اللغة العربية، المعبر الحقيقي عن شخصيتها ومقوماتها، والاستقلال الحضاري الواعي الذي لا يريد أن يجعل من تاريخه كل شيء، ولكن لا يريد في نفس الوقت أن يعتبر أن حضارة الغرب هي مدار كل شيء، والنضج الاقتصادي الذي يفهم حق الفهم مدى تشعب العلاقات المحلية والإقليمية والعالمية، فإن هذا التحقّق قد ينطلق من هذا الرمز المتألق ضوءًا أو ألوانًا في مدن الناس، خصوصًا عندما

يكون سليمًا في اللغة وفي المفهوم وفي الوعي. ومخجلٌ اليوم ما نراه مكتوبًا في واجهات المدن والمتاجر، إنه عَيْبٌ لغوي مزعج ومخز، فلا هو عربية ولا هو إنجليزية ولا هو فرنسية ولا هو شيء يذكر.

والحقيقة أن أهمية التعريب لا تتجسد في جهود المؤسسات اللغوية والمهتمين بالتعريب، ولكنها وبالدرجة الأولى، تجد لها أهميتها، بل وكل قضاياها في إيمان المجتمع العربي، علماء وعاملين وأناسًا عاديين، بقدرة اللغة العربية على مسايرة الضروري في الحياة العادية والمناشط العلمية، من جهة، وبأن قضية المصطلح وما يقابلها من قضايا تحويل المصطلح من لغة إلى أخرى، عند غيرنا من الأمم – أي الفرنسة (نقل المصطلحات من لغة ما واستعماله في اللغة الفرنسية) بالنسبة للفرنسيين، أو النَّرْوَجة (من اللغة النرويجية) او الألمنة (من اللغة الألمانية) إلى غير ذلك – أمر طبيعي لأسباب ثلاثة:

أولًا: أن المجتمع الإنساني واحد في تدبير الأرض وإن اختلفت ألوانه وألسنته.

ثانيًا: أن من طبيعة هذا الوجود الإنساني، أن يكون مجتمعات تختلف ألسنتها ولغاتها.

ثالثًا: أن كل مجتمع يُسهم بحظ في رفاهِية المجموع أو في شقائه، فيضع الآلة ومسماها، ثم تحتاج الأمم الأخرى إلى استعارة ذلك أداةً ولغة، وقد تبحث لها عن مقابل لغوي خاص بها.

ومن هنا فقضية المصطلح اليوم، ليست من خصوصيات قضايا اللغة العربية، ولا هي مشكل انفردت به. وتاريخ العلوم منذ الزمن القديم إلى اليوم، يدل على هذه البديهية التي تخرج عن بال بعض الناس. وعليه فقضية المصطلح في لغة ما، هي قضية أهل لغة ينتجون علمًا أو لا ينتجون. فإن كانوا ينتجون هذا العلم، أنتجوا معه لغته، وإذا استعاروه استعاروا لغته أوهم مدعوون إلى صناعة لغوية عليها أن تجد مقابل مسميات العلم الدخيل. وقد كان أهل العربية في عصورهم الذهبية صانعين للعلوم وللغاتها، وعندها شغلوا الأمم الأخرى بالبحث عن المصطلح اللاتيني أو الأجنبي الذي يقابل العربية، لِيَعُمَّ أولئكَ الأجانب العلمُ وينهلوا من حياضه. وحالت الأحوال وأصبح الغني اختراعًا فقيرًا، مع بقاء لغته غنية لطبيعة في تكوينها وميزة خصت بها. ولعل هذه

الخاصية هي التي حركت الهمم منذ عصر النهضة وإلى اليوم، بُغْية إيجاد اللفظ للعلم الوارد والمخترع الجديد.

إن اعتبار التعريب ووضعَ المصطلح قضيةٌ طبيعية غيرَ شاذة، هو الضمان الوحيد لخلق تعريب سليم يحافظ على مقومات شخصيتنا العربية التي يجب أن يكون من ميزاتها الوحدةُ في اللغة والثقافة والمنهج والسلوك الحضاري البناء، والتحررُ من كل قولبة فكرية أو علمية أو اقتصادية. وهذا يهيئ لأمتنا من أسباب الصحة النفسية ما يعيدها إلى الاعتدال، لتؤمن بأنها أمة أسهمت في بناء الصرح الحضاري بالقدر المراد، ويجب أن تستفيد من نتائج هذا الصرح اليوم بالقدر المراد، محافظة على قيمها الدينية والتاريخية والخلقية الإنسانية، مع العزة واعتبار اللغة العربية مَصْهرًا مباركًا يصوغ آمالها صوغًا واقعيًا يؤكد أن اللغة القومية هي كيان الإنسان العربي، وهي التي تشكل وجدانه وعقله، وهي رمز الفخار في وطنه، فإذا عوَّض بها غيرها في الحديث بين أهله، والتأليف في علمه لأهله، فهو مهاجر دومًا، ويعيش غربة أبدية. ولا فرق عند أصحاب اللغة المستعارة بين مهاجر الخبز ومهاجر اللغة، فكلاهما يحمل دونيته ويعيش كيانًا من الدونية والعَوَزِ المادي والمعرفي. وكلما ملك المواطن العربي لغة الآخر مع لغته بمقدار الحاجة، وعرف كيف يتصرف في ذلك، كان أقدر منه على فهم حقائق الحضارات والاستفادة من العلم بوعي.

# طرق وضع المصطلحات العلمية عند العرب

**د. محمد حسن عبد العزيز**
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
جمهورية مصر العربية

حين عرف العرب علوم اليونان والفرس والهند، ورغبوا في نقلها إلى العربية ظهرت حاجتهم إلى وضع الألفاظ المكافئة لمفاهيم تلك العلوم المنقولة، ونعني بالوضع: تعيين لفظ لِمعنًى، وقد اتخذوا لذلك طريقين أساسيين: اللفظ العربي واللفظ المُعرَّب.

وقد شغلت قضية الوضع العلماء جميعًا، بَيْد أن المترجمين والفلاسفة كانوا أسبق في الاهتمام بها نظريًّا وعمليًّا؛ لأن الفلسفة ليست علمًا عربيًّا، وما عرفوه عنها منقول بتمامه من اليونانية وكذلك كان الحال عندما نقلوا الطب والهندسة وغيرهما من العلوم.

وقد كان الفارابي المعلم الثاني (ت 339هـ) من أسبق الفلاسفة الذين تحدثوا عن الوضع اللغوي وعن طرقه، ففي حديثه عن الفلسفة والمِلَّة يحدد طرق الوضع بعامّة فيقول: وعند حاجة الناس والعلماء إلى ألفاظ يعبرون بها عن المعاني يعملون أحد شيئين:

– إما أن يخترع ويُركِّب من حروفهم ألفاظا لم يُنطق بها أصلاً قبل ذلك.

– وإما أن ينقل إليها ألفاظا من ألفاظهم التي كانوا يستعملونها قبل ذلك في الدلالة على مَعانٍ أخرى غيرها"[1].

---

[1] ***الحروف***، ص 147، الفارابي أبو نصر، تحقيق محسن مهدى دار الشرق، ط2.

والطريق الثاني أجود؛ لأن اختيار لفظ مستعمل في معنى قريب من معناه له غَناء في التعليم والتفهيم، كما يقول، أما الطريق الأول فقد سكت عنه، ولعله أدرك أن الناس والعلماء ندر ما يسلكونه، وهذا صحيح.

ثم يتحدث عن الفلسفة اليونانية وكيف وضع لها النَّقَلَةُ أسماءها: "والفلسفة الموجودة اليوم عند العرب منقولة إليهم من اليونانيين، وقد تحرى الذي نقلها في تسمية المعاني التي فيها أن يسلك الطرق الآتية:

– النقل بلفظ عربي ومن ألفاظها العربية الألفاظ الخمسة المعروفة: الجنس والنوع والفصل والخاصة، والعرَض...)، فهي مأخوذة من اليونانية genos و eidos و diaphora و idicn و symbékos.

– استعمال الأسماء اليونانية (مثل الهيولى (hyle) والأسطقس element) وهي قليلة كما يقول.

– الجمع بين اللفظ العربي وغيره (المعرَّب) كاستعمالهم (الهيولى) والطينة أو العنصر...إلخ[2].

وبهذا البيان الواضح تتحدد طرق الوضع الممكنة في العربية بالنقل أو بالتعريب أو بالجمع بينهما، وهذه بأعيانها الطرق الرئيسة للوضع حتى اليوم.

**أ– اللفظ العربي**

ذكرنا أن الفارابي قد أوضح كيف ينتقل مدلول اللفظ، من وضعه الأول إلى وضع آخر، وكيف يبقى مشتركًا بين المعنى الثاني والأول، وطريق النقل – عنده – هو الأجود. وذلك إنما يكون في الأشياء التي تُستنبط في الصنائع التي تنشأ، وعلى العالِم أو صاحب الصناعة أن يتحرز في اختياره حتى لا يؤدي الاشتراك إلى لبس أو غلط.

---

[2] السابق، ص159.

وقد يكون التغير بالاستعارة (أو المجاز) يقول: فإذا استقرت الألفاظ على المعاني التي جعلت لها راتبةً أولًا... صار الناس إلى النسخ والتجوز في العبارة بالألفاظ، فَعُبِّر عن المعنى بغير اسمه الذي جعل له أولاً، متى كان له به تعلق ولو كان يسيرًا، إما لشبه بعيد أو غير ذلك".[3]

بيد أن هذا التجوز والمسامحة إنما تستعمل في الصنائع التي يحتاج الإنسان فيها إلى إظهار القوة الكاملة في استعمال الألفاظ... والصناعة التي حالها هذه الحالة هي صناعة الخطابة وصناعة الشعر... أما في العلوم والفلسفة فلا يجوز ذلك؛ لأن الاستعارة فيها تخييل وهو شعر، "فالاستعارة صورة من صور النقل وإن كانت خاصة بصناعة الشعر والخطابة".

وقد يكون التغير بالاشتقاق، وهو يعني بالاسم المشتق المأخوذ من الاسم المجرد (المصدر)، كأن تأخذ (قائم) من (القيام) ليدل على فاعل الحدث بعد تغيير شكله بالزيادة أو بالنقص أو بتبديل بعض حروفه أو حركاته.[4]

بيد أنه يستعمل الاشتقاق أيضا بمعنى النقل من الاسمية إلى الوصفية بالنسب، فالكمية مشتق من (كم) والكيفية مشتقة من (كيف).. ومنه أيضًا استعمال الهُوية من (هو).. والإنسانية من (إنسان).

في باب (العبارة) من كتابه الفريد ***البرهان في وجوه البيان*** يتحدث ابن وهب الكاتب (المتوفى في القرن الرابع) عن صور البيان بالقول، ما هو منها عام في كل اللغات وما هو خاص بالعربية، ويذكر من الاستعمالات الخاصة بالعربية الاستعارة والتشبيه والاشتقاق واللحن والوحي والرمز.. والاختراع.[5]

---

[3] السابق، ص159.

[4] ***العبارة***، ص23، الفارابي، تحقيق د. محمد سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1976، الحروف، ص 225.

[5] ***البرهان في وجوه البيان***، ص101 تحقيق د. حفني شرف، مكتبة الشباب.

ويعنينا منها ما ذكره عن الاختراع، والاستعارة، والاشتقاق؛ لأنها الوسائل التي استخدمها العرب في التعبير عما لم يكن يعرفونه من العلوم والصناعات.

أما الاختراع فيعني به الوضع اللغوي باللفظ العربي أو المعرب، ويرى أنه حق لكل من استخرج علمًا أو استنبط شيئًا، ويذكر أن أرسطو قال بإطلاقه لكل محتاج إلى تسمية الأشياء، وأنه ليس مما ينفرد به العرب، يقول: وأما الاختراع فهو ما اخترعت له العرب اسمًا فيما لم تكن تعرفه، فمنه ما سموه من عندهم كتسميتهم الباب في المساحة بابًا والجريب جريبًا (مساحة من الأرض، مكيال: نحو 64 كيلوجرامًا) والعشير عشيرًا (في مساحة الأرضين عُشر القفيز والقفيز عشر الجريب... ومنه ما عربته، وكان أصل اسمه أعجميًّا كالقسطاس المأخوذ من كلام الفرس، وكل من استخرج علمًا واستنبط شيئًا وأراد أن يضع له اسمًا من عنده، ويواطئ من يخرجه إليه فله أن يفعل ذلك، ومن هذا الجنس اخترع النحويون اسم الحال والزمان والمصدر والتمييز والتبرئة، وأخرج الخليل ألقاب العروض فسمى بعض ذلك الطويل، وبعضه المديد، وبعضه الهزج، وبعضه الرجز، وقد ذكر أرسطوطاليس ذلك، وقال: إنه مطلق لكل أحد احتاج إلى تسمية شيء ليعرف به بأن يسميه بما شاء من الأسماء "وهذا الباب مما يشترك العرب وغيرهم فيه، وليس مما ينفردون به"[6]

ويعني ابن وهب بالاشتقاق أن نأخذ من لفظ لفظًا آخر مع مناسبة بينهما في المادة والصورة، يقول: الاشتقاق هو ما اشتق لبعض الأفعال من بعض، كما يشتق من (الزيادة) اسم زيد وزياد ومَزيد...إلخ، وهو مأخوذ من شقك الثوب أو الخشبة، فيكون كل جزء منها مناسبا لصاحبه في المادة والصورة".[7]

ثم يأخذ في بيان أبنية الألفاظ من الأسماء والأفعال، وحروف الزيادة ومعانيها، وكيف يصاغ فعل الأمر والمضارع، وكيف تكون حركة عين المضارع في الأفعال الصحاح والمعتلة. يذكر

---

[6] السابق، ص126، 115.

[7] السابق، ص102.

ذلك بإيجاز شديد.

وحديثه عن الاستعارة يدور حول استعمالاتها التخييلية بخاصة يقول: ومن الاستعارة ما قدمنا من إنطاق الربع وكل ما لا يَنْطِق إذا ظهر من حاله ما شاكل النطق، ومما جاء من هذا النوع في القرآن چ ئى ئې ئى ئى ئە ى ى ې ې ې چ [ق: 30]. ويشير أيضًا إلى وجه الحاجة إلى استعمالها بعامة يقول: وأما الاستعارة فإنما احتيج إليها في كلام العرب؛ لأن ألفاظهم أكثر من معانيهم، وهذا ليس في لسان غير لسانهم، فهم يعبرون عن المعنى الواحد بعبارات كثيرة، وربما كانت مفردة له، وربما كانت مشتركة بينه وبين غيره، وربما استعملوا بعضَ ذلك في موضع بعضٍ على التوسع والمجاز.[8]

ونجد الحديث عن طرق الوضع في العربية مكتملاً عند الخوارزمي (ت 380، 387هـ) وهو صاحب كتاب ***مفاتيح العلوم*** أَوْفَى معجم لمصطلحاتها في القديم.

ففي مقدمة هذا المعجم الفريد يحدد الطريق الذي سلكته العربية في إنشاء جهازها المصطلحي، وهو الاختراع أو التعريب. يقول مشيرًا إلى ما ذكره منها في كتابه: "أكثر هذه الأوضاع أسامي وألقابًا اخترعت وألفاظًا من كلام العرب أُعْرِبت"[9]، وهو يعني بالاختراع نقل لفظ عربي مستعمل من معنى عام إلى معنى خاص بعلم أو صناعة.

وفي تضاعيف الأبواب التي خصصها لكل علم من علوم العرب أو العجم يبدي ملاحظات مهمة عن طبيعة العملية الاصطلاحية وما روعي في إنجازها من قواعد، فعند حديثة عن ألقاب العروض ناسب أن يتحدث عن اشتقاقاتها، وهو يعني بالاشتقاق نقل اللفظ من معنى سابق إلى معنى لاحق لمناسبة بينهما يقول: "...والمعاقبة مشتقة من العُقبة في الركوب، والمراقبة مشتقة من مراقبة الكوكبين، وهو أن يَغْرُب هذا عند طلوع هذا كأنه كان يراقبه، والخزم مشتق من خُزامة

---

[8] السابق، ص115.

[9] ***مفاتيح العلوم***، أبو عبد الله الخوارزمي، ص 5 تحقيق فان فلوتن، قدم له في طبعة محدثة د. محمد حسن عبد العزيز، الهيئة العامة لقصور الثقافة 2004م.

البعير..."[10]

وحين يتحدث عن الحميات وأنواعها مثل: حمى يوم.. والدِّق.. والوِرد والغِب...الرِّبع،. والخِمس.. والسِدس. يشير إلى مأخذها قائلا: وهذه الأسماء مستعارة من أظماء الإبل"[11] والظِّمء ما بين الشربين وجمعه أظماء.

ولعلك لاحظت كيف انتقلت هذه الألفاظ إلى لغة الخاصة من العلماء وأهل الصناعات من لغة عامة الناس.

وعند حديثة عن طبقات العين يبين السبب في اختيار أسمائهم قائلا: طبقات العين سميت بالأشياء التي تُشبهها كالمشيمة شبهت بالمشيمة وهى التي فيها الولد في البطن، والشبكية شبهت بالشبكة، والعنكبوتية شبهت بنسيج العنكبوت، والقَرْنية شبهت بالقرن في صلابته..."[12]

ووجه الشبه مَرْعِيٌّ أيضا في الأسماء التي تنتقل إلى الوصفية بياء النسب، يقول في أنواع النبض:.. مثل النملي والدودي والمنشاري والغزالي.. والمطرقي والموجي ونحو ذلك من التشبيهات".[13]

ومن أهم ما تنبه إليه استخدام الأطباء صيغة (فَعُول) لأسماء الأدوية بكثرة يقول: وأسماء الأدوية يكون أكثرها على (فعول) بفتح الفاء كالغسولات والنطولات والسكوبات والوجورات والسعوطات واللدودات واللعوقات".[14]

وهذا المسلك الأخير مما جرى عليه مجمع اللغة العربية في كثير من مصطلحاته.

---

[10] السابق، ص165.

[11] السابق، ص154.

[12] السابق، ص154.

[13] السابق، ص183.

[14] السابق، ص178.

**ب- المعّرب**

تسمى العرب اللفظ الأعجمي الذي أدخلته في لغتها مُعْرِبًا ومعرَّبا ويقال فيه: عربته العرب وأعربته، والتعريب هو نقل اللفظ الأعجمي إلى العربي، وليس لازمًا فيه أن تتفوه به العرب على مِنْهاجها، فما أمكن حمله على نظيره حملوه عليه، وربما لم يحملوه على نظيره وتكلموا به كما تلقوه. واللغويون متفقون على أن العلم الأعجمي ليس بمعرَّب، بل يقال فيه (أعجمي).

شُغل النحاة واللغويون بالتعريب؛ لأن المعرب – وإن استعمله العرب وأشبه كلامهم – يعدونه غريبًا بين كلامهم، وهو هُجْنة على ألسنة الفصحاء أو أقلامهم. وقد عالجوه – مع ذلك – علاجًا وافيًا من نواح عدة، من ناحية الاستدلال على عربية اللفظ أو عجمته، من حيث موافقته أو مخالفته للأبنية العربية، ومن حيث موافقته أو مخالفته للمسموح به في العربية من اجتماع الحروف أو تواليها، ومن ناحية مذاهب العرب في استعماله، ومن حيث خضوعه لقواعد العربية في الاشتقاق والتصريف، ومن ناحية القياس عليه أو الاقتصار على ما سمع منه، ومن ناحية تدوينه في المعاجم ونسبته إلى لغته التي منها نقل.

ولكي يقال إن اللفظ معرب ينبغي أن ينقل غالبًا بلفظه ومعناه من اللغة التي اقترض منها، وقد استدل اللغويون على عربية اللفظ بأن يكون له جذر في العربية بمعناه، وعلى عجمته بألا يكون له جذر عربي بمعناه فـ(تنور) أو (أستاذ) أعجميان، إذ ليس في العربية جذر (ت ن ر) أو (س ت ذ).[15]

**المجال التطبيقي**

خصص الخوارزمي الجزء الثاني من كتابه لمصطلحات علوم العجم من اليونانيين وغيرهم من الأمم، وأغلب مصطلحات هذه العلوم من المعرب.

---

[15] ***التعريب بين القديم والحديث***، ص51-56، د. محمد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، 1990م.

وكان الخوارزمي يعرف الفارسية، ومن المحتمل أنه كان يعرف شيئا من اليونانية والسريانية والسنسكريتية.[16]

وقد عُني عناية كبيرة برد الألفاظ المعربة إلى لغاتها التي منها نقلت، وقد فسر اشتقاقاتها تفسيرًا دقيقًا.

ومن أمثلة ذلك قوله: "الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهي (فيلاسوفيا)، وتفسيرها محبة الحكمة، فلما أُعْرِبت قيل فيلسوف، ثم اشتقت الفلسفة منه... والترياق مشتق من (تيريون) باليونانية وهو اسم لما ينَهْشَ من الحيوان كالأفاعي ونحوها، ويقال له بالعربية دِرْياق.. ومن أسماء الأدوية المفردة (ذهرج)، وهو بالسريانية (مرارات فيلا).. وصناعة الهندسة تسمى باليونانية (جو مطريا)، وهي صناعة المساحة، وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة، وفي الفارسية (أندازه) أي المقادير.. وعلم النجوم يسمى بالعربية التنجيم وباليونانية (أصطرونوميا) و(أصطر) النجم و(نوميا) هو العلم.. والزيج كتاب منه يُحسب سير الكواكب، ومنه يُستخرج التقويم أعني حساب الكواكب لسنة سنة وهو بالفارسية (زه) أي الوتر، ثم أعرب فقيل (زيج)... والموسيقا: ومن آلاتها الأرغانون وهي آلة لليونانيين والروم.. وصياغة الحيل وتسمى باليونانية (منجانيقون) وأحد أقسامها جرّ الأثقال بالقوة اليسيرة... والمهندم لفظة فارسية مشتقة من (هندام) بالفارسية، وهو أن يلتصق الشيء بآخر فلا يمكن تحريكه من غير أن يلصق بلحام..[17]

ومن خلال تفسيراته للأمثلة السابقة ومن غيرها مما يفيض بها كتابه نتبين أن الذين استعملوا هذه المصطلحات تركوا بعضها على حالة دون تغيير في بنائه، وهذا كثير وبخاصة في أسماء الأعيان، وتصرفوا في بعضها ليلائم أبنيتهم وليشتقوا منه ما شاءوا من صيغ، فمن الفلسفة اشتقوا فَلْسَف وتفلسف وفيلسوف ومن هندسة أخذوا هَنْدس ومهندس، ومن زنجار أخذوا زنجر ومُزَنْجر...إلخ.

---

[16] انظر كتابي ***المصطلح العلمي عند العرب***، ص108.

[17] انظر ***مفاتيح العلوم***، ص 131، 136، 153، 163، 202، 209، 236، 248، 249، 252، ومواضع أخر يسهل الرجوع إليها.

أما فيما يتصل بما حدث لهجاء الكلمة الأعجمية بعد تعريبها فله فيها ملاحظات مثل قلب (هـ) (زه) الفارسية جيما كما في (زيج) وهو تغيير مطرد، وفي أغلب المواضع يكتفي ببيان المصطلح قبل تعريبه وما آل إليه بعد.

حدد حنين بن إسحق (ت 260هـ) – وهو من أعظم مترجمي الإسلام من غير شك – الطرق التي تبنى بها المصطلحات في العربية على النحو الآتي:

كان يستعمل الألفاظ العربية الجارية في الاستعمال: مثل: الشترة، والظفرة، والشعيرة، والرمد، والسَّبل.. وهي من أسماء أمراض العين. كما يستعمل الألفاظ الدالة على المفاهيم العامة مثل: الالتهاب، والاختناق، والاحتقان، والامتلاء، والاستفراغ، والانقباض..إلخ؛ مبقيًا إياها بمعانيها العامة أو ناقلًا إياها إلى المجال الطبي مثل: الاستسقاء اسما لمرض.

وقد انتفع حنين بكثير من المشتقات الجارية في الاستعمال، وقاس عليها ألفاظًا عديدة تعبر عن المادة الطبية مراعيًا المعاني الصرفية للأبنية، وسوف نؤجل تفسير مذهبه إلى الفقرة التالية عند الحديث عن مذهب الرازي في التعريب.

كان يترجم المصطلحات الأعجمية بما يرادفها في العربية فـ(قريسطالويذاس) يرادفه الرطوبة الجليدية و(أيالويذاس) يرادفه: الرطوبة الزجاجية و( أو ويذاس) يرادفه: الرطوبة البيضية...إلخ. ويجمع بين المصطلحين الأعجمي والعربي. وقد يكتفي بالمصطلح الأعجمي؛ يقول مثلًا: الرمد ثلاثة أنواع، أحدها يقال له باليونانية (تاراكسيس) وهو تكدر يعرض في العين والنوع الثاني ويقال له (أوفثالميا)، ويكون على ضربين.. والنوع الثالث ويقال له (خيموسيس)...إلخ.[18]

لم يجد حرجًا في استعمال اللفظ الأعجمي إذا لم يجد ما يكافئه من الألفاظ العربية، أو لم يتمكن من ترجمته بعبارة مؤدية لمعناه، وبخاصة أسماء الأعيان النباتية والحيوانية والمعدنية مثل: هوفوقسطينداس ونشاستج والسكبينج والرازيانج والنوشادر...إلخ.

---

[18] انظر ***العشر مقالات في العين***، ص74، 75، تحقيق ماكس مايرهوف، المطبعة الأميرة بمصر، 1938م.

ولعلّنا نلاحظ أن حُنينًا لم يحاول أن يخضع المصطلح الأعجمي لأوزان العرب أو أبنيتهم فتركه على حاله دون تغيير في بنائه، ويبدو أنه قد اضطر إلى التوسع في استعمالها، ولعله كان ينتظر من يستبدل بها غيرها من العرب، وقد اجتهد خلفاؤه من المترجمين والأطباء في ذلك اجتهادًا ظاهرًا.أما فيما يتعلق بهجاء المصطلحات الأعجمية، فلم يتحدث عن مذهبه وقد جرى في كتابتها على مذاهب العرب في تعريبها، وهي محكومة بضوابط استخرج بعضها سيبويه في كتابه الشهير ففي (باب ما أعرب من الأعجمية) يتحدث عن إبدالهم الحرف الذي بين القاف والجيم جيمًا، وإبدال الحرف الذي بين الباء والفاء فاء.. وغير ذلك.

مضى الرازي (ت 313هـ) على ما استعمله المترجمون والأطباء الذين سبقوه وبخاصة حنين بن إسحق الذي ينقل عنه كثيرًا، من ألفاظ عربية في المعاني العامة وفي بعض الأعيان، ومن الجمع بين المصطلح الأعجمي وترجمته أو الاكتفاء بأحدهما.

ويُبقي الرازي المصطلح الأعجمي على حاله في لغته غالبًا كما عرَّبه أسلافه من المترجمين والأطباء، بيد أنه حين أراد أن يصنع مُعْجمًا لأسماء الأمراض والأدوية يجمع فيه ما يتردد منها في كتب الطب والصيدلة أشكل الأمر عليه لسببين أن العربية – وهذا أمر غير مستغرب – ليس بها حروف تفي بما في اليونانية والسريانية والفارسية والهندية من حروف وهي اللغات التي تنتسب إليها المصطلحات المجموعة مثل (ب ج ك ف) ولعله يريد (ب و ج و گ و ق)، وأن المترجمين لم يتحروا الدقة في نقلها وتهجَّوها بأنواع من الهجاء مختلفة، وقد أوضح الرازي في كتابه ***الحاوي*** – الطريقة التي عالج بها هاتين المشكلتين، وكيف أنجز معجمه.

أما ما يعنينا هنا فإنه سجل الأهجية المتعددة التي صور بها المترجمون ما ليس في العربية من أصوات اللغات السابقة، وقد وضعها في ضوابط على النحو الآتي: وقد تبدل حروفٌ مكان حروف؛ مثال ذلك أن الجيم تبدل بالغين فيقال جالينوس وغالينوس وكالينوس وخالينوس... وربما أُسقطت الألف من أول الاسم.. مثل (أغالوجن) و( غالوجن).. والألف والهاء مما تبدلان فيكتب

(أورسمن) و(هورسمن)...إلخ.[19] وقد اكتفينا بالأمثلة السابقة؛ لأن في النص اضطرابًا في التمثيل، وربما صُحِّفت بعض الكلمات.

وقد اهتم الرازي في معجمه الطريف بنسبة الأسماء التي يضمها إلى لغته، واستعمل الرموز في جدول لهذا الغرض يقول: وأُعَلِّم على الاسم اليوناني (ى) وعلى السرياني (س) وعلى الفارسي (ف) والهندي (هـ) وعلى العربي (ع ).[20]

## ملاحظات عامة عن العملية المصطلحية

لقد أصبح النهج الذي خطه حنين في إيجاد المصطلحات الطبية ممهدًا ملتزمًا مما يعفينا من الحديث عنه عند أسلافه كابن سينا وابن البيطار وغيرهما من أكابر المصنفين في الطب والصيدلة، ولكننا نشير فحسب إلى بعض الملاحظات الكاشفة لهذا النهج والتي تنتثر في تضاعيف مصنفاتهم، وانظر مثلا ***القانون*** لابن سينا (ت 428هـ).

## دور الاشتقاق في توفير المصطلح العلمي

للاشتقاق دور كبير في توليد عشرات من الألفاظ من أصل أو جذر واحد، وكثرة الأبنية أو القوالب التي تُصب فيها الأصول أو الجذور وتَعدُّدُ معانيها يجعل معينه اللفظي والدلالي يكاد لا ينفد. ومما يعطي لهذا الدور أهميته البالغة أنه سمة مميزة للغات السامية بعامة وللغة العربية بخاصة؛ ومن ثَم فهو طاقة ذاتية مواتية لطبيعة العربية.

وقد وجد العلماء فيه ما يسدُّ حاجتهم من المصطلحات، فاستعملوا من الألفاظ المشتقة ما جرى منها في اللغة العامة بمعانيها المتداولة أو بِمعانٍ أخرى نسبوها إليها، كما أنهم لاذوا بِه حين لم يسعفهم المستعمَل أو المتداوَل فولَّدوا – على غراره – كلمات جديدة لم يسبق استعمالها في المعاني التي احتاجوا إلى التعبير عنها، وإن كانت جميعها من جذور موجودة بالفعل.

---

[19] ***الحاوي في الطب***، الرازي ج 22 ص 61-68.

[20] السابق ص61-68.

ولتحديد دوره في الاصطلاح العلمي في القرن الثالث والرابع الهجريين رجعت إلى ما استعمله حنين بن إسحق من مشتقات مصدرية أو فعلية أو وصفية في كتابه ***العشر مقالات في العين***، وكذا ما استعمله الرازي في الجزء الثاني من كتابه ***الحاوي*** وهو الجزء الخاص بأمراض العين، ولا يتسع المقام لبيان نتائج هذه الدراسة، ونكتفي بمثال منها.

يتعدى الفعل في العربية بنفسه مثل (كتب)، وقد يتعدى بالهمزة مثل (أخرج) من (خرج)، أو بالتضعيف مثل (كرَّم) من (كَرُم)، والمتفق عليه بين النحاة أن التعدية بالهمزة أو بالتضعيف سماعية.

والتعدية – وهي من المعاني الصرفية – تنتقل من الفعل إلى ما يشتق منه من اسم فاعل ومفعول وغيرهما. وزيادة الهمزة أو التضعيف لا تأتيان للتعدية فحسب، فهما يلحقان الفعل اللازم والمتعدي، فمن معاني التضعيف – وهو مثالنا المختار – التكثير والمبالغة في الفعل والنسبة والسلب، أو اتخاذ الفعل من الاسم، وهي معانٍ ضروريةٌ في الكلام، وفي الاصطلاح أكثر ضرورة.

وتتطلب الأعمال الطبية من جراحات واستعمال للأدوية التعبير عن إحداث أثر من شخص أو دواء في شخص أو عضو...إلخ. كما يقتضي التعبير عن الآلة التي تستعمل للفعل.. وغير ذلك مما يُعبَّر عنه بالمشتقات في العربية. ولم يتوقف المترجمون والأطباء عند ما هو سماعي أو قياسي من ذلك بل استجابوا فيه لحاجاتهم التعبيرية وحكَّموا في ذلك سلائقهم وطردوا الباب على وتيرة واحد.

فهم يقولون: يُغَرِّي ويملِّس وينشِّف ويُخفف ويطول ويمدد ويسخن ويسكن ويثخن ويحلل ويكمد ويعفن ويرطب ويصلب ويجلِّي ويسدد ويلطف ويهتك ويهيج...إلخ، وهي من (فَعّل) ويقولون: يُرخي ويُنضج وينهك...إلخ، وهي من (أفعل) وبعض هذه الأفعال لازم وبعضها متعد.

وتتردد مشتقاتها من اسم فاعل وغيره فيقال: مُغَرٍّ ومملسٌ ومحللٌ ومكمدٌ...إلخ. ولنبسط القول في بعض هذه الاستعمالات.

يقول الرازي في أجناس أدوية العين نقلًا عن حنين: "وهي سبعة؛ الأول مُسَدِّد مغر، مملس، والثاني مُفَتِّح، والثالث جلَّاء، والرابع مُنْضج، والخامس مخدر، والرابع معفِّن، والسابع قابض، وفي أثناء التفسير تتردد أفعال ومشتقات أخرى مرادفة.

فالدواء المسدَّد يجفف الرطوبات أو الأنسجة، ويمنعها من التحلل، كما أنه يُغرّي أي يصنع طبقة من الغِراء، ويملّس أي يجعل الخشن أملس.

وفي المعاجم: سد الثُّلمة أصلحها ووثقها، وسد الشيء أغلق خلله.. ولو أراد هذا فحسب لقال (سادٌ) على ما يقتضيه القياس من (سدَّ).

وفي المعاجم: غَرِى السِّمِن قلَبه لزق به وغطاه، والجلدَ ألصقه بالغراء، ولم تذكر (غَرَّى) ولو أراد اسم الفاعل من (غَرِي) لقال (غارٍ).

وفي المعاجم: مَلُسَ الشيءُ لان ونعم ملمسه، ومَلَّس الشيءَ: جعله أملس، وهذا المعنى الأخير هو ما يراد في النص.

فثمة معنى طبي يراد التعبير عنه ولا يغني فيه اسم الفاعل من الثلاثي؛ ومن ثَم أُوثر فيه اسم الفاعل من غير الثلاثي من (فَعَّل) ولا يكتفي فيه بنقله من اللزوم إلى التعدي، بل أريد منه التكثير والمبالغة في الفعل أو الجعل.

والدواء المخدَّر يراد به ما يخفف الوجع الناتج عن تَأَكُّل القروح.

وفي المعاجم: خَدَرَه: ستره، وخدَّره فتَّره وكسَّره، والمعنى الثاني قريب مما يراد بالمُخدر، ولكنه ليس هو؛ لأن المقصود غيَّبه عن الوعي أو عطَّله عن الإحساس.

والدواء المعفِّن هو الذي يزيل العفن.

وفي المعاجم عَفِن الشيء عُفونة: فَسَدَ، وتعفَّن فسد وتفتت عند مسه، وعَفَنَ اللحَم غيره.

والدواء المقصود لا يفعل ذلك، بل يزيل العفن (قلع الخشونة)، والأنسب فيه (عَفَّن) أي أزال العفن، ولم يرد في المعاجم استعمال الهمزة للسلب من هذا الفعل.

والدواء الجلَّاء هو الذي يزيل السوائل أو القروح عن العضو المعالَج، ويُدَمِّل القروح ويصقل الأنسجة...إلخ، ولعل في اختيار صيغة (فعَّال) ما يؤكد ما قلناه من الحاجة إلى التعبير عن تكثير الحدث أو المبالغة فيه أو استمرار فعله.

**ومما نحن فيه ويتردد في الشرح:**

الأدوية المثخِّنة أي التي تجعل الشيء ثخينًا أي سميكًا.

وفي المعاجم: ثَخُن ككرم ثخونة: غلظ وصلب فهو ثخين، وليس فيها ثَخَّن بمعنى جعله ثخينًا.

وكَمَّد العضو أي وضع عليه الكِماد، وهي خِرْقة تُسَخَّن وتوضع على الموجوع.

وفي المعاجم: كمد كنصر: دق الثوب، وكمد فلانًا وضع له كِمادًا على موضع الألم ليرتاح، وظني أن الأطباء اشتقوها من الكماد اسمًا لا من الفعل.

هذه بِضع ملاحظات عن بعض استعمالات جرت في المصنفات الطبية، وهي تبين عن دور الاشتقاق في توفير ما يحتاجه الأطباء من ألفاظ للتعبير عن المعاني الخاصة بهم، **وتبين عن جراءتهم في استعمال الألفاظ ما سمع منها وما لم يسمع، وفي تخصيصها للمعنى الطبي المقصود.**

# بحوث في الترجمة

# الترجمة باللغة العربية

**أ. د. سام عمار**
كلية التربية بجامعة دمشق
الجمهورية العربية السورية

## 1. مقدمة

عندما تكون الشروط مثاليةً يترجِم المترجِم بالسهولة التي يقرأ بها أو يكتب، لأنه يمتلك في اللغتين تمكُّنَ مواطنٍ أصليٍّ (autochtone) مثقَّف؛ فهو يمتلك المستوى الأسلوبيَّ نفسَه الذي يمتلكه كاتب النصّ الذي يترجِمُهُ، ويتمتّع بتوافق عميق مع مشاعره (قناعاته السياسية أو الدينية، وإحساسه الشِّعريّ، ورغبته بالإبلاغ)، ويكون واعيًا أن عملية الترجمة تقوم على إعادة التعبير عن المعنى المعرفيّ أو العاطفيّ للنص الأصليّ. والترجمة من وجهة نظر مثالية هي عملية تحويل محتوىً فِكْريٍّ وانفعاليٍّ من لغة إلى أخرى، يقوم بها مترجِمٌ ثنائيُّ اللغة كليًّا، ومماثل تمامًا لكاتب النصّ الأصليّ، وواعٍ لردود الأفعال المحتملة لقُرّاء نصه. ومن وجهة نظرٍ نظريّةٍ، لن يُواجِهَهُ أيُّ عائقٍ ذي طبيعة لغوية، أو ثقافية، أو أسلوبية، أو موضوعيّة (ذات صلة بموضوع الترجمة)، أو مصطلحيّة.

ونادرًا ما تجتمع هذه الشروط عند التطبيق، فالمترجِم مثل أي كائن بشري، لديه نقاط ضعف خاصةٌ به من جهة، وناجمةٌ عن الظروف التي يعمل فيها من جهة ثانية. فهو ليس ثنائيَّ لغةٍ كليًّا، بل إن تمكُّنًا جيدًا جدًّا من اللغة الأصلية لا يُمْكِنُهُ أن يغطّي مجمل النظام المفتوح الذي هو المعجم. وهو لا يمتلك دائمًا الحدْس الشِّعريَّ الضروريَّ لإنشاء نصٍّ أدبيٍّ، فهو لا يمتلك بالضرورة قناعاتِ الكاتب نفسَها؛ إنه ليس كُلِّيَّ العلم، والبحثُ الوثائقيّ الأكثر تعمُّقًا لا يعادل أبدًا معرفة المتخصّص. والشروط التي يعمل فيها ليست كذلك ملائمة دائمًا (مددٌ قصيرة جدًّا يفرضها

معطي الكتاب، وصعوبة الوصول إلى الوثائق، ونصوص أصلية مكتوبة كتابة سيّئة، وغامضة عن قصد). وفي دَغَلِ المشكلاتِ هذا، يَظْهر المترجمون الجيدون ببراعة، وهم على وعي تامٍّ بتأثير هذه العوامل في عملهم الصعب.

وتطبيق الترجمة يكون في واحد من اتجاهين محدَّدين، ولكنّ كلمة *"ترجمة"* [1] لا تعطي أيَّ توضيح عن الاتجاه الذي نترجم فيه: أهو من اللغة الأجنبية نحو اللغة الأم أو بالعكس، من اللغة الأم نحو اللغة الأجنبية. ومع ذلك، يؤثّر اختيار اتجاه الترجمة تأثيرًا كبيرًا في النتيجة، وفي النص المترجّم.

## 2. بأية لغة يجب أن نترجم؟

في فرنسا تجري الترجمة تقليديًّا بلغة المترجِم الأم؛ فالمترجِمون الفرنسيون يترجمون من الإنكليزية إلى الفرنسية، ومن الإسبانية إلى الفرنسية، ومن الروسية إلى الفرنسية،..إلخ، ويترجم المترجمون الإنكليز والأميركان من الفرنسية إلى الإنكليزية. ورغبة في التسهيل، يسمي المترجِمون المهنيون هذا الاتجاه "اتجاهًا من B (اللغة الأجنبية) إلى A (اللغة الأم)". وعندما يتعلق الأمر بعملية الترجمة، يكون الحديث عن اللغة (A) أو عن اللغة (B) مفضَّلًا على مصطلحَيْ: لغة الانطلاق، ولغة الوصول (اللذين لا يحددان إلا لغة النصوص)، لأنه يحيل إلى مهارات المترجِم اللغوية.

إن المترجِم الجيد يتمتع بسهولة تعبيرٍ كاملة في لغته الأم؛ وبالمقابل تكون معرفته باللغة (B)، وبما اتُّفِق على تسميته بـ *"الثقافة"* الأجنبية، بالتعريف، أدنى من معرفته بلغته الأم

---

[1]. المقال مستقى من كتاب:

- Lederer, Marianne (2015). La traduction aujourd'hui, le model interprétatif, Cahiers 9, Champollion, Paris, Lettres modernes minard.

**والمؤلفة: ماريان لوديري:** عملت مديرة للمدرسة العليا للمترجمين الفوريين والمترجمين (ESIT) بين 1990 و1999، ثم مديرة لمركز البحث في علم الترجمة بجامعة السوربون الثالثة. ثم سميت أستاذة خبيرة في جامعة السوربون الجديدة (باريس الثالثة) عام 2002، وهو عام إحالتها على المعاش. رأست قبل ذلك قسم اللغات الأجنبية التطبيقية (LEA) في جامعة باريس السابعة.

وبثقافتها، وأدنى من معرفة مواطن أصليٍّ (autochtone) متكلمٍ لهذه اللغة، ومنتمٍ إلى هذه الثقافة. والمترجِم الذي يعمل باللغة (A) لا يكون متكيّفًا بَعْدُ، مثلَ المواطن الأصليِّ، مع حضارةِ الشعب الذي يترجِم نصوصه، وتاريخه، وأخلاقه، وأدبه، وعاداتِ مطبخه، وسواها.

وبسبب من ذلك يعتقد بعضُ المهتمين بالترجمة أنّ ترجمة نصوص من اللغة الأجنبية (B) إلى اللغة الأم (A) يجعل المترجِم يقع في أخطاء، وحالات سهو لا يقع فيها مواطِنٌ أصليٌّ يَقْلِب المعنى التقليديّ لينطلق من لغته (A)، ويعبّر باللغة (B).

وهناك بالتأكيد عدد كبير من الترجمات التي طُبِّقَت في غياب المعارف الكافية، والتي لا تحقِّق نتائجُها الكفاية المرجوة. ولكنّ هذا ليس دليلًا يدعونا إلى قلب اتجاه الترجمة الطبيعي، فلا شيء يسمح لنا بأنْ نسلِّم بأنّ من المستحيل أن نصل إلى معارف كافية. وحقيقة الوقوع في أخطاء لدى الترجمة من (B) إلى (A) لا يسمح لنا بإثبات الطابَع المحتوم لمثل هذه الأخطاء.

زد على ذلك أنّ الاتجاه من (B) إلى (A)، وهو ما تجب إدانته في الترجمات السيّئة، يتجلى في انعدام مسؤولية أولئك المترجمين الذين لا يقدّرون عواقب جهلهم، فيحاكون لغويًّا (calquent) أكثر مما يترجمون. ويمكننا أن نذكر[2] مئات الحالات التي تبيّن: كم تشوه هذه الترجمات الحقيقة؟ ولن أعطي منها فيما سيلي سوى ثلاثةِ أمثلةٍ، أحدها معجميّ، والثاني نحويّ، والثالث ثقافيّ.

### 1.2. المثال الأول المعجمي

نقدّم أولًا كلمة "cohabitation" التي يفهمها الإنكليز بالمعنى الإنكليزي للكلمة. إن كلمة "cohabitation" تَبَعًا لمعجم وبستر (Webster) تعني: live together as husbend and wife : *"العيشَ معًا زوجًا وزوجة"*. وقد استفادت هيئة الإذاعة البريطانية (BBC) في آذار

[2]. حيثما ورد الكلام بصيغة لمتكلم فهو للكاتبة ماريان لوديري.

1983 من هذا الاتجاه في الترجمة الحرفية لتقول عن السيدين: فرانسوا ميتّراند ( F. Mitterand et Édward Balladure) وإدوارد بالادير[3]:

"The problem is that of powersharing which the French call cohabitation since with them everything partakes of the pleasures of the flesh, even in politics[4]".

ترجمة النص الإنكليزي إلى اللغة العربية: "المشكلة هي مشكلة تقاسم السلطة التي يسميها الفرنسيون تعايشًا، لأن كل شيء لديهم يشارك في ملذات الجسد، حتى السياسة".

نحن نعلم أن البريطانيين يتهمون الفرنسيين بأنهم مولَعون بملذات الحُبّ الجسديّ، ومن هنا كان قبول كلمة *"مُسَاكَنَة"* الفرنسية بالمعنى الإنكليزيّ للكلمة!

**2.2. المثال الثاني النحوي**

من تجليات نقص المعرفة في اللغة الأجنبية تحويل المدلول (signifié) في لغة إلى دالٍّ (signifiant) من صيغة مماثلة في لغة أخرى، الذي يؤدي إلى تحريف الحقيقة التي حددها الأصل.

من هذه الشاكلة هذه المحاكاة النحوية الحَرْفيّة (calque) لعبارة: " a reduced energy consumption = une consommation d'énergie réduite: *استهلاك منخفض للطاقة"*، الذي يعطي الانطباع بضعف (faible) الاستهلاك، في حين أن الأصل لا يُخْبِر عن مستوى الانطلاق في الاستهلاك، ولكنه يبيّن فقط أنه انخفض.

---

[3]. فرانسوا ميتّراند هو رئيس الجمهورية الفرنسية في تلك الحقبة، وإدوارد بالادير هو الوزير الأول (رئيس مجلس الوزراء). المترجِم.

[4]. *إن الأمر يتعلق بتقاسم السلطة الذي يسميه الفرنسيون مساكنة، ففي نظرهم كل شيء يشارك في ملذات الجسد، حتى السياسة.*

وفهم كلمة ″cohabitation″ الفرنسية بمعناها الإنكليزي، أو فهم عبارة ″a reduced energy consumpsion″ بمعناها الإنكليزي باعتبارها مدلولًا *منخفضًا*، هو الدليل على معرفة للغة (B) غير كافية، لا تُوقِفُ، مع الأسف، أشباهَ المترجِمين.

### 3.2. المثال الثالث الثقافيّ

ومعرفة "الثقافة" الأجنبية فيما بعد اللغة هي معرفة *″الأشياء″*: الأحداث، والواقعات التاريخية، وفنّ تذوق الطعام، والسلوكات الجَمَاعية، والأعمال الأدبية، والأحكام الاستباقية، وباختصار كل ما هو غير لغوي مختفٍ وراء الكلمات. وقد مرّ معنا في مكان سابق من الكتاب أن الترجمة إلى قانون مختلف (transcodage) بعبارة: ″haricots frits″ المتأتّية من الجهل بالطبق الأمريكي الجنوبي الذي كانت تعنيه العبارة الإنكليزية: ″fried beans″[5] قد حَرَّفَتِ الحقيقة.

وهذه الأخطاء، عَرَضيةً كانت أو كبيرةً، لا تعني أن من المستحيل اكتسابَ مستوى فهمٍ كافٍ للغة والثقافة الأجنبيتين، بل يعني أنّ على أولئك الذين لا يمتلكونه أنْ يكتسبوه قبل ممارسة الترجمة. إن المترجِمين الجيدين لا يخضعون لغِرْبال اللغة الأم لكي يفهموا لغة أجنبية؛ إنهم يعرفون *″الآخرَ″* بما يكفي لكي يدركوا محتوى النصوص التي يترجمونها، ويستفيدوا مما يمتلكونه من اللغة (A) ليعبِّروا عنه (الآخر) في فروقه الدقيقة كلها.

إن اكتسابَ معارفَ لغويةً وثقافية سلبية تُمَكِّنُ من الفهم ممكنٌ في أيِّ عُمْرٍ؛ كذلك يمْكِن للمرء أن يتوصّل في اللغة (B) إلى فهم كامل. والواقع أنّ المعرفة السلبية، في ما يخص المعجم، هي دائمًا أوسع من استعمالها النّشط، والسياق والمعاجم تمكِّن من تلافي العيوب المفتَرَضَة؛ وأما بِنى اللغةِ الأجنبيةِ النحويةُ وصِيَغُها الاصطلاحية، فتبقى هي الأخرى مفهومة أيضًا بسهولة أكبر من سهولة استعمالها فعليًّا.

---

[5]. طبق معروف جدًّا في المطاعم الأمريكية الجنوبية، مكوّن من حبوب الفاصولياء الحمراء أو السوداء المهروسة والمقلية بسرعة بالزيت أو الزبدة، وهو طبق مكمِّل عمليًّا لكل الأطباق. ومن ثم لا الفاصولياء هي نفسها، ولا طريقة قليها هي ذاتها عند الفرنسيين. ومن هنا كان تحريف المعنى. المترجِم.

وأما العناصر الثقافية التي يقدمها النص فلم يعد الوصولُ إليها غيرَ ممكنٍ. ففي حِقْبَة التقدم الكبير للاتصالات صارت المعرفة ممكنةً، يرافقها فهم صحيح للنصوص. وهذه المعرفة الكافية لفهم كل شيء ليست مع ذلك كافية لكتابةِ ترجمةٍ. وللحصول على جودة متساوية من إنتاج مترجم واحد، لا يمكن لأية ترجمةٍ في اللغة "B" أن تنافسَ ترجمةً في اللغة "A".

وإذا ما تجاوزنا مرحلة المراهقة، فلن يكون بإمكاننا الوصول إلى استعمال لغة ما كما لو كانت لغة أمًّا. فسهولة التعبير باللغة الأم والتأثيرات الأسلوبية التي يتيحها استعمالها السَّليقيّ (من سَلِيْقَة) ليسا ممكنين في اللغة (B). وللانتقال من ترجمة الخَبَر إلى التعبير عن المشاعر، تتطلّب لغةُ التعبير سَلِيْقَةً راسخة أكثر فأكثر. ويمْكِن للمترجِم أن يزعم أنه وصل في اللغة (B) إلى سلامةِ تعبيرٍ معجميٍّ ونحويٍّ، كبيرةٍ، ولكنه، في اللغة (A)، يضيف إلى ذلك ما هو طبيعيّ، ووثيق الصلة بالموضوع، وأنيق حيانًا، ويضيف كذلك، معنىً لغويًّا موثوقًا جدًّا على الدوام. ويمكن للمرء أن يتوصّل إلى فهم اللغة والثقافة الأجنبيتين بالقدر نفسه الذي يفهم به لغتَه الأم وثقافتَها. ولكنه عندما يعبِّر في الترجمة يبقى، مع ذلك، وعلى الدوام، أكثر راحة وهو يستعمل لغته الأم.

### 4.2. ترجمة اللغات الضعيفة الانتشار

إن مسألة معرفة أفضلية أن نعهد بالترجمة إلى مواطن أصليّ أو إلى شخص أجنبيّ للحصول على هُويّة المحتويات المعرفية والتأثيرات الانفعالية للنص الأصليّ هي إذن مسألة محسومة على الصعيد النظريّ. ولكنها تستمر مشكلةً ذات طابَع عمليٍّ.

واللغات المنطوقة في العالَم يبلغ عددها 5000 لغة، أما اللغات التي يعرفها أشخاص ذوو لغة أم فرنسية فتقارب العشرين. وهذه النسبة هي ذاتها على وجه الاحتمال لكل اللغات الناقلة[6]

[6]. مصطلح يُستعمل في اللسانيات وعلم الاجتماع اللغوي للدلالة على اللغة التي يستعملها أشخاص أو جماعات لا تتكلم لغة واحدة (كاللغة الإنكليزية التي تُستعمل لغة ناقلة في العالم كله)؛ أو أشخاص وجماعات تتكلم لغة واحدة تتبدّى في أشكال متعددة، كاللغة العربية. وهنا يكون الشكل الفصيح المعاصر هو الشكل الناقل المستعمل على نطاق واسع جدًّا في البلاد العربية وخارجها. المترجِم

(véhiculaires). وهذا يعني أنّ نصوصًا مكتوبة، أو أحاديث منطوقة في آلاف اللغات الأخرى لا يمكنها أن تُتَرْجَمَ في مختلف اللغات الناقلة إلا من مواطنين أصليين للغة الانطلاق (المتَرْجَم منها)، أي من مترجمين يعملون على لغات أجنبية عليهم، وإذن من اللغة (A) إلى اللغة (B). وواقع التبادلات الدولية اليوم هو أن الترجمات، فيما يخص العديد من اللغات "الصغيرة"[7]، ينجزها مترجمون يعملون بلغة مكتسبة[8].

وهذا المشهد للترجمة هو اليوم على قدر من الأهمية يجعلنا نشهد نموًّا للغات المحلية والوطنية. هذه حال اللغة البروتانية والكورسيكية في فرنسا، وهذه حال كل لغة من لغات دول البرلمان الأوربيّ الاثنتي عشرة[9]، التي تريد أن تكون هي الأخرى ممثلة فيه، أي أن تكون مترجَمَةً (كتابيًّا) ومترجمةً فوريًّا (شفويًّا) بكل لغة من اللغات الأخرى، فكل شعب يدافع عن وجود لغته.

إن لغة ناقلة كالإنكليزية تعرف انتشارًا سريعًا، ولكنْ، لكي نستبعد الضرورة العملية للترجَمات باللغة (B)، لا يمكِننا أن نتوقّع أن مترجِمين ذوي لغةٍ أمٍّ إنكليزية يتعلمون عددًا كافيًا من اللغات الأجنبية. وتعذُّر بلوغ جَوْدَةٍ في التعبير باللغة (B) معادلةٍ لمثيلتها باللغة الأم لا تدين إذن الترجمة في هذا الاتجاه إلا باللغات ذات الانتشار الواسع، التي يتبادل الناسُ جيدًا معرفتَها. وبالمقابل، تكون الترجمة باللغة (B)، في ما يخص اللغات ذات الانتشار الضيق، ضروريةً لسوء الحظ؛ لأنها السبيلُ الوحيد، في الغالب، لنقل نصوص يبقى محتواها، في غياب هذه الترجمة، متعذِّرَ البلوغ لدى أكبر شريحة من الناس.

سأصرِف النظر عن المترجِمين الثنائيّي اللغةِ والثقافةِ كليًّا، وعددهم قليل جدًّا لكي نفكر بأن نحتفظ لهم بالترجمات جميعها، لأتساءل عن مسألة معرفة المدى تؤدي فيه ترجمةُ نصوصٍ إلى

---

[7]. أي لغات ضيقة الانتشار، تستعملها جماعات لغوية صغيرة العدد. المترجم.

[8]. أي بلغات ليست أُمًّا. المترجِم.

[9]. كان هذا في بداية تشكيله، أما الآن فقد بلغ عددها 27 دولة.

لغة ظلّتْ أجنبية، إلى وضع المترجِم في حالة تمكِّنه من أن يشارك قراءَه مفاهيمَ النص الأصليّ ومشاعرَه.

### 3. حدود الترجمة باللغة الأجنبية

إننا مدينون إلى أنتان فونييه ريدنينغ[10] (A. F. Rydning) بدراستها مشكلةَ الترجمة باللغة الأجنبية. فقبل دراستها، كانت جَسَامة المشكلة تمرّ على المستوى النظريّ مرورًا خفيًّا؛ لأن بعض نظريات الترجمة كانت تركّز على لغات النصوص (لغات الانطلاق، ولغات الوصول) بصرف النظر عن المترجِمين وإذن، في الواقع، عن عملية الترجمة. وبعضُ النظرياتِ الآخرُ الذي نُحسَبُ عليه، كان يَقْصُر أسئلتَه على النقل باللغة (A) لنصوص أُنتِجَتْ باللغة (B). وهكذا يكون للترجمة باللغة (B) جوانبُ فريدة تستحق الدراسة.

لقد كانت أ. ريندينغ[11] النروجيّة الجنسية في موقع جيد لكي تحدد المشكلة: *"إن المشكلة العملية لانتشارِ بعض اللغات الضعيفِ على الصعيد العالَميّ يُجبِر مترجِم لغةٍ صغيرة على أن يترجِم، ليس فقط بلغته الأولى حصريًّا، بل كذلك بلغته الثانية. وهو بهذا الشكل مدعوٌّ إلى أن يعيد التعبير عن المعنى وعن تأثيرات صيغة الكاتب الأصليّ بلغة يتقنها بمستوى أقلَّ من مستوى إتقانه لغتَه الأم. وهذه حال المترجِمين النّروجيّين على وجه الخصوص. فاللغة النروجيّة، وهي لغة صغيرة نموذجية، لا يستعملها إلا أربعة ملايين ساكن. فإذا استبعدنا الاسكانديناڤيّين الذين يفهمون النروجية بقي فقط عددٌ محدَّد من الأجانب يمتلك الكفاءة اللغوية المكتَسَبَة التي تمكّنه من ترجمة نصوصٍ نروجية بلغته الأم. [...] وهذا يُلزِم بالاعتماد على المترجِمين الذين لغتهم الأم هي النروجية. وبهذا الشكل يُستَدرَج هؤلاء إلى ارتكاب "مخالفةٍ" للقاعدة العامة، وهي ألا يترجموا*

---

[10]. Rydning, A. (1992) : Qu'est-ce qu'une traduction acceptable en B. ? Les conditions d'acceptabilité d'une traduction fonctionnelle réalisée dans la langue seconde du traducteur, thèse de doctorat soutenue à l'université d'Oslo, ronéotée. Cette thèse n'étant pas encore publiée, j'en citerai de nombreux passages.

- الجملة الأخيرة من هذه الحاشية ليست من الأطروحةِ المطبوعةِ حروفُها بالحرف *المائل*، ولذلك سيترجمها المترجِم. تقول الكاتبة: *"ولأن هذه الأطروحة غير منشورة، سأستشهد بعدة مقاطع منها"*.

[11]. Rynding, A. op. cit. p p. 5-6.

*إلا بلغتهم الأم (A). وهذه المخالفة لا يمكن تجنّبها عمليًّا، لأن البديل هو ألّا يُتَرْجَمَ شيءٌ إطلاقًا. والاختيار جليّ في ما يخص الأفراد والبلدان التي يسعى إلى التواصل خارج حدودها. إنه اختيارُ أهون الشّرّين، وهو الترجمة باللغة (B)".*

وتطرح ريندينغ[12] مشكلة الحدود التي يفرضها على الترجمة باللغة (B) تمكّنٌ من هذه اللغة غيرُ كامل. فهذا الحدُّ في نظرها قد بُلِغَ مع النصوص الأدبية: *"إن نطاق الإمكانات الأسلوبية لعمل أدبيٍّ واسع سَعَةً غيرَ عادية، إن لم يكن بلا حدود: جناساتٌ، وقوافٍ، واستعارات، ومكوّنات إيقاعية، وجناسات ناقصة، وتلاعب بالكلمات؛ كل هذه التحدّيات تواجه المترجِمَ الذي يتحتّم عليه أن يعيد على قُرّائه إنتاجَ التأثير العاطفي الذي يسعى إليه الكاتب بوساطة عملياتٍ تخصّ أسلوبيًّا لغةَ الوصول. ونجاح هذه المُهِمّة الصعبة مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا ببراعة المترجِم، وهي براعة تتطلّب موهبةً جمالية، وكفاءةً أدبية، وتوافقاتٍ مع مؤلف النص الأدبيّ".*

إنها تستثني إذن النصوص الأدبية من دراستها للترجمة باللغة (B) لكي تقصُرَها على النصوص الوظيفية. وأنا شخصيًّا أعتقد أنه يفضّل، في غياب تعريف دقيق لمصطلح *"الأدبيّة littérarité[13]"*، *ألا* يُستبعَدَ من دراسة الترجمة باللغة (B) سوى الشِّعرِ المترجَمَ، فهذه الكلمة لا فائدةَ حقيقيةً لها إلا جذْبَ القارئ بمقدار ما يجذّده النصُّ الأصليّ. وذلك يحتاج إلى موهبةِ كتابةٍ تستند إلى الحَدْس في اللغة (A). وإضافةً إلى الشّعر، يجب أنْ تُستبَعَدَ أيضًا النصوصُ التمثيلية التي يكون الهدف منها أنْ تُنْطَقَ. لقد كتب موريس غرافييه[14] (Maurice Gravier) بهذا الخصوص ما يأتي: *"ينبغي ألّا يَنسى المترجِم (أيضًا) أنّ النصَّ التمثيليَّ، منطوقًا بالسرعة العادية للكلام، لا يلتقطُهُ المشاهد إلا مرة واحدة. وما نقرؤُهُ في نصٍّ فيه قليل من الصعوبة (سواءٌ أكان شعرًا أم*

---

[12]. Rynding, A. op. cit. p p. 16–17.

[13]. نظرية سميائيّةٌ للأدب يترتّب عليها أن تتيح توصيف كل نص أدبيّ بالقياس إلى النصوص غير الأدبية، تبعًا لـ ري سيميوت (Rey Simiot)، 1979.

[14]. Gravier, M. (1973) : "La traduction des textes dramatiques", Études de linguistique appliquée n 12, Didier, Paris, p. 41.

*بحثًا فلسفيًّا أم عرضًا تِقْنِيًّا)، نستطيع أن نُعيد قراءته بتروٍّ، إن لم نستوعب معناه كاملًا من القراءة الأولى. وفي المسرح لن نجرُؤ أبدًا على أن نطلب إلى الممثل الهَزْليّ أن يكرر لنا خطبة كثيفة جدًّا أو غير واضحة بما يكفي".*

وترجمة هذا النوع من النصوص يجب أن تجري باللغة الأم أو، على الأقل، يجب أن تُعَاد كتابتُه باللغة (A) على ترجمته الأولى باللغة (B). ويجب أن يُضافَ إلى الشِّعر والنصوص الدرامية، النصوصُ الأصليّة، والنصوص القَضَائية وغيرها، التي يمكن أن تُعتمَدَ صياغتُها أساسًا موضوعيًّا للنقاش. وفي ما بعد هذه التحديدات، تصبح الفروق بين أنواع النصوص أكثر ضبابية.

لنتذكر أن المعادَلَة النوعيّة لترجمةٍ ما يمكن التحقُّق منها في ضوء نوعين من الهُويّة: هُويّةِ المعلومات الظاهرة والضّمنية، وهُويّةِ التأثيرات العاطفية. وتحقيق هذه المعادَلَة تتطلّب من المترجِم فهمًا لِلُغَةِ لا عيبَ فيه، ومعرفة كافية بالموضوع المعالَج على خلفية من الثقافة الأجنبية، ومنهجًا ملائمًا، وجَوْدةَ تعبيرٍ تمنحُهُ لغةٌ أمٌّ.

والمتطلَّبات الثلاثة الأولى (معرفة اللغات، ومعرفة الموضوع، والمنهج الملائم) لا تطرح مشكلات عسيرة الحل على المترجِم باللغة (B). ولكنْ في غياب تحقيق معيار جَوْدَة التعبير، لن تكون الترجمة باللغة (B) أبدًا معادِلة كليًّا للنص الأصليّ. وإضافةً إلى ذلك تطرح أ. رينديغ السؤال الآتي: *"أيمكِن أن تُعْتَبَرَ ترجمةٌ حُكِمَ عليها بأنها لا تعادِل النص الأصليّ مقبولَةً، مع ذلك، في بعض الحالات؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب فما هذه الحالات؟".*

وتجيب عن السؤال بتفحّص العوامل الخارجية التي تجعل ترجماتٍ نوعيتُها الجوهريةُ ليست معادِلة للنص الأصليّ مقبولةً. إنها تقترح إذن أن نتفحّص وظيفة النصوص بدلًا من نوعها وأن نستبدل بمفهوم[15] "الجَوْدَة: qualité" مفهومَ "المقبوليّة: acceptabilité".

[15]. الباء تدخل على المتروك، أي أن نتفحص وظيفة النصوص ونعتمد مفهومَ "المقبولية" بديلًا عن مفهوم "الجَوْدَة" في الحُكم عليها. المترجِم.

### 4. مقبولية الترجمة

تبين أ. ريدنينغ[16] في البداية أنه إن كان *"المستوى في اللغة الأم"* لمعرفةٍ لغوية ظاهرًا، مهما تنوعت الفروق في مستوى اللغة أو الأسلوب بين فرد وآخر، فإن المستوى في اللغة (B) لا يتحدّد بسهولة إلا بصفة النفي؛ إنه ليس مستوى اللغة الأم، والمواطن الأصليّ (l'autochtone) يلاحظ ذلك بسرعة كبيرة. وهذا التعريف بالنفي ينطبق على منطقة واسعة من المعرفة اللغوية، تبدأ من استعمال اللغة الذي يكاد يتيح الانتقالَ في مواقف ما إلى اتقانٍ رائع، فلا يَظهَر في الأداء سوى آثارِ النَّبْر، أو التراكيب الغريبة أحيانًا، أو القديمة الطراز، أو المأخوذة من الكتب بشكل مبالَغ فيه. يُضاف إلى ذلك أن مستوى مقبولًا من معرفة اللغة المسماة (B) لا يمكن له أن يُعرّف إلا تبعًا للمُهِمَة التي يجب أن تُنجَزَ: *"يمكنِ أن تسهم عواملُ من خارج المستوى اللغوي للمترجِم في تقوية مقبوليةِ الترجمةِ باللغة (B) أو على العكس من ذلك في إضعافها"*.

وسنرى في ما سيأتي أمثلة مختلفة لترجمةٍ باللغة (B) تتنّوع نوعيتُها تنوعًا ملموسًا بسبب *"العامل الخارجي"* الذي يتمثّل في المعرفة السابقة التي يمتلكها القارئ.

والقراء يَقْبَلون، عمليًّا، ترجمةً ما، ليس فقط بسبب النوعية الجوهرية لنصها، بل أيضًا لأنهم يفهمونه. فما يفهمونه يرتبط إذن إلى حدٍّ بعيد بمعارفهم السابقة.

#### 1.4. تكامل القارئ المتخصص مع الترجمة باللغة الأجنبية

كلنا يعلم أننا حينما نتجه إلى مستمعين يعرفون الموضوع المتنَاوَل، لن نكون مضطرين إلى أن نكون صريحين جدًّا. ففي الأسرة، مثلًا، نتكلم غالبًا بالتلميحات أكثر مما نتكلم بكلام كامل. كنت أكتُبُ[17] منذ عام 1976، أنّه: *"فيما يتعلق بالأفكار، يُحرَّك الخطاب، مع أخذنا بالحُسبان*

[16]. Rynding, A. op. cit. p 13.

[17] . Lederer, M. (1976) : "Synécdoque et traduction", Études de linguistique appliquée n 24, Didier, Paris.

*فائضًا معينًا من الأمان، بوساطة حركة انقباض وانبساط وفقًا لفجوة المعرفة التي تفصل المتلقي عن المتحدث في كل مناسبة خاصة".*

وما هو صحيح عن الشفويّ هو كذلك عن الكتابيّ. لقد رأينا سابقًا[18] العلاقة بين الصريح والضمنيّ وبعض الأمثلة التي تبين: كيف يربح الضمنيّ على الصريح كلما تطورت القصة أو الدليل؟

إن فهم حديث أو نص يتّبع النموذج ذاتَه الذي يتّبعه إصدار الكلام. فكلما ازدادت معرفة القارئ أو المستمع لموضوع النص أو الحديث قلّت ضرورة حصوله على الظاهرة الصوتية أو الخطية كلِّها. ومَنْ ينقصه التدريب، تزداد عليه صعوبة فهم نصٍّ ما شيئًا فشيئًا مع ازدياد درجة ضِمْنِيَّتِه (implicité)؛ وبالمقابل، يمكِن أن يبدو نصٌّ لشخصٍ غيرِ ملمٍّ بأصول الترجمة، مكثّفًا، في حين أنه يمكِن أن يبدو لمتقن لأصولها مُسهِبًا. ومن جهة ثانية، اختارت مونك كورمييه[19] (Monique Cormier) معيارَ ضمنيّة المعلومة لتُدَرِّجَ صعوبة نصوص الترجمة التي تعطيها لطلابها. إن نصًّا تِقْنِيًّا أو علميًّا غايتُه أن يكون في متناول الجميع، يكتَبُ بطريقة أكثر وضوحًا مما لو كانت المعلومة نفسها معطاة لطلاب من الميدان المقصود ذاته، وهذا النص التعليمي هو بدوره، أكثر وضوحًا مما لو كانت المعلومة نفسها تتوجَّه إلى متخصِّصين. وهكذا يكون النص الذي أُعِدَّ ليكون في متناول الجميع أسهلُ على الفهم وعلى الترجمة من النص التعليمي أو من نصِّ الترجمة. إن م. كورمييه تُدَرِّج تعلّم طلابها في هذا الترتيب، فالنصوص المعَمَّمُة يمكِن أن تُهاجَم من دون إعداد سابق. أما النصوص الأخرى فتتطلّب اكتساب معارف من خارج النص.

وواقع وجود صِلَة تكامل بين جَوْدَة تعبير المترجم والمعرفة القبلية للقارئ قلما ذُكِرتْ حتى الآن. إنّ هذه الصلة موجودة إذن، مثلما توجد الصلة بين درجة ضمنيّة النص والفهم. إن نصًّا

---

[18]. ورد ذلك في المقال المنشور في العدد 58 من هذه المجلة، وعنوانه: "من طرائق الترجمة1".

[19]. Cormier, M. (1990) : "Propsition d'une typologie pour l'enseignement de la traduction technique", Études traductologiques, Minard Lettres Modernes, Paris, pp. 173-188.

مكتوبًا بطريقة سيئة جدًّا يمكِن أن يكون مفهومًا من القارئ الذي يتّجه (النصُّ) إليه، في حين أنّ شخصًا غير مهتمٍّ سيوقفُه (عن الفهم) سوءُ جَوْدَة التعبير.

إنّ مقبولية ترجمة باللغة (B) تتعلق إلى حدٍّ بعيد بدرجة معرفة مَنْ تتجه إليه. فكلما ازدادت معرفة القارئ بموضوع النص، تحَسّنَتْ قدرته على تصحيح المعلومة بفضل معرفته السابقة. وبالاستناد إلى هذه المعلومة، سنرى في ما سيأتي بعض الترجَمات.

### 1.1.4. المثال الأول

سيفهم قارئُ هذا الكتاب من دون تعبٍ الخبرَ الآتيَ الذي تقدمه مجلةُ: *طريق الحرير*، الصينية نصف الشهرية، المنشورَ في باريس يوم 3 كانون الثاني 1992، وهو بعنوان: "معرض بكين الدّوليّ للطيران الصينيّ".

المقال هو بكل جلاء ترجمة باللغة (B)، وهو يبدا كالآتي: *"المعرض الدولي الأول للطيران الصيني ينعقد في بكّين في المدة من 15–20 كانون الثاني 1992. سنرى فيه آخر مستحدثات الطيران المدنيّ الصينيّ. وسيكون فرصة للمناقشات حول موضوع سلامة الطيران والالتزام بالمواعيد، إضافةً إلى خدمات الركاب".*

ومهما كانت صياغة هذا النص رديئة في اللغة (B) فإن القرّاء الفرنسيين سيفهمونه بفضل معارفهم عن وجود معارض في أشكالها المختلفة (مثال ذلك معرض بورجيه[20] الدّولي للطيران). فإذا ما ساعدت معرفة الموضوع، مرَّ الخبر.

### 2.1.4. المثال الثاني

في غياب المعرفة لدى القارئ، تكون المعلومة المنقولة بالترجمة باللغة (B) ناقصة أحيانًا. لقد صُدِمَتْ أ. رينديغ بترجمة النصّ النروِجِيّ الآتي، الذي نشرته وزارة الخارجية:

"Slottet det kongellige slot i Oslo, er oppfort som kongebolig av arkitekt H.D.F. Linstow 1925-48 for enden av karl Johans gate".

[20]. مطار قرب باريس تنظَّم فيه معارض للطيران. المترجم.

النص بالفرنسية كما أوردته الكاتبة:

"Le palais royale à Oslow fut construit comme résidence royal par l'architecte H.D.F. Linstow 1925-48 au bout de la rue Karle Johan".

ترجمة النص إلى اللغة العربية: *" بُنِيَ القصر الملكي في أوسلو، بصفته محلَّ إقامة ملكيّ، من قِبَل المهندس المعماريّ هـ. د. ف. لنستو 1925–48 في نهاية شارع كارل جوهان".*

إننا لا نرى، ونحن نقرأ هذه الجملة، أن القصر الملكيَّ يُغْلِق، في الحقيقة، الجادَّةَ، كالأوبرا في باريس، التي تهيمن على الجادَّة التي تحمل اسمها. ومَنْ يَعْرف أوسلو، مَنْ سيكون هنا قارئًا "متخصّصًا"، سيرى القصر ومكان إشادته على الرّغم من عدم ملاءمة صيغةِ: "في نهاية". وجهل القارئ الفرنسي الذي لم يذهب يومًا إلى أوسلو، بالأمكنة، لن يُمَكِّنه من أن يحدِّد موقع القصر تحديدًا صحيحًا. فالترجمة إذن غير مقبولة.

### 3.1.4. المثال الثالث

يتعلق الأمر هنا بنصٍّ تِقْنِيٍّ عن غزل القُطن في السودان، مترجَمٍ عن العربية باللغة الفرنسية (B)؛ فقد قال لنا مهندس نسيج فرنسي: إنه فَهِمَ النص الآتي (يُورِدُ المترجمُ النصَّ حرفيًّا كما جاء باللغة الفرنسية (B)، بسبب من السوء الكبير الذي يشوب صياغتَه، فتجعله عَسِرَ الفهم):

" Pour mesurer la régularité de la nappe, on prélève un mètre qui sera pesé d'abord puis on le passe dans un four pour trouver son poids après séchage. La différence entre les deux poids provient de la reprise de l'humidité qui résulte du refroidissement de l'usine…".

ترجمة النص المحسَّنَةُ إلى اللغة العربية: *"لكي نقيس انتظام غطاء المائدة، نأخذ مترًا ونَزِنُه أولاً، ثم نمرّره في فرن لمعرفة وزنه بعد التجفيف. والفرق بين الوزنين ينتج عن امتصاص الرطوبة الناتجة عن تبريد المصنع...".*

إن المبتدئة التي هي أنا لم تكن قادرة على أن تفهم النص[21]؛ لقد تحتّم عليّ أن أشرح لنفسي أن المفرش القطنيّ (حالة القطن لدى خروجه من الخافق، قبل فَتْلِه في خيط) يوزَن بشكل متواصل، وبفواصل منتظَمَة، فتُؤخَذ منه عيّنةٌ طولها مترٌ، وتُجفَّف في فرن. ويدلّ تطابق الوزن الجافّ للعيّنات المختلفة على انتظام سُمْك المفرش، في حين أنه، في غياب التجفيف، وبسبب صعوبة ضبط حالة قياس الرطوبة في الهواء المحيط، قد تكتسب المفارش المتساويةُ الوزن اختلافاتٍ في الكثافة وبالعكس، قد تكتسب كثافاتٍ متشابهة لأوزان مختلفة.

إننا نجد هنا حالة متطرفة لعلاقة الفهم بين معرفة القارئ وسوء تعبير نصٍّ ما. فالكلمات الأربع المترجَمة ترجمة صحيحة، في هذه الحال، وهي: *المفرش والفرن والتجفيف والانتظام*، كانت كافية لأن تحدِّدَ لهذا المهندس العمليةَ (التي يعرفها هو) التي يُحيلُ إليها النصُّ. والجملة التي تنقل هذه المعلومات للمتخصِّص قد لا تقدم له شيئًا لم يكن يعرفه من قبلُ. إنه، مع ذلك، أقربُ إلى حقيقة النص بعد قراءته مما لو لم يكنْ أمام عينيه سوى نصٍّ باللغة العربية، لم يكنْ لشيءٍ أن يمكِّنه من تخمين محتواه.

إنها حالة متطرِّفة: فلكي تُستخلَص معلومةٌ من نصٍّ مكتوب كتابةً سيئة جدًّا، يتوسّل هذا النص، إلى الحدِّ الأقصى، معارفَ القارئ غيرَ اللغوية.

والترجمات القليلة باللغة (B) التي قدمناها آنفًا على أنها أمثلة، ليست معادلة للأصل، سواءٌ أكانت اللغة تعجُّ بالأخطاء، وهي بهذه الصفة تصدم القارئ، أو لا يمكنها أن تكون مفهومة إلا من قِبَل قارئ متخصِّص إلى أبعد حَدٍّ، أم كانت صحيحةً، ولكنها تشوِّه المعلومة في غياب المعارف المتخصصة.

وهذ الأمثلة واستثمارها لا تَستنفِد، بسبب الخطأ، ما يمكن أن يُقَال بخصوص التكامل بين جَوْدَة الكتابة ومعارف القارئ. ويمكننا مع ذلك أن نستنتج مع أ. ريندينغ: *"وجود صلة أكيدة بين*

[21]. قصدتِ الكاتبةُ بذلك نفسُها، وهي الأستاذ الفرنسية الكبيرة! فالحق أن النصَّ على درجة من رداءة الصياغة أربكَتِ المترجِمَ أيضًا، فتصرّف قليلًا في الترجمة ليجعل النص قابلًا للفهم في الحد الأدنى. المترجم.

*معرفة القارئ الموضوعية (المتعلقة بالموضوع المُعالَج) وفهمه للمعلومة. فكلما زادت معرفة القارئ بالموضوع المعالَج، تحسَّن اندماج المعلومة طبيعيًّا في مخزونه المعرفيّ. وتَبَعًا لطبيعة النصّ، يكفي تعيينُ الكلمات وحدَه أحيانًا لاستخلاص المعنى. إن معرفة القارئ تتيح له أن يستقبل الحقيقة المقصودة كاملة، حتى إن كانت الصياغة مقتضَبَةً. والقارئ يفهم نصوصًا في تخصُّصه على الرغم من عدم دقة بعض الكلمات، وبالرغم من بعض أخطاء الأسلوب والتعبير؛ لأن هذه المعارف تمكّنه من التعويض عن هذه النواقص. إنه لا يستبعد نصًّا بسبب هذه الأغلاط حينما يتأمّن فهمه للمعلومة.*

*يمكننا إذن أن نستنتج أنّ ترجمةً تتوجَّه إلى قارئٍ يعرف الموضوعَ المُعالَجَ جيّدًا تكون مقبولَةً عندما تَنْقُلُ معنىً دقيقًا[22]، وإن كانت تعاني، في الوقت نفسه، من حالات نقص على المستوى اللغوي.*

*وعلى العكس من ذلك، كلما قلَّتْ معرفة القارئ بالموضوع زادت قيمة المعلومة المبتكرة، وزادت أهمية التعبير الصريح. ففي حالة ترجمةٍ لا يؤدي فيها التعبيرُ إلى متمِّماتٍ معرفيةٍ ملائمة تتيح الإنابةَ الذهنية (إحلال شيء مكان آخر)، سيولي القارئُ حتمًا اهتمامَه إلى لغة النص، ويتصرف ضد هذه الأخطاء".*

### 2.4. الترجمة باللغة الأجنبية وتكيّف القارئ الثقافيُّ

لنتابع المقارنة بين المترجِمين من اللغة (B) إلى اللغة (A)، والمترجِمين الذين يشغَلوننا حاليًّا في التطبيق من اللغة (A) إلى اللغة (B). فمن النادر، دون شك، أن يعرف مترجمٌ باللغة (A) كليًّا الإطارَ الثقافيّ للغة التي يتموضع فيه كاتب نصٍّ باللغة (B)، ولكن، عندما تكون الحالة كذلك سيكون سهلًا عليه نسبيًّا أن يقدِّر جهل قارئيه، وأن يوضِّح التلميحاتِ التي تبقى غامضة. وعلى العكس من ذلك، إذا كان المترجِم باللغة (B) منتميًا إلى ثقافة الكاتب، وإذا كان يضع

[22]. أي، حينما لا تشكّل الصياغة الرديئة عائقًا لإمكان بلوغ المعنى الدقيق.

بسهولة واقعات النصِّ الثقافية، الصريحة والضمنية في مواضعها، سيجد عناءً أكبر من عناء المترجِم باللغة (A)، في تقدير الثُّغرات الثقافية التي من المناسب يتلافاها من أجل قرائه.

### 1.2.4. المثال الرابع

سآخذ هنا خبَرًا قصيرًا باللغة المالايالاميّة (malayalam)، وهي لغة جنوب الهند، مترجمةً باللغة الفرنسية (B) ترجمةً صحيحة كليًّا، وقد قام بها مؤلفُها ذاتُه م. موكوندان (M. Mukundan).

هذه بداية الخَبَر[23]: *"يقع بيت رضا على بُعد خطوات من المقهى. ووالد رضَا عاد الآن من مكتبه إلى البيت. وكما هي عادته، يقرأ جريدته الصباحية، وهو متجمِّعٌ في كرسيه المريح. وعندما تدخل رَضا في الفِناء،ترفع رأسها، وتُحكِم نظارتها، وتُلقي عليها نظرة متسائلةً. وهي تصعد الدرجَ، لاهِثةً، وتدخل غرفتها"*.

أنا لا أعرف اللغة المالايالاميّة، ولكنّ إقاماتي القصيرة في الهند أثَّرت بما يكفي لكي أتمكّن من القول: إن والد رَضا لا يُحتمَل أن يكون *"متجمِّعًا"* في كرسيه المريح، بل جالسًا مُتَرَبِّعًا. ودون أن نأخذ بالحسبان دلالات *"الشيخوخة"* أو *"المرض"* التي تضفيها كلمة *"متجمِّع"* على شخص عاد للتوِّ من المكتب إلى البيت، كما تبيّن القصة، من الممكِن جدًّا أنه، لكي يقرأ جريدته، يجلس مستقيمًا، ولكن على الطريقة الهندية، متربِّعًا وليس متجمِّعًا.

إن التكيف مع معارف القارئ واحدة من الصعوبات المرتبطة بالترجمة باللغة (B)، التي لا يعرفها المترجِم الجيد باللغة (A). فمَنْ يترجِم بلغته الأم يتقاسم مع قرّائه عالَمهم اللغويَّ والثقافيَّ، ويكيِّف معهم بوعيٍ تقريبًا ترجمتَه. ولن يُخفِق المترجِمُ باللغة (A) في أن يعرض بدقة وضعيةَ والدِ رَضا كما تستحضِرها القراءة له. والمترجِم باللغة (B) يرى بالتأكيد هو أيضًا المشهد، ولكن

[23]. نص مطبوع قدَّمه مكتبُ العمل اللغوي بالسفارة الفرنسية في الهند.

ينقصه الوعي بأنّ الكلمات التي يستعملها لكي يَعْرِضَه (المشهد) لا توقِظ لدي قارئ فرنسي الصورةَ الواضحةَ لِمَنْ يعرف الهندَ معرفة قليلةً جدًّا.

لنعكف أيضًا على المثال الرابع السابق. إن الفرنسي لا يستطيع لدى قراءته النص، بسبب جهله بواقع البيوت الهندية، تكوينَ صورة واضحة لمواضع مدخل البيت، والفِناء، والدرج، والمكان الذي يوجد والد الفتاة جالسًا فيه: حينما تدخل رَضا الفِناء ترى أباها؛ فهل هو جالس في الفَناء بالقرب من نافذة أو على شُرفة؟ إن على رَضا أن تصعد درجًا لتصل إلى غرفتها: فهل الفِناء إذن للاستعمال العامّ؟ إنّ تسلسل الكتابة لا يتوافق بشكل كامل مع التسلسل الزمني للحقائق، فالفرنسيون معتادون على منطق آخر للعرض.

ويلحُّ العاملون في الميدان كثيرًا على صعوبة نقل *"ما هو ثقافيّ"* في الترجمة؛ ومن المهم أن نلاحظ أنّ المشكلة مزدوجة: أن يكون المترجِم قادرًا على أن يُلِمَّ بالواقعات الثقافية حينما يكون المقصود ترجمةً باللغة (A)، وأن يكون قادرًا على تمريرها حينما يكون المقصود ترجمةً باللغة (B).

### 2.2.4. الجمهور العامّ والترجمة باللغة الأجنبية

لقد رأينا العلاقة بين ترجمات باللغة (B) وقارئ أو فئة من القراء المقصودين مباشرة بموضوع النص. فإذا تجاوزتِ الترجمةُ هذه الحَلْقة الضيقة، حين يكون المقصود كتابًا موجَّهًا إلى الجمهور بصفة عامة، فلن يكون معيار *"القارئ"* هو العاملَ الحاسم، لأن جميع القراء المنتمين إلى جماعة لغوية ما يمكن اعتبارهم مالِكِين تقريبًا للمعارف نفسها، بل سيكون المعيار جَوْدَة الترجمة.

وفيما يخص الجانب الشفويّ، لدينا، في المدرسة العليا للمترجِمين الفوريين والمترجِمين (Ecole Supérieure d'Interprètes et Traducteurs)، أربعُ فئات من الأساليب الكلامية لترجمةٍ فوريةٍ للمحاضرة، مرتبة تصاعديًّا تَبَعًا لصعوبة الفهم والتصحيح، ولمتطلَّب الجَوْدَة، هي: الأسلوب القصَصيّ، والأسلوب البرهانيّ، والأسلوب الوصفيّ، والأسلوب العاطفيّ. وهي تفيدنا بالقدر نفسه في اختيار الخطابات المتجهة إلى التعليم، وفي تقويم أداءات الطلاب. **فالأسلوب القَصَصيّ** يُفهَم بسهولة، وجودة التعبير المنخفضة لدى المترجِم الفوريّ لن تمنع مَنْ يستمع إليه من متابعة القصة؛ **والأسلوب البرهانيّ** أصعب امتلاكًا: إنه يتطلَّب، لكي يكون مفهومًا في

الترجمة الفوريّة، تعابيرَ دقيقةً. أما **الأسلوب الوصفيّ** فينطوي على غِنى مفردات تجب معرفة مُطابِقاتِها (correspondances). وأما **الأسلوب العاطفيّ**، وهو الأخير، فيقتضي إيجاد مُعادِلات (équivalences) على الأصعدة الأسلوبية كلِّها.

إن الأساليب القصصية والبرهانية والوصفية، التي يسيطر فيها المعنى هي وحدَها المقتَرَحَة على المترجِم الفوريّ في اللغة (B)، أما الخطابات العاطفية، وخطابات الولائم، وخطابات المآتم،..إلخ، التي يسيطر فيها الشكلُ، فيُحتَفَظُ بها لما هو متتابع باللغة (A). وهذا التطبيق الراسخ منذ سنوات، أَثْبَتَ فاعليتَه في المحاضرات الدولية كلها. وبخصوص الجانب الكتابيّ تبدو هذه الفئات الخَطابية أقل فاعلية. يضاف إلى ذلك أن التدرّج في متطلَّب الجَوْدَة يستند إلى معايير أخرى.

### 3.2.4. مُتْعَة القراءة

في حالة مقالة في جريدة تعالِج حدثًا يوميًّا يعرفه الجمهور في خطوطه العامّة، سيكون مستوى الترجمات المتوسطُ غيرَ ذي أهمية كُبرى لدى القارئ. سنجد أنفسنا إزاء تكامل المعارف السابقة مع المعلومة التي يحملها النص. وفي حالة النصوص التي تحمل معلومة معروفة معرفة سيئة أو معلومة تسعى إلى الإقناع، أو إلى إثارة المشاعر، أو تتجه ببساطة إلى مُتعة القراءة، فالأمر مختلف.

#### 1.3.2.4. المثال الخامس

لنأخذ على سبيل المثال الفقرة الأولى من خُرافة مترجَمَة عن اللغة الصينية باللغة الفرنسية (B). إن القصة مفهومة، ولكن الترجمة رديئة: *"ذات يوم، كان فلاح من إمارة سونغ يقلب التربة في حقله. في وقت الظهيرة رأى أرنبًا هائجًا يخرج من غابة، وهو يعدو بسرعة كبيرة. وفي مصادفة غير عادية، اصطدم رأسُ القارض بجذع شجرة على حافة الحقل، فمات"*.

وتتمة النص تخبرنا أنّ الفلاح *يترك معوله* ويُمضي أيامه منتظِرًا عبثًا أن تأتي أرانب أخرى لتتسحق باصطدامها بالشجرة. والمغزى من القصة يبدو لنا عاديًّا، فلا يجوز أن نتوقع أن تسقط القبَّراتُ كلها مشويّة...

والنقد الذي يمكن أن يُوَجَّه إلى هذه الترجمة ذو طبيعة أسلوبية. فالمترجِم الذي يعمل بلغة لا يُحِسُّ بها حَدْسِيًّا، جَهِد في أن يمنحها حدًّا أقصى من الاصطلاحية (idiomaticité): *"كان يقلب التربة:* retournait le sol*"، "في وقت الظهيرة:* sur le coup de midi*"، "هائجًا:* éperdu*"، "اصطدم رأسه:* donner de la tête *"، "مات:* se rompre le coup*"*.. ولكنّ استعمال هذه العبارات الاصطلاحية هنا مصطَنَع. فهي مدوّنة في قوائم، وهي فرنسية، ولكنها لا تتوافق مع ما يمكن أن يقوله مواطنٌ أصليٌّ بتأثير الحَدْس اللغويّ. والجمهور العام سيفهم القصة على الرّغم من الغرابة الأسلوبية لهذه الترجمة، ولكنْ هل سيهتمّ بها، مادام غيرَ معنيٍّ بها بوجه خاص؟ إن نوعيّة الكتابة ستنفِّره بلا شك، ولن يشعر بمتعة القراءة.

### 2.3.2.4. المثال السادس

في المثال الذي يلي سنتعامل مع رواية: محمد *النحيف*، للكاتب يشار كمال[24] ( Yachar Kemal) وترجمتها إلى اللغة الفرنسية (B)[25]، التي رُوجِعَتْ باللغة الفرنسية (A)[26]. ولأن رواية محمد *النحيف* روايةُ مغامرات، وملحمةٌ غنائية، وأغنيةُ تمرّد، صارَتْ مشهورةً بحقٍّ في تركيا، ونُشرتْ عام 1955. إنّ ترجمتها تقدم للقارئ الفرنسي لمحة عن حياة الفلاحين الأتراك في بداية القرن (العشرين)، وعن أحلامهم في التحرُّر؛ وتقدم كذلك متعة كبيرة في القراءة.

في بداية الرواية، يلجأ الطفل محمد الذي فرَّ من معاملة الأغا المحلّيّ السيئة، إلى قرية مجاورة، ويختبئ عند العجوز سليمان. ونقرأ عند ذاك في الصفحة 18: *"كانت عينا الصبيّ*

---

[24]. Kemal, Y. (1955) : Memed le Mince, traduction française de Guzine Dino (1979), Gallimard, Paris.

24. عملًا بأنظمة اليونسكو، راجع الترجمة لويس بازان (Louis Bazan)، مديرُ معهد الدراسات التركية في جامعة باريس.

25. أي أنّ لغةَ المُراجِع الأمَّ هي اللغةُ الفرنسيةُ المترَجَمُ بها، وهو كما رأينا في الهامش 24، مديرُ معهد الدراسات التركية في جامعة باريس. وُلِد عام 1920 في مدينة كان (Caen) الفرنسية في النورماندي، وتوفي عام 2011، وهو مستشرق فرنسي: مدرس وباحث في اللغويات، ومتخصص في الدراسات التركية. المترجِم.

*مثبتتان على الحساء الذي يتبخّر في القِدْر. وضعت المرأة الحساء أمامه. ووضعت في يده ملعقة خشبية:*

- *قالت له: كل بسرعة.*
- *قال الطفل: نعم.*
- *قال العجوز: ليس أكثر من هذا! ستحرق نفسك!*
- *قال الطفل: هذا لا يحرقني.*

*إنه يبتسم، والعجوز يبتسم أيضًا. وتساءلت المرأة عما يدعوهما إلى الابتسام هكذا.*

- *قال العجوز: الآن وقد أكل الحساء، لم يعد يرتجف هذا القوي.*
- *قال الصبيّ: لا، لا، ليس بعدَ الآن.*

*وهذه المرة، كانت المرأة هي مَنِ ابتسمَ.*

في هذا المقطع، لا شيء يتوقف، ولا شيء يصدم، فنحن نقرأ بسهولة من أجل متعة القصة.

وغايتي هنا ليست أن أحكُم على احترام المعنى في الترجمة، ربما كنت غير قادرة على ذلك بخصوص لغات كاللغة التركية، واليابانية، والبلغارية، التي أستعمل ترجماتها أمثلة. أنا لا أهتم إلا بالترجمة باللغة (B). لقد رأينا فيما سبق نصًّا رُوجِعَ باللغة (A)، وسنرى فيما سيلي ترجمةً باللغة (B) ليست مُراجعَةً على ما يبدو.

### 3.3.2.4. المثال السابع

يتعلق الأمر هنا برواية إيفان فازوف (Ivan Vazov)، وعنوانها: *تحت النِّيْر*[27]، وهي رواية كلاسيكية رائعة من الأدب البلغاري؛ إنها تروي بطريقة رومانسية فترة التوتّر الثوري ضد الاحتلال التركي في نهاية القرن التاسعَ عشرَ. إن اللغة (B) التي تُرجِمَتْ بها ممتازة، ولكنها لا تمتلك

[27]. Vazov, I. : Sous le joug, Sofia-Presse. Traduction française de Tzonev, S., Pentcheva, S. et Yonova, V. (1982), Sofia-Presse, Sofia.

*"المتعة الجمالية"* التي وعَد بها في المقدمة الأكاديميُّ بيتر دينيكوف (Piter Dinekov). يكتب هذا الأخير بخصوص المؤلِّف: *"يعرف الكاتب كيف يُطَوِّع اللغة بفنٍّ غيرِ قابل للمقارَنَة لحاجات السّرد ويبلُغ إيحاءات شِعريّة"*.

ويكتب كذلك: *"والاهتمام الذي تثيره الرواية لا يرتبط فقط بالموضوع المعالَج [...]، بل ينتج كذلك عن الخصائص الفنية الرائعة للعمل، وعن مصادر المتعة الجمالية التي تمتلكها"*.

شخصيًّا، لم أجد في ترجمة رواية: *تحت النِّير* لا إيحاءات شِعرية ولا خصائص فنية خاصة. إنّ بعض الأخطاء تُنْتِج الأثر المعاكس لما يُبحَثُ عنه. من ذلك ما نجده في الصفحة 25: *"وهكذا فالرجلان اللذان ربطت بينهما هذه الليلةُ الداميةُ إلى الأبد صدّرا الجُثَثَ في الأدغال وراء الطاحونة"*[28].

وفي مكان آخر في الصفحة 93، نجد وصف مسرحية كان ينبغي أن يؤثّر فينا: *" رُفِعَت الستائر من جديد. وهذه المرة يمثل المشهدُ سجنًا مُضاءً بفانوس ورقيّ. إن جنفييف* (Geneviève) *التي تحمل طفلها بين يديها، هذا الطفل الذي ولدتْه في السجن، تقذف كلمات مؤثّرة ودموعًا. إنها الآن طبيعية أكثر. فالليل، والسجن المشؤوم، وأنّات الأم البائسة التي لا يأتي أحدٌ إلى نجدتها، كل ذلك يلامس شَغاف القلوب. ودموعٌ تسيل على وجه عدة نساء. الدموع، كما الضحك، معديةٌ. وعدد المشاهدين الذين كانوا يبكون صار في ازدياد، بل إن بعض الرجال ذرفوا الدمع بغزارة عندما كانت الكونتسة تكتب الرسالة إلى زوجها. وكابلشكوف* (Kablechkov) *المنفعل يصفّق لمقطع مثير للشفقة. وتردَّد صدى تصفيقه، متوحّدًا، في هذا الصّمت العميق، وزفر من دون صدى. وغمرت نظراتٌ غاضبة المشاغبَ الذي كان يُحْدِث ضوضاء في أكثر اللحظات تأثيرًا. أما إيفان سليامساس* (Ivan Seliamsas) *الذي كان ينشُق وهو يبكي، فألقى عليه نظرة دمويّة"*.

---

[28]. لم تذكر الكاتبة أيَّ خطأ في هذه الفقرة. ولعلّ بالإمكان الإشارة إلى الفعل (exporter: صَدَّرَ أو وَرَّدَ)، فالجثّث تُنْقَل أو تُحْمَل إلى الأدغال خلف الطاحونة، ولا تُصَدَّر أو تُوَرَّدَ. المترجِم.

يمكننا أن نبيّن من الأخطاء: أننا *لا نقذف دموعًا*، وأنّ الدموع *تسيل* أكثر مما *تجري*، وأن تطابق الأزمنة لم يُراعَ.. المشهد مفهوم، ولكنني لا أعتقد أننا سنحس بالانفعال الشديد ونحن نقرأ: "*وتردَّد صدى تصفيقه، متوحّدًا، في هذا الصّمت العميق، وزفر من دون صدى*، أو أنّ أحد المشاهدين يملك *نظرةً دمويّة*.

لقد أنتجت مأساة شعبٍ شاعرًا عظيمًا، تجلّى ألمُهُ عَبْرَ الأحداث التي يرويها، والطريقة التي يسردُها بها تعكس حساسيته. هذا هو الحكم الذي أجمع عليه البلغاريون بخصوص رواية "*تحت النّيْر*". ومن المؤكّد أنّ الترجمة باللغة (B) قد أضرّت الترجمة الفرنسية لهذه الرائعة الكلاسيكية، التي تَظهر فيها أخطاءٌ كثيرة. وحقيقي أيضًا أنّ فرنسا لم تعرف قرونًا من الاستعمار التركيّ، وأنّ القارئ الفرنسي بالنتيجة لم يتأثر مباشرة بالرواية كما تأثّر البلغاريون بالرواية التي تروي تاريخهم.

والأدب أدبيٌّ لأنه خيال، وهو كذلك أيضًا بسبب وظيفته الجمالية، ففي تعبيره النهائي، لا يعود الجمال هو الواقع الخارجي بل، بالأحرى، يصبح اللغةَ نفسَها. إن الوظيفة الجمالية هي، بلا شك، بعيدةُ المَنَال في الترجمة باللغة (B)، ولكنْ، على أية حال، ينبغي أن تكون جَوْدَةُ اللغة (B) في الترجمة الأدبية أعلى، بوضوح، من تلك التي تكفي في ترجمة نصوص واقعية، ومراجَعةُ كاتب ذي لغة (A) هي، بخصوص الأدب، ضرورة مطلَقة.

### 4.2.4. نصوص الفِكَر

رأينا قبل قليل ترجمة النصوص الأدبية باللغة (B). وفي الفقرة (1.4) من هذا العمل رأينا التعويض الذي يجريه القارئ المتخصص بالنسبة إلى شكل اللغويِّ للترجمة باللغة (B) لكي يدرك المعنى. والأمثلة المقدمة هناك كانت ترجِع إلى حقائق خارجة عن النصّ. بقي لنا أن نرى نصوص الفِكَر التي تتوجَّه إلى الجمهور العامِّ، وأن نأخذ من أ. ريدنينغ مقالة للسيد ستولتنبرغ (Stoltenberg)، الذي كان عام 1989 وزيرًا للشؤون الخارجية لدولة النروج (Norvège).

### 1.4.2.4. المثال الثامن

هذه المقالة نُشِرَتْ يوم 24 تشرين الثاني عام 1987 في جريدة بروكسل (Bruxelles) التي تحمل اسم *"المساء:* Le soir*"*. تُرجِمَتْ عن اللغة النروجيّة باللغة الفرنسية(B)، وهي توضح موقف النروج من الجماعة الأوربية. وهذا مقطع منها: *"النروج، إلى جانب البلدان الأخرى لرابطة التجارة الحرة الأوربية (*AELE*)، هي سوق هامة جدًّا للجماعة الاقتصادية الأوربية* (CEE)*. فبلدان رابطة التجارة الحرة الأوربية تشتري من صادرات الجماعة الاقتصادية الأوربية حصة أكبر من حصة دولتي الولايات المتحدة واليابان مجتمعتَيْن"*.

كان السيد ستولتنبرغ يريد أن يبيّن أنّ المجموعة الاقتصادية الأوربية تحتاج إلى رابطة التجارة الحرة الأوربية (AELE) أكثر مما تحتاج هذه الأخيرة إلى المجموعة الاقتصادية الأوربية. إن اختيار الوزير جريدةً في بروكسل ليطور فيها أدلَّتَه تُبَيِّن أنّه كان يريد أن يقرأ له البلجيكيون، وأن يقرأ له كذلك قادة المجموعة الأوربية وموظفوها. ولكي يكون مفهومًا، ويُقنِع قُرّاءه كان ينبغي أن تكون الترجمة أكثر وضوحًا. وما من شكٍّ في أن السيد ستولتنبرغ كان يريد أن يقول: *إن النروج، وبصفة أعم مجمل بلدان رابطة التجارة الحرة الأوربية هم كبار المستوردين لمنتجات المجموعة الاقتصادية الأوربية. إنهم يشترون من المجموعة الأوربية أكثر مما تشتري دولتا الولايات المتحدة واليابان مجتمعتين. إن هدف الكاتب، وهو البرهنة والإقناع، لم يتحقَّق"*.

وتكتب أ. ريدنينغ في ختام دراستها[29]: *"إن التكرارات العديدة لكلماتٍ تكتسي معانيَ غيرَ تلك المدوّنة لها في اللغة، تتطلَّب الكثير من الإبداعات السياقيّة. [...] فإذا كانت هذه الإبداعات مسلَّمًا إحصائيًّا بأنها أصعب على التحقيق في اللغة (*A*) من التطابُقات المحدَّدَة سلفًا، فإنها أكثر صعوبة في اللغة (*B*) التي يُحرَم فيها المترجِمُ من الغريزة المبدِعة التي يتمتّع بها المترجِمُ بلغته الأم. وهناك صعوبة ثانية لترجمة نصوص الفِكَر عصيّة على الحلّ تقريبًا، هي الدعوة إلى إعادة تنظيمٍ للكلام كبيرة. فلكي تُنْتِجَ نصوصُ الفِكَرِ أكثرَ من انطباعٍ غامض لدى القُرّاء، ينبغي أن*

[29]. Rydning, A. op. cit. p. 234.

*تنطويَ على صياغة واضحة، وتعبير يتوافق مع عادات الكلام في لغة الوصول. إن المقصود، فيما يخص هذه النصوص، تخليصُ القارئِ من ضرورة فكِّ ترميز المعاني الفعلية للجمل قبل أن يستطيع بلوغ المعنى الذي تعبّر عنه. وهذه النصوص التي تذكِّر بإبداعية المترجِم ينبغي أن تكون عملَ مترجِمين خُبَراء يعملون، بالأحرى، مع مواطنٍ محلّيٍّ (*autocthone*).*

لنتذكر ما كنا قلناه في بداية هذا الفصل: إن تعذُّر بلوغ جَوْدَةٍ في التعبير باللغة (B) معادلةٍ لمثيلتها باللغة الأم تدين الترجمة باللغة (B) في ما يخص اللغات ذات الانتشار الواسع. والترجمة باللغة (B) ينبغي ألا تُطَبَّق أبدًا عندما يكون في التركيبة اللغوية نفسها مترجمون باللغة A، من جَوْدة فردية متساوية.

والترجمة باللغة (B) للنصوص المكتوبة بلغات ذات انتشار ضيق هي ضرورية، ولكنّ مَنْ يقدم الكتاب والمترجِم أيضًا يجب أن يضعا في الحُسبان غايةَ الترجمة والقُرّاءَ الذين تتوجَّه إليهم.

والترجمة باللغة (B) ترتبط، في جَوْدَتها، بمستوى المعارف اللغوية لمَنْ يطبّقونها. فالمترجِم سيختار النصوص التي يستطيع توفير ترجمتها، تَبَعًا لدرجة تمكُّنه من اللغة (B)، وكذلك تبعًا لدرجة تخصُّص القارئ، وللطابَع الأدبي أو العمليّ للنصوص، ولغايتها. وبهذا سيتجنّب أن يجعل الناس يبتسمون لنص يريد أن يكون جادًّا، أو يجعلهم يرفضون النص الذي يريد الإقناع، أو يُنتِجَ ترجمةً قليلة الوضوح، أو صادمةً، أو غير صحيحة، أو حتى عويصة.

## 5. خاتمة

نختم هذه المقالة عن الترجمة باللغة الأجنبية بالتذكير بأن المعادَلَة النوعيّة لترجمةٍ ما يمكن التحقُّق منها في ضوء نوعين من الهُويّة: هُويّةِ المعلومات الظاهرة والضّمنية، وهُويّةِ التأثيرات العاطفية. وتحقيق هذه المعادَلَة يتطلّب من المترجِم فهمًا لِلُّغَةِ لا عيبَ فيه، ومعرفةً كافية بالموضوع المعالَج على خلفية من الثقافة الأجنبية، ومنهجًا ملائمًا، وجَوْدةَ تعبيرٍ تمنحُهُ لغةٌ أمٌّ.

# نماذج توضيحيّة للإبداع في الترجمة

**إيوانا بالاسيسكو – بيرند ستيفانيك**

**ترجمة: د. عادل داود**
جامعة البعث – كلية الآداب
الجمهورية العربية السورية

*«التنظير بحدِّ ذاته نمطٌ من **الدفاع** المهني **عن النفس**» (بيم، 1992، ص153).*

*«يكوِّن هذا التصوّر لنظرية الترجمة جزءاً ضرورياً من الدّرع الدفاعي للمترجم ضد هجماتِ غير المتفهّمين لها» (روبنسون، 1997، ص204).*

## توطئة: لِمَ التفكُّر في الإبداع؟

**الفكرة الرئيسية:** يُلام المترجم على «خيانة» النص. وتُبيح التصورات الجديدة عن النص وفعلِ الترجمة إبداعاً يَجد شرعيته في «المنطقيّة المتبادلة بين الأفراد»، القائمة على أسس نظرية.

### 1- اتهام «الخيانة» والنظرية لكونها دفاعاً ذاتياً من المترجم

«المترجم الخائن!» (*Traduttore – traditore!*)

يُطلَق هذا الاتهام بالخيانة جملةً لا تفصيلاً، لكنه يَخصّ بالطبع إبداع المترجم. فيُتَّهم الأخير بها فوْر ابتعاده، ولو قليلاً، عن كلمات النص المصدر. وتَمكَّن هذا الاتهام من التجسُّدَ في جناسٍ انتشر عالمياً بين كلمتي (Traduttore-traditore!) (المترجم الخائن بالإيطالية)، إذ يُرَدّ إلى قصورٍ في الحجج النظرية من ناحية المترجم، لتسويغ ترجماته الإبداعية. والاقتباسان المبرَزان في بداية هذه الدراسة يوضِّحان إحدى الوظائف التي يمكن أن يؤدِّيها التفكُّر النظري عن الترجمة

في مواجهة اتهامات «الخيانة» التي خَضع لها المترجم، وهي: الدفاع عن النفس ضد انعدام التفهُّم والتُّهم الموجَّهة. والوظيفة المهمّة الأخرى: تحسينُ الكفاءة الترجمية، الذي يَتبَع أخذ الوعي، ويترافق مع «أخذ الثقة» (هونيغ، 1993). وتُزْمِع هذه الدراسة تأديةَ هاتين الوظيفتين، لتَمنح المترجم المسوغات النظرية اللازمة لمنطقيّة نهجه.

**2- الأسس الخاطئة لاتهام الخيانة:**

**الترجمة لكونها نسخة «أمينة» عن الأصل**

إذا عُدَّ المترجم خائناً، رَجِع ذلك إلى سُوأين في الفهم: التصوّر المغلوط لطبيعة «النص»، من ناحية؛ و لعملية التحضير للترجمة، من ناحية أخرى. يقول بيير ليْريس، مستشهِداً بِـ يفتوشِنكو: «الترجمات كالنساء، حين تكون جميلات، لا تكون وفيّات؛ وحين تكون وفيات، لا تكون جميلات»؛ إذ يَبرز جليّاً تصوّره للنص على نحوِ «جمْع من الكلمات» لها معانٍ فردية ينبغي إعادة تقديمها بكلمات مطابقة للُّغة المصدر، وذلك على شاكلة عمليةٍ تحضِّر للترجمة تُصمَّم كأنها «عملية دقيقة رياضياً»، بالتوافق مع صورة الترجمة التي يكوِّنها لنفسه نايدا، لمَّا كتب: «يكمن ما نسعى للقيام به في إعادةِ إنتاجٍ أمينة لمجموعاتٍ من الملامح المؤسِّسة» (1974، ص50)، فالكلمة محلَّلة على نحوِ مجموعة من السمات الدلالية المناسبة، كما تُوصي اللسانيات البنيوية. ولا يوجَد بالطبع مكانٌ للإبداع في تصوّرٍ كهذا عن الترجمة.

**3- تصوّر جديد عن الترجمة**

**3-1 على مستوى فهم النص: «القراءات المتعددة» والإبداع**

خضعتْ هذه التطورات -كما سنُظهره في قسم العرض التاريخي- إلى تطور جوهري، فيُعَدُّ النص الآن كياناً يتجاوز معناه مجملَ المعاني الفردية للكلمات[1]. فضلاً على أنَّ هذا المعنى لا «يكمن» -قولاً واحداً- في النص. وأَعقبَ التفكُّر النظري لدى رولان بارت أو يومبرتو إيكو

[1] يتحدَّث ستولز (1992) عن: «Übersummativität» في النص، الذي يَعني: تجاوز مجمل الكلمات.

جعْلُ المعنى يأتي إلى النص عن طريق متلقّيه. وقد يمتلك هؤلاء المتلقُّون «قراءات متعددة» للنص. ويُفسِح ذلك مجالاً جديداً لإبداع المترجم، ابتداءً من مستوى فهم النص المصدر.

### 2-3 مستوى تحرير النص الهدف: نظرية الهدف (سكوبوس) والاختلافات الثقافية لكونها عناصر متأصِّلة في الفعل الترجمي

تَضع نظرية سكوبوس غايةَ الترجمة وتوقُّعات من يتلقّى النص الهدف في المستوى الأول، متيحةً بهذا مكاناً أفسحَ للإبداع. وقاد ذلك الباحثين في الترجمة إلى التخلّص من تصوّرهم عن الفعل الترجمي، وعن العملية المرصودة والمتوقَّعة بشكل رياضي (وهذا أحد المعايير التقليدية في العلوم المسمّاة «دقيقة» لبلوغ مكانة «النظرية» وفق تصوّر كارل بوبر[2]. بَيدَ أنه جرى الإعراض بعدئذ عن ذاك التصور[3])؛ ليُستعاض عنه بمفهوم «المنطقية المتبادلة بين الأفراد» («Intersubjektive Nachvollziehbarkeit» وَفق ستيفانيك 1997، و« Interindividuelle Nachvollziehbarkeit» وَفق جيرزيميش- أربوغاست وموديرسباش 1998)؛ إذ يجب أن يكون في مقدور المترجم جَعْلُ ترجمته «منطقية» للآخر، شارحاً السبل التي سلكها للتوصُّل إليها. (...)

**الخلاصة:** هدف بحثنا تتبُّعُ مسار الفكر الإبداعي للمختصّ في الترجمة، وجعْلُ الحلول الإبداعية التي يوجدها لمشكلاته منطقيةً. ومن شأن ذلك السماحُ له بالدفاع على نحو أفضل عن اختياراته الترجمية. وتحدِّد هذه الغاية تصوّرَنا عن الإبداع لكونه «نشاطاً لحل مشكلة معينة» (غيلفورد).

---

[2] «التخطئة» لدى بوبر (1935) تعني أنَّ النظرية التي لا تكون قادرة على القيام بتكهُّنات جليّة لا يمكن تخطئتها، ولا تكون علميةً إذن.

[3] يُنظَر كونانت 1947، و لاكاتوس 1970.

### 4- تعريف الإبداع ومظاهره

**الفكرة الرئيسة:** لا يُتيح الوضع الحالي للبحث تقديمَ تعريف واضح للإبداع، لكنه يَسمح باستخلاص عدد من المظاهر والمعايير.

#### 4-1 الإبداع في العموم

لا يزال مصطلح الإبداع محتفظاً بشيءٍ من هالةِ غموض، وذلك في سائر المعاجم ذات الاستعمال العام. ويُعرَّف عموماً بأنه «القدرة على الصنع»، و«الصنع» يُعرَّف على نحو «فعلِ الإيجاد من لا شيء». ويُستَشفّ هذا الفراغ التعريفي في أحدث المعاجم التخصصية أيضاً حيث يُعرَّف «الإبداع» بأنه «مفهومٌ لم تَتّضح بَعدُ حدوده بصورة كافية، إذ يشير إلى مجموعة من القدرات التي تكوِّن أساساً للعمليات الخلّاقة» (هاكِر و ستابف، 1998، ص467). وتَرى إيرينا مافرودان، المترجمة الرومانية المعروفة لأعمال الكاتب بروست وكتّاب فرنسيين آخرين، أنَّ الإبداع، لا سيما إبداع كاتبٍ مثل بروست: «وعيٌ عميق، تُحرِّضه ذاكرة غير إرادية» (مافرودان، 1994، ص126) ومردُّه **المصادفة**.

#### 4-1-1 مظاهر الإبداع

يَحذَر الباحثون في الإبداع من تقديم تعريفٍ، ويفضِّلون الحديث عن «مظاهر» الإبداع (برودبيك، 1999، ص18)؛ كمظهر «**الجِدَّة**» في المنتَج المصنوع، و«**الاستقبال الإيجابي**» الذي يخصّه به **تقويم الخبراء** (برودبيك، 1999).

وحاول **كتيّب الإبداع** (غلوفر وآخرون 1989، ص29) الإحاطة بالمشكلة، ثم استشهدَ بعالِم النفس كلاريدج (1987، ص134)، ليعبِّر عن عدم قدرته على إعطاء تعريف واضح للإبداع: «غالباً ما شعرتُ بذلك على نحوٍ مفهوم توضيحي في علمِ النفس، وغالباً ما امتلكَ "الإبداع" ميزاتِ عاشق صعب لكنه مُقنِع، إذ يحدِّثه العقل بالهجران، لكنه يستمرّ في إرضاء حاجةٍ يمكن الهروب منها». ويخلُص **الكتيّب** إلى أنه: «لا يمكننا تعريف منتج إبداعي، لكننا نَعرِفه حين نراه» (غلوفر، 1989، ص13).

بَيدَ أنَّ دراسةَ مختلف النظريات الموجودة تُتيح استخلاص عددٍ من السمات الظاهرة، التي يتَّفق عليها الباحثون في الإبداع، ويكون طابعها مناسباً للمترجم.

(1) ينبغي لمنتَج الفعل الإبداعي أن يكون «جديداً»:

«بصرف النظر عن الصفات الإيجابية الأخرى التي قد يمتلكها، نُشدِّد عموماً –في الخطوة الأولى– على أن يكون المنتَج جديداً قبل أن نقول إنه: إبداعي» (جاكسون وميسيك، 1967، ص4).

(2) ينبغي لمنتَج الفعل الإبداعي أن يكون «ملائماً»:

«الملاءمة معيارٌ مشتركٌ وحاسمٌ للابتكار. فيجب أن يتناسب المنتَج مع متطلّبات الموقف والمنتِج، ومع المنتوجات المعقدة، ويتعيّن على الأجزاء الفردية تكوين كلٍّ متماسك» (فوكس، 1963، ص124).

ويوجِد جاكسون وميسيك، إلى جانب هاتين الخاصيّتَين اللتين تنالان الإجماع، معيارَين آخرَين أيضاً يحدِّدان جودة منتجات الإبداع، ودرجة إبداعيتها، هما: (3)– «**تحويل القيد**» (ويمكن تطبيقه بالأحرى على المترجم، الذي ينبغي له «تحويل القيد» المفروض من النص المصدر). و(٤)– «**التكثيف**» الذي يكون موجوداً في منتجاتٍ «لا يجب عليها نشر معناها الكامل من الوهلة الأولى» (1967، ص10)؛ أي ترتبط درجة الإبداعية بتكثيف المعنى، وبشيءٍ من الاستغلاق.

### 5– مراحل البحث في علم الترجمة استناداً إلى الإبداع

يرى بعض الباحثين أنَّ «الإبداع» مفهومٌ ذو أوجهٍ (يُنظَر مثلاً: غيلفورد، 1950، ص446). ولْنستقصِ نظريات الترجمة في ضوء المكانة التي تخصِّصها لشتى درجات الإبداع! فيتعيّن التمييز بين النظريات التي تكتفي بمعيار الجِدَّة للتحدُّث عن ترجمة «إبداعية»؛ والتي تَعدُّ الإبداع في الترجمة «نشاطاً لحل مشكلة»، فتُخضعها لمعيارِ «الجِدَّة» وطابعِ «الملاءمة».

### 4-1 النظريات التي تتصوَّر الإبداع «نشاطاً لحل مشكلة» مستجيبًا لمعيارَي «الجِدَّة» و«الملاءمة»

**الفكرة الرئيسية:** أطلقَ فشل الترجمة الآلية نقاشاً تنظيرياً عن الترجمة، تزايدت فيه أهمية المكانة الممنوحة للإبداع.

#### 4-1-1 الترجمة الآلية: الدرجة صفر من الإبداع

بدأ علم الترجمة يصير علماً يَستند إلى أبحاثٍ تُجرَى بطريقة ممنهجة مع وارن ويفر، عام 1949. واشتغل ويفر في أثناء الحرب بفكِّ ترميز الرسائل السرية المعادية، بمساعدة الحواسيب. ويرى أنَّ الترجمةَ هي فكُّ ترميزٍ، فاللغة الروسية –مثلاً– إنكليزيةٌ مرمَّزة، يقول: «نتساءل بصورة طبيعية عن إمكان مواجهة مشكلة الترجمة على نحوِ مشكلةِ تشفير. فحين أشاهد مقالاً مكتوباً باللغة الروسية، أقول لنفسي: هذا مكتوبٌ في الحقيقة باللغة الإنكليزية، لكنه رُمِّز بمساعدةِ منظومةٍ غريبة من الرموز؛ وأخوض بعدها في فك رموزه» (استشهَد بذلك دولافينِه، 1959، **آلةُ الترجمة**، ص13–14).

وهذه الآمال الخاصة بالترجمة الآلية قَيَّدتْ التفكُّر الترجمي بوَثاقٍ تنظري، يَمنع طبعاً كلَّ أخذٍ للإبداع بعين الاعتبار. وكان جورج مونان أول ضحايا ذلك، فعمله عن: **المشكلات النظرية للترجمة** يتناول في واقع الأمر المشكلات النظرية التي تطرحها الترجمة الآلية. وعنوان عمله الآخر في علم الترجمة: **الجميلات الخائنات**، يتناول فيه الترجمة الشعرية، ويُفصِح عن مجمل المكانة الممنوحة للإبداع في الترجمة؛ فالترجمة الشعرية –وهي بالطبع المكانَ المفضَّل للإبداع في الترجمة– لا يمكنها إلا أن تكون «غير أمينة». ووِفق هذا المنظور، يُعرِّض «المترجم الخائن» نفسه إلى لومِ ارتكابه جريمةَ "النَّيل من هيبة الملك" في كل مرة لا يُعيد فيها إنتاجَ الأصلِ المقدَّس «بأمانة». و«الأمانة» تعني الولاء للنص، إذ يُفهَم النص على نحو تتابعٍ من الكلمات، يَحمِل كل منها معنى دقيقاً، وينبغي إيجاد الكلمات المطابقة لها في اللغة الهدف،

أو كما بيَّن نايدا[4] (1974) من وجهةِ نظرِ اللسانيات البنيوية: الكلمة التي تُعيد في النص الهدف إنتاجَ أكبر قدْر من السمات المناسبة لكلمة النص المصدر.

**4-1-2 الأسلوبية المقارَنة: الدرجة الأولى من الإبداع؟**

بعد تجاوز إطار الكلمة وكونِها وحدةً في الترجمة، تمكَّن البعض من عَدِّ الأسلوبية المقارَنة الخطوةَ الأولى نحو الإبداع. و«الإبدال»، من مثل: He swam across the river (يسبح عبر النهر) بِـ: (اجتاز النهر سباحةً)، يَنطوي في واقع الأمر على تحويلٍ يَطول الكلمات وبناءَ جملةِ اللغة المصدر. لكنَّ هذه التحويلات تَعود إلى الضوابط البنيوية للمنظومات اللغوية المتقابلة. وبرهان ذلك أنَّ الهدف من الأسلوبية المقارَنة إجراءُ جردٍ عام لغاياتِ الترجمة الآلية، فتَعدُّ هذه الغايات عملياتٍ يمكن جعلها آلية.

**4-1-3 لسانيات النص والإبداع**

قدَّمت بعض تيارات (لسانيات النص) النصَّ بأنه «عرضٌ للمعلومة»، موضِّحةً أنَّ العمل بذاته لا «يمتلك» معنًى، بل يأتي المعنى للنص من متلقِّيه. فعقِب نظريات المعنى لدى رولان بارت أو يُمبيرتو إيكو، أُتيح توقُّع إعطاءِ بعض الحرية الإبداعية للمترجم. لكنَّ المشتغلين على لسانيات النص توَّهوا أنفسهم في تحليلٍ تزايد إيغاله في دقائق نصٍ ابتعد أكثر عن الناحية العملية في عمل المترجم، بل أَبرزت مرحلة مميَّزة من تحليل النص، وُضِعت قبل كل سعيٍ للترجمة، مانعةً المترجم من ترجمة أدنى كلمة قبل القيام بتحليل «مستفيض» للنص (يُنظَر ستيفانيك 1996، 1997؛ للاطّلاع على نقدٍ مفصَّل لتلك النظريات). وأُقصِي الحدس والإبداع دفعةً واحدة من هذه البحوث، إذ اتّسمت بـ«طابعٍ لا يُدرَك كثيراً لأبحاثٍ من النوع العقلاني» (جيرزيميش-أربوغاست، 1994، ص16).

[4] «يكمن ما نسعى للقيام به في إعادةِ إنتاجٍ أمينة لمجموعاتٍ من الملامح المؤسِّسة» (نايدا، 1974، ص50).

**4-1-4 البراغماتية والإبداع**

المساحةُ التي يخصصِّها المنهج التداولي (البراغماتي) للإبداع تبدو أكبر. والحقُّ أنَّ القيمة الكلامية للأفعال اللغوية –التي ترتبط بالموقِف ولا تُستخلَص بناءً على تحليل دلالي للعناصر الفردية الدالة على المعنى، والتي تكوِّن هذه الأفعال– تُجبر المترجم على إيجاد أفعال لغوية مستعملَة في اللغة الهدف، للتعبير عن نفس القيمة الكلامية في هذا الموقف نفسه. وعبارة (sarut mâna) الرومانية (وتعني حرفياً: تقبيل اليد) هي صيغةٌ لإلقاء التحية على المرأة (وفي بعض الاستعمالات المحلية لتحيةِ كبار السن والكهنة)، متميّزة عن التحية الملقاة على الرجل؛ وتُترجَم بصيغة وحيدة باللغة الفرنسية، لا تعرِف (على الأقل في القياس المتزامن) هذه الخصوصية الثقافية. بَيدَ أنَّ ذلك –في نظرنا– لا يُبرِز أيضاً إبداع المترجم، بل يقدِّم صياغات لغوية سابقة مرتبطةٍ بالمواقف، وموسومةٍ ثقافياً؛ فينبغي للمترجم الجيد (ثنائيِّ اللغة والثقافة) حيازتها، وإدراجها بطريقة شبه آلية في خطاب اللغة الهدف. ولن يَعرِض اختياره الترجمي الملامحَ المميَّزة لتفكيرٍ إبداعي، كما استنتجه الباحثون في الإبداع، على نحوِ النموذج ذي المراحل الأربع مثلاً، إذ يَصِف تقدُّم أخذ الوعي بمشكلة ما حتى حلّها، مروراً بأطوار: «التحضير– الحضانة– الإضاءة– التقويم» (يُنظَر: بريزيه، 1976، ص42؛ إلمان 1968، ص22).

**5-1-4 الوظيفيّة (نظرية الهدف «سكوبوس» والإبداع)**

يَضع المنهج الوظيفي –المعروف باسم نظرية سكوبوس (رايس و فيرمير، 1984)– العمليةَ الترجمية في سياقِ (نظرية الفعل)، التي تنصّ على أنَّ كل فعل يَستقي معناه من الهدف الذي يصبو إليه. ويَنجم عن ذلك أنَّ غاية الترجمة تقدِّم المعايير الواجب احترامها. ويمكن حدوث تغييرٍ في غاية نصٍّ معين أو إبقائها وفقاً لمن يصدِر الأوامر. فإبقاء الوظيفة –والذي هو الحالة الأكثر شيوعاً إلى حدٍّ بعيد– يأتي أيضاً بإبقاء التأثير المحدَث في متلقّي النص.

### 4-1-6 علم التفسير والإبداع

يعلِن التيار «العقلاني» الوصولَ إلى معنى الترجمة بتحليلٍ دقيق للنص، يَسبق السماح بأيّ محاولة للترجمة. ويوازيه تطوّرٌ، على خُطَا غادامير، لعلمِ ترجمةٍ «تفسيري»، يتصوَّر الوصول إلى المعنى بالاستيعاب الحدسي له، في ظل المخاطرة بتسويغِ هذه الأولوية الممنوحة للإبداع في بلوغ المعنى؛ وذلك عبْر تحليل لاحق. وتحدَّث بابيك و فورجِه (1981) عن الحدْس *الصاعق*، الذي تحصل منه *اللقية السعيدة*.

**الخلاصة:** يَظهر مع نظرية سكوبوس نوعُ الإبداع الذي يثير اهتمامنا! وينبغي للمترجم أمام تطلُّب الإبقاء على الأثر المحدَث في المتلقّي أن يأخذَ التباعد المحتمَل بين الثقافتين المعنيتَين بالحسبان، ويقدِّم إبداعاً يتناسب مع هذا التباعد. ويَمنح النهج التفسيري الإبداعَ مكانةً مصدرها النظر في سيرورةِ المعرفة. ويتبقّى تعرُّف ما يختبئ خلف بعض المفاهيم، من نحو: «الحدْس الصاعق»، وسنحاول إزالة الغموض عنها بالبحث عن نماذج توضيحية في العلوم المجاورة.

### 4-2 نظريات الإبداع في الترجمة التي لا تأخذ إلا معيار «الجِدَّة» بالحسبان

**الفكـرة الرئيسـة:** النظريـات التـي تُراعـي معيـارَي التقـويم، وهمـا «جِـدَّة» المنـتَج وطابعـه «الملائم»، ولا تراعي الإبداع لكونه «نشاطاً لحل مشكلة» لا تتوافق مع قواعد مهنة المترجم.

### 4-2-1 النصُّ مصدراً للوحي الإبداعي

ثمـة تصـوّرات عـن الترجمـة تَعـدُّ العمـل المطـروح للترجمـة محرِّضـاً للـدّافع الإبـداعي عنـد المترجم. والمثال التاريخي عن ذلك هو: «**الجميلات الخائنات**» كما أطلِق على هذا النوع من المخرَجات في القرن السابع عشر؛ وهي لا تَستعمل النص المصدر إلا مطيّةً لكي يُطلَق العنان لخيال «المترجم» (الذي يَغدو بهذا «كاتباً»). وفي العصر الحالي، تَلقى هذا التصور من جديد في البلدان الأنغلوسكسونية؛ وذلك –من ناحيةٍ– في الولايات المتحدة في **ورشاتِ عمل الترجمة والكتابة**، ولا سيما في ورشة العمل المعروفة في جامعة آيُوا، إذ لا تُعدُّ كلمات قصيدةٍ "تُترجَم" إلا *مؤشرات تدلّ على المعنى*، ينبغي للمترجم استيعابها حدسياً، ويجب عليه الاستيحاء منها

ليَصنع عمله الخاص في اللغة الهدف؛ و–من ناحية أخرى– لدى مناصري «مدرسة التلاعب»، وأحد مؤسِّسيها جيمس هولمس، وهو خرّيج «ورشات الترجمة» هذه. وانطلاقاً من التحقُّق أنَّ كلَّ ترجمةٍ «تلاعبٌ» بالنص المصدر، ما عادت هذه المدرسة تُبالي بتوافق النص الهدف مع النص المصدر، بل تَرى أنه حسْبُ المترجم التصريحَ أنَّ نصه «ترجمة» ليتوقَّف النقاش عن إضافته أشياء أو تغييرها تَبَعاً للوحي الذي أطلقه استيعابه للنص المصدر. وقاموا بنشر أفكارهم في مجلد بعنوان: **التلاعب في الأدب: دراسات في الترجمة الأدبية** (هيرمانس، 1985).

**4-2-2 انحرافات الرخصة الإبداعية في الترجمة**

أفضت هذه الرخصة الإبداعية إلى استعمال الترجمة لغاياتٍ سياسية أو عقائدية، مثل: «الترجمة بعد الاستعمار» وتُعرِب عن الرغبة في ردِّ المظالم التي تتسبَّب بها الإجراءات المفروضة على المترجمين في ظلّ الاحتلال الاستعماري؛ أو «الترجمة النسوية» التي تبتغي ردَّ الظلم الواقع على النساء، و«تُعلِن الحرب على المفهوم المزدوج القديم في القطبيّة الثنائية بين النص المصدر والترجمة» (باسنت، 1991، ص66) ليُستعاض عنها بـ«إبداعٍ» يخدم عقيدة معينة، إذ إنَّ: «الترجمة ليست نقلاً للمعنى بل إعادةَ صياغةٍ له» (سيمون 1996، ص23 مستشهِداً بِـ غودارد)، و«ينبغي للترجمة أن تكون *إنتاجاً* سلساً للمعنى، شبيهاً بالأنواع الأخرى من الكتابة» (ص12). ويمضي هذا «الإبداع» حتى الرغبة في «إعادة تحديدِ جنسِ» اللغة (ص20) (مثال: استعمال "auther" بدلاً عن "author" باللغة الإنكليزية، عند الحديث عن كاتبة أنثى، وترجمة "فجر" بـ"dawn"، ولكن تعويضها بالضمير الشخصي "she" (هي) ...). ويَكتنف ذلك كله نيّة معلنة: «ترجمتي نشاطٌ سياسي يهدف إلى صنع لغة تعبِّر عن المرأة. وبهذا، يَعني توقيعي على ترجمة ما أنَّ هذه الترجمة استعملتْ كلَّ استراتيجية في الترجمة لجعل النسوية ظاهرة في اللغة» (ص15، سيمون، اقتباس: لوتبينيير هاروود).

### 4-2-3 إبداعٌ في خدمة الترجمة

لا تتوافق كثيراً هذه التصورات في الإبداع مع القواعد المهنية للمترجم، وهو المدين للنص المصدر برسالةٍ ينبغي إيصالها. وليس من شأنه «الإيجاد من العدم» (يُنظَر: تعريف معجم *لوبوتي روبير* بالفرنسية، مادة: «خلق»). وتَدرج الأبحاث التجريبية التي أجريناها بوساطة تحليلات مرتبطة بالمحادثات والمنهجيات العرقية اندراجاً كاملاً في تصور الإبداع –المُدرَك على نحو نشاط يبحث عن حلولٍ لمشكلاتٍ معينة– على النحو الذي دافع عنها عالِم النفس غيلفور ومدرسته (غيلفورد 1971، ص312–345؛ ويُخصِّص فصلاً كاملاً للروابط بين «حل المشكلة والإنتاج الإبداعي»)، يقول: «يوجد شيء إبداعي في كل حلٍّ حقيقي لمشكلة ما، ويُستعمَل الإنتاج الإبداعي –في العادة– على نحوٍ وسيلةٍ للانتهاء إلى حل مشكلة معينة» (غيلفورد، 1971، ص312).

فهذا إبداع يوضَع في خدمة الترجمة، وليس ترجمةً تسمَّى: «إبداعية»، وتكون في خدمة أيديولوجيا معينة.

**الخلاصة:** الإبداع الذي يثير اهتمامنا يقع بين الانحرافات غير المضبوطة للمنظّرين، كانحرافات «مدرسة التلاعب»، من ناحية؛ و«تحويلات» الأسلوبيّة المقارَنة، من ناحية أخرى، والتي عدَّها بعضهم أول خطوة في الإبداع. لكنها تبدو لنا أيضاً محدودةً على نحوٍ زائد بِبِنى اللغات المعنية.

## 6- الاتجاهات الحالية للبحث في الإبداع، والذاكرة واللسانيات المعرفية وتلاؤمها مع دراسة الإبداع في علم الترجمة

**الفكرة الرئيسة:** تَدعم بعض البحوث بعضها في كلٍّ من هذه المجالات الثلاثة، وتتكامل بصورة متبادلة؛ لتقدِّم نماذج وصفية وتوضيحية لظاهرة الإبداع.

**6-1 النماذج الوصفية للإبداع**

يمتلك كل وصف طابعاً توضيحياً، غير أننا نستطيع التمييز بين نماذج وصفية تُقابِل أخرى، وتكون توضيحية أيضاً.

**6-1-1 التسلسل الترابطي (chaining) لدى اللسانيّ (المعرفي) جورج لاكوف**

أوجدَ سارفوف مدنيك (1962)، في سعيه لقياس درجة الإبداع لدى الفرد، «**اختبار الترابطات عن بعد**» (Remote Associates Test). ويكمن في إيجاد ترابطات مشتركة إزاء كلمات لا تَحوز –للوهلة الأولى– شيئاً مشتركاً، وتكون إحداها شديدة البعد عن الأخرى من الناحية الدلالية. وهكذا فإن القاسم المشترك بين: (خارج– كلب– قطة) هو (منزل)؛ وبين (جرذ– أزرق– كوخ) هو (جبن). وشرح دافيد شانك لاحقاً (1982) الكيفيّة التي تكون وفقها ذاكرتنا –التي تخزِّن خبرتنا المعيشَة– مسؤولةً عن «الترابطات عن بعد».

وهذه الاختبارات ليست في حِلٍّ من التذكير بالتسلسلات الترابطية التي اكتشفها لاكوف (1987) في المجاز الشعبي («النظرية الشعبية» (folk theory)، و«النماذج الشعبية للتصنيف» (folk models of categorization)، لاكوف 1987، ص121). وأَفلح لاكوف في إظهار التسلسلات الترابطية (chaining) التي تَحكُم حياتنا اليومية: «الاستعارات المجازية، التي تَبني المنظومة التصوّرية العادية لثقافتنا، تَنعكس في لغتنا المتداولة كل يوم» (لاكوف وجونسون، 1980، ص139).

ويُظهِر لنا، على سبيل المثال، كيفية ربطنا بين مفهومي: «غضب» (auger) و«شهوة» (lust) عن طريق تصوّرات مجازية تمتلك بعض النقاط المشتركة. والواقع أنَّ «غضب» يَقترن في الخيال الشعبي بـ«نار» كما تَشهد بذلك الاقتباسات الآتية: «هذه ملاحظات نارية. كان يتنسَّم ناراً. اعتذارك غير الصادق صَبَّ الزيت على النار. بعد التبرير، ظلّ ديف مستشيطاً لأيام...» (لاكوف1987، ص388).

وتُرَى فكرة النار أيضاً في سيناريو «الشهوة»: «إنها شعلة قديمة. أحرقته الرغبة. هذه أشياء حارقة. هذا الصبي يُشعل ناري....» (لاكوف، 1987، ص410). فيَستخلص لاكوف أنه يمكن ارتباط هذين الصنفين (غضب) و(شهوة) عن طريق هذه التصوّرات المجازية.

**6-1-2 التفكير «الجانبي» والتفكير «التباييني»**

يغتنم الباحثون في الإبداع هذا المنهج **ذا التوجه الترابطي**، إذ يَعدّون الإبداع نشاطاً لحل مشكلة. فما يُطلِق عليه غيلفورد تفكراً «تباينياً» يكون استراتيجيةً لحل مشكلاتٍ لم يجد لها التفكير «التقاربي» والمنطقي حلولاً. ويكمن في استقصاء المشكلات من وجهٍ آخر، وتناولها من وجهة نظر مختلفة. وآثرَ إدوارد دو بونو استعمال مصطلح: «**التفكير الجانبي**» مقابل التفكير المنطقي الذي يسمّيه: «العمودي». وهو استراتيجيةٌ إبداعية جوهرية تُتيح للمترجم إيجاد حلول، بنقله انتباهه إلى عناصر مشهدية أخرى تكون ثانوية في الثقافة المصدر، لكنها نموذجية نمطية في الثقافة الهدف (تدعم هذه الاستراتيجية بحوثُ شارل فيلمور ورونالد لانغاكر وعلمُ دلالة الأنماط، التي سنعرِضها لاحقاً).

**6-1-3 إليانور روش وعلم دلالة النمط**

تقودنا عالمة النفس إليانور روش (1973) إلى الربط بين البحث في الإبداع واللسانيات المعرفية. وتُبيّن أنَّ النظرة البنيوية للفئات الدلالية المحدَّدة بصورة جيدة تكون إسقاطاً من العلماء، وتحمِل ملامح مناسبة ومميَّزة بوضوح بين مختلف عناصر صنف معين. والواقع أنَّ تقسيمنا العالم إلى فئات دلالية منوطٌ بخبرتنا الحياتية وتجاربنا[5]. فالصنف (طير) –مثلاً– يضمّ عناصر تصوّرية أكثر من العناصر الأخرى الموجودة في هذا الصنف. ويختلف هذا التصوير وَفْق التجربة المعيشة في الحياة اليومية. وقد يرى شخص أوربي العصفورَ الدُّوري ممثِّلاً **نمطياً** للصنف (طير)، في حين أنَّ قاطناً في الصحراء الإفريقية يرى أنه قد يكون (النعامة)؛

[5] لاكوف و جونسون (1980، ص211) يتحدّثان عن: «المفاهيم المجازية التقليدية التي نتّخذها بنيةً لنظامنا التصوّري اليومي».

ويبدو البطريق لكليهما عنصراً هامشياً في هذا الصنف، عائداً تَبَعاً لعددٍ من ملامحه لصنف الحيوان المائي.

ومترجم **الصلاة الربيّة** الذي تَرجم «الخبز اليومي» بـ«زُبديّة الأرز» لم يقم إلا بترجمة العنصر النمطي في الثقافة المصدر بعنصر نمطي مطابق في الحضارة الهدف.

**6-1-4 (الشكل) و(الأرضية) لدى لانغاكر**

يغيّر المترجم –الذي يكون ثنائي اللغة والثقافة– **نقطة التركيز**، ويثبِّت انتباهه في عنصر مختلف من هذا الحقل الدلالي *للغذاء* اليومي. وتُعلِمنا **اللسانيات المعرفية** لدى رونالد لانغاكر (1987، ص120)، أنَّ إدراكنا يُنظَّم دائماً وفق: «الشكل والأرضية»، أي ندرِك على الدوام عنصراً (شكلاً) ينفصل عن الباقي (الأرضية)، ويرى لانغاكر أنَّ هذا: «التنظيم بين الشكل والأرضية لا يكون بصورة عامة محدَّداً تلقائياً في مشهد معين، ومن الممكن في العادة بناء المشهد بخيارات بديلة للشكل. بَيدَ أنَّ عوامل مختلفة تُسهم في طبيعة الخيار المحدَّد واحتماليته» (لانغاكر، 1987، ص120). وإذا فهمنا «مختلف العوامل» المؤثِّرة في «خيار محدَّد» كما تكون العوامل الثقافية، نستوعب التوضيح الكامن في هذه النظرية، التي تأتي لتعزيز ما قيل في الفقرة السابقة بخصوص الأنماط الموسومة ثقافياً. ويَحمِل هذا الرصد للمترجم الذي يترجم تَبَعاً لنظرية سكوبوس أهميةً بالغة، كما سنرى.

ويَضطرنا مفهوم «**المشهد**»، الذي يستعمله لانغاكر، إلى وضع نظرية (الشكل والأرضية) في إطار أوسع، هو: «المَشاهد والأُطر الدلالية» وِفق فيلمور.

**6-1-5 علمُ دلالةِ (المَشاهد والأُطر) وِفق شارل فيلمور**

انطلاقاً من التحقُّق بأننا لا نفهم إلا وِفاقاً لِمَا نعرفه سابقاً، أي لعالَم معرفتنا، يقدِّم فيلمور فِعلَ فهم النص على أنه مرتبط، من ناحية، بكلمات هذا النص المكوِّنة للأُطر اللغوية (ويشمل ذلك القواعد النحوية التي تَربط بين الكلمات)؛ وبالخبرة الحياتية لمتلقي النص، من ناحية أخرى، أي بمختلف التجارب المعيشة التي خزَّنها في ذاكرته الطويلة الأمد، إذ يستدعيها لذاكرته النشطة

بالاتصال مع هذه الكلمات، لتتكوَّن بذلك مشاهِد معرفية؛ فيُثير «الإطار» في النص «مشهداً» لدى المتلقي.

ويتألَّف «المشهد» من عناصر مركزية أو هامشية، ويتلاقى ذلك مع مفهوم العناصر النمطية لدى إليانور روش. فتَقترن عناصر «المشهد» نفسه –على نحوٍ ترابطي– بعضها ببعض، منتميةً إلى هذا «المشهد». وكما سنُظهِر في المثال المعروض فيما سَيَلي، فالمترجم الذي يجد نفسه أمام مشكلةِ فراغٍ مفرداتي في اللغة الهدف سيكون خلّاقاً في ربط الأفكار، إذ يترجم بعنصر آخر من هذا المشهد، الذي سيكون نمطياً في الثقافة الهدف، ومُدرَجاً في المعجم (يُنظَر: مثال Potty chair أدناه).

**3-2 نموذج توضيحي: «الذاكرة الحيوية» لدى روجر شانك–«حُزَم تنظيم الذاكرة»–«نقاط التنظيم الموضوعاتي»**

تَسمح لنا أبحاث روجر شانك عن الذاكرة بإيجاد نموذج توضيحي للنماذج الوصفية، التي عرضناها لتوِّنا. ويَدرس شانك الطريقة التي تُربَط وفقها بعض ذكرياتنا ببعض. فيقدِّم لنا المشهد الآتي:

«البارحة، كنتُ عند الطبيب. ورحتُ أقرأ صحيفةً في غرفة الانتظار، إذ تبيّنتُ أنَّ مريضاً جاء بعدي، وعولِجَ قبلي. ولا ريب أنَّ فاتورة الطبيب ستكون من جديد مرتفعة جداً» (شانك، 1982، ص85).

ويتساءل شانك عن الروابط التي تربط بين الفاتورة المرتفعة جداً ومرور مريض آخر قبله. فيَظهر جلياً أنَّ القاسم المشترَك هو تجربة الظلم التي مرَّ بها في مناسبة سابقة، ويمرُّ بها ثانيةً في هذه المناسبة. وتكوِّن هذه الأخيرة جزءاً من مشهدِ «فاتورة الطبيب»، ومن سيناريو أوسع في «الزيارة الطبية». وانبثاق تلك التجربة مجدّداً في هذه المناسبة، بسياقِ «زيارة طبية» أخرى، يُرَدّ إلى تخزينها على نحوِ عنصر منفصل عن مشهد «فاتورة الطبيب»، الذي عاشه في المرة

الأولى[6]، فالقاسم المشهدي المشترك الذي يقرِّب بين المشهدين هو في هذه الحالة: تجربة الظلم المعيشة.

ويَخلُص شانك إلى أنَّ تجاربنا –أي خبرتنا الحياتية التي تتحقَّق على أساسها كلُّ عمليةِ فهم– تكون مخزَّنة بحُزَمٍ صغيرة مقسَّمة إلى عناصر، ومعزولة عن سياقها المشهدي، ويُطلِق عليها: «حُزَم تنظيم الذاكرة»؛ وأنَّ ترابطات أفكارنا ليست وليدة المصادفة، بل تقتفي أثرَ طرقٍ مسلوكة سابقاً في ذاكرتنا. ويَجري هذا التخزين بمعزلٍ عن المشهد المَعيش، ليفسِّر عودة انبثاق هذه «الحُزَم» في مشهد آخر يقدِّم بعض العناصر المشتركة بين المشهدين.

ولكن، ثمة ترابطات لا تُفسَّر بهذا الانتماء المشترَك لحزمةِ تنظيم الذاكرة إلى «مشاهد» مختلفة. ويَشرحها شارك عن طريق بِنًى أكثر تجريديةً في ذاكرتنا، ضمن مستوى أسمى هو: «نقاط التنظيم الموضوعاتي». فالصلة التي تتيح الربط بين (روميو وجولييت) و(قصة الحي الغربي) ذاتُ نوعٍ بنيوي، إذ إنَّ الحدث له البنية ذاتها والصيغة الكلية عينها. ويوجَد في الحالتين عاشقان يودّان الارتباط، وينبغي لهما النضال ضد المقاومة التي يفرضها عليهما العالم المحيط (الأهل في الحالة الأولى، و«العصابات» في الثانية). وتتكوَّن البنية المشتركة من نفس الهدف، ونفس نوع الظروف (شانك، 1982، ص113). ويَسمح هذا النوع من البنية المشتركة بترجمة قول مأثور –مثلاً– بقولٍ مأثور آخر؛ من نحوِ: porter de l’eau à la rivière بالفرنسية (يحمل الماء إلى النهر)، الذي يمكن تقديمه في اللغة العربية بِـ: (يبيع الماء في حارة الساقي)، وبالإنكليزية: to carry coal to Newcastle (يحمل الفحم إلى نيوكاسل).

وتتعيّن في المثال الآتي ترجمة مقطع عن فوائد الخمر. ويتضمن النص اقتباساً من الشاعر جون كيتس يتحدَّث فيه عن الخمر:

«Oh, for a beaker of the warm south,/ Full of the true, the blushful Hippocrene,/ With beaded bubbles winking at the brim” sighed Keats».

[6] نجد هنا أنَّ شانك يعرِض أفكاراً أصدرها سبيرمان (عام 1931)، بعد مرور خمسين عاماً عليها.

والطلاب الذين كان ينبغي لهم ترجمته، اتفقوا عقِب بعض النقاش أنه لا تجب ترجمة شعر كيتس، بل اختيار اقتباس آخر. والواقع أنَّ إحدى وظائف المقطع المقتبَس من كيتس، في النص الإنكليزي، إيجادُ التآلف الضمني بين الكاتب والقارئ، مع الإشارة إلى تشاركهما الثقافةَ الأدبية نفسها. وتكون الوظيفة الثانية الإشادةَ بمزايا الخمر. وأُخِذ النص من صحيفة بريطانية، لتوجِّه الترجمة إلى جمهور قرّاءِ صحيفة مكافِئة في ألمانيا، لا تمتلك الحميمية الثقافية نفسها مع كيتس. فائْفِق على إبداله باقتباس من **الكتاب المقدس**، مزمور 15/104: «وخَمرٍ تُفرِّح قلب الإنسان». فالاقتباسان لهما الغاية نفسها في مديح الخمر، وسيكون الاقتباس من الكتاب المقدس معروفاً أكثر من الجمهور الهدف، ليُحدِث من جديد –على نحو أسهل– هذا التآلف الضمني[7].

**7- مختلف النماذج النظرية**

**وقدرتها الكامنة الوصفية والتوضيحية في المواجهة العملية**

سنأخذ، سعياً لاستقصاء هذه المسألة، مثالاً من الترجمة «الإبداعية[8]». وهو نصٌّ باللغة الإنكليزية عن مشكلات الزوجين، حين يَعمل كلٌّ من الرجل والمرأة؛ إذ يفرِض عليهم ذلك مشكلات في إدارة حياتهما المهنية وتربية الأطفال في الوقت نفسه:

«They had difficulties to juggle two careers and a potty chair».

الترجمة الحَرفية: (كان لديهما صعوبات في إدارة عملَين والكرسي المثقوب للأطفال).

وطُلِب إلى طلاب ألمان، يختصون بعلم الترجمة في قسم اللغة الإنكليزية، ترجمةَ هذا النص إلى اللغة الألمانية. وبخصوص كلمتي «to juggle» اللتين تعبِّران عن مَلَكةِ إدارة شيئين في الوقت نفسه، تَفرض نفسها العبارة المجازية: «unter einen Hut bringen» (حرفياً: الوضع تحت نفس القبعة). ولمّا كانت الوحدة المفرداتية (potty chair) غير موجودة باللغة الألمانية، تَرجم بعض الطلاب ترجمةً حرفية نسبياً، مستعينين بالمقابِل الأقرب «Kindertöpfchen»

[7] المثال مُقتبَس من كوتمول (2000).

[8] المصدر السابق.

(وعاء الفضلات للأطفال)، واستعماله مقترناً بِـ«unter einen Hut bringen». وهذا الاقتران مستحيلٌ بسبب القيمة الحرفية التي تَمنحها العبارةَ المجازية: «unter einen Hut bringen»؛ فنرى: *وعاء الغرفة تحت القبعة*.

وأَوجد آخرون حلاً إبداعياً في الترجمة:

(1) Kind und Karriere unter einen Hut zu bringen…

(.... إدارة الطفل والعمل بآن معاً).

(2) zwei Karrieren und Windelwechseln unter einen Hut zu bringen.…

(... إدارة عملين والقيام بتغيير الحِفاضات).

والواضح أنَّ «Ni Kind ni Windelwechseln» ليست ترجمةً لِـ«potty chair». لكنّ هذه الترجمات لا تَصدُم القارئ الألماني، بل تكون ملائمة. فهي جزءٌ من مشهدِ العناية بالأطفال، كما هو راسخ في الخبرة الحياتية، أي في الذاكرة الطويلة الأمد للشخص الألماني النمطي. ولا بُدَّ أنَّ شيئاً ما أتاح المقاربة بين هذه الكلمات، فلا شيء يأتي من العدم. ولننظرْ في هذه الترجمات على هُدى النماذج التوضيحية التي تقدِّمها لنا المناهج النظرية!

تأتي الناحية الدلالية في الأنماط لتكمل وصف عملية الفهم التي قدَّمها فيلمور، في منهجه: «مشاهد وأُطر دلالية»، متيحاً بذلك تقديم أول مقاربة توضيحية للناحية الإبداعيّة في هذه الترجمات. وكما رأينا آنفاً، لا تكون عناصر الفئات الدلالية تمثيليةً (نمطيةً) بالدرجة نفسها للفئة الدلالية التي تنتمي إليها. وقد يختلف طابعها النمطي تبعاً للثقافات. فإذا كان العصفور الدُّوري –في نظر شخص أوروبي– نمطياً لصنف «طير»، فلا يكون كذلك في نظر شخص إفريقي، قد يفكِّر بالأحرى في النعامة؛ إذ يَعُدّ السمة المميزة (النمطية) للطيرِ غير كامنة بالضرورة في قدرته على الطيران، بل في امتلاكه أجنحة. والطابع النمطي للخبرة الحياتية المخزَّنة في الذاكرة تُناط بتواترِ هذه الخبرة المعيَشة في الحياة اليومية. ومع قدرتها على الطيران والسمة الموافِقة لِـ«الأجنحة»، فالخبرة الجمعية تَقرُن الدجاجة خصوصاً بثنائيٍّ قوائمٍ يَخوض في التقاط غذائه

ضمن الفِناء (ولا تُتيح لها «أجنحتها» بالتحليق للإفلات من الفلاح الذي يُطاردها لوضعها في الإناء)، أو بالصورة (الموسومة ثقافياً) لِـ«الدجاجة في الوعاء» المحفورة في ذاكرة الفرنسيين مقرونةً بالملك هنري الرابع، والمكوِّنة حتماً لجزءٍ من خبرتهم الحياتية المدرسية[9].

وفي مثالنا، أطلقت العبارة (الإطار): «potty chair» تصويرَ مشهدٍ يمكننا إعطاؤه عنوان: «العناية بالطفل» أو «العناية بالطفل الرضيع»؛ أو بمستوى أعلى: «تربية الطفل». فحين يترجِم المترجمون «potty chair» بِـ«القيام بتغيير الحِفاضات» في المثال الثاني، فإنهم يختارون عنصراً آخر في المشهد يمكن عنونته: «تربية الطفل». وينبغي الظنُّ أنهم –بسبب نزعتهم الثنائية اللغة– اختاروا بوعيٍ أو بلا وعي عنصراً نمطياً من هذا المشهد في ثقافةِ اللغة الهدف. ووجود عبارة «potty chair» في قاموس اللغة الإنكليزية، وعدم وجودها في قاموس اللغة الألمانية يبدو داعماً فرضية كونه عنصراً نمطياً بالإنكليزية على عكس الألمانية، حيث يكون فعل تغيير الحفاضات نشاطاً نمطياً في هذا المشهد.

بَيدَ أنَّ علمَ دلالةَ الأنماط لا يُفسِّر الترجمة الأولى. والترجمة بكلمة kind –التي يتعين فهمها هنا على نحو حذفٍ دلالي لِـKindererziehung (تربية الطفل)– تمثِّل اختيار المترجمين الترجمةَ بسيناريو أوسع وأكثر تجريديّة يشمل بضع مشاهد من تربية الطفل. وهنا تتيح نقاط شانك في التنظيم الموضوعاتي شرحَ الارتباط بمستوى أعلى.

[9] ولمَّا كان الأمر يرتبط بـ: «نماذج شعبية في التصنيف»، كما يقول لاكوف، وهي مستندة إلى الخبرة الحياتية وتصوّر الحقيقة التي تنحدر منها، ويمكنها بالمحصلة الاختلاف من ثقافة إلى أخرى، فيُشار إليها، مثلاً، من حيث كونُ الفرنسيين والألمانيين يميّزون الصنف الفرعي: «دواجن» و«Geflügel»، على حين يندرج كل شيء لدى الرومانيين في الصنف نفسه: «طير»، باستعمال كلمة: «pasare».

**الخاتمة**

أَوضح هذا العرض نتائجَ حزمةٍ من الأبحاث، تسهم كلها في وصف الحلول الإبداعية وشرحها، إذ يمكن أن يجدها المترجم للمشكلات التي تعترضه؛ وقد أعطاها الشرعية مُسبِغاً عليها السمة المنطقية. فيمكن اختصار مراحل الإبداع بالآتي:

يُعرَض النص المصدر على نحوِ «إطارٍ» (لغوي) يُطلِق «مَشهداً» (معرفياً) في ذهن المترجم (فيلمور، 1976). وفي هذا «المشهد» عنصران مركزيان: «نمطي» (روش)؛ ومتَّبِعاً مبدأ «الشكل والأرضية» (لانغاكر، 1987). ويلاقي المترجم مشكلةً في الترجمة، حين لا تكون هذه العلاقة –من النوع النموذجي بين «الشكل» و«الأرضية»– ذاتها في الثقافة الهدف. فيتعيّن عليه إذن التركيز بصورة مختلفة في عناصر المشهد، واختيار عنصر آخر؛ فعبارة «potty chair» تصبح «Windelwechseln». والمترجم، إذ يغيِّر الزاوية التي يَستشرِف منها المشكلة، يَستحضر ما يسمّيه دو بونو (1970) و غيلفورد (1950) كلٌّ على حِدَة: التفكير «الجانبي» والتفكير «التباعدي». ولا ينبغي للحل الإبداعي الذي يجده أن يكون «جديداً» فحسب، بل «مناسباً» أيضاً (فوكس، 1963، ص124)، لكي يحقق معيار «الحفاظ على الأثر المحدَث» (رايس و فيرمير، 1984)، الذي تقتضيه قواعد مهنة المترجم.

ويَسمح النهج المصمَّم على هذا النحو بالحصول على ترجمات «منطقية» مقبولةٍ «بين الذوات» (ستيفانيك، 1997) و«الأفراد» (أربوغاست و موديرسباش، 1998)، ومتوافقةٍ مع معايير التقويم الموصَى بها من علم الترجمة القائم على التجربة العملية.

ونرى أنَّ الإبداع يعرِف أسساً نظرية تَسمح باتّباع سبيله وتسويغه، إذ يُمسي هذا الإبداع «قابلاً للتكرار». ويَلقى ذلك في الترجمة قيمةً خاصة لإبداعٍ يجري تصوّره على نحوِ: «نشاطٍ لحلّ مشكلة معينة» (غيلفورد، 1950)، ومعيارٍ جديد للتقويم، هو: «قابلية الفهم بين الأشخاص»

و«المنطقيّة بين الأفراد» (ستيفانيك، 1997). أفلا يقلِّل ذلك بصورة غريبة من دور «المصادفة»، التي تكون وَفقاً لبعض الباحثين شرارةً –لا تُضبَط ولا تُفسَّر– للإبداع[10]؟

وما أتينا على صوغه من فرضيات عن العمليات الذهنية، المُفضية إلى حلٍّ إبداعي لمشكلةٍ ما، تَندرج في الخط الفكري للفيلسوف كارل بوبر (1935)، الذي يقول بخصوص المصادفة إنها تَعرِف –هي أيضاً– قوانين لا يَسمح للأسف مستوانا في المعارف بإدراكها إلى درجةِ استخلاص التكهّنات؛ إذ تكون تبعاً لِـ بوبر الشرطَ الضروري لبلوغِ مكانةِ العلم، لكنَّ مهمة الباحث تكمن في دَفْع حدود المصادفة إلى الخلف، ولا تبدو في نظرِ بوبر إلا مصطلحاً للإشارة إلى ما لا يُتوقَّع، أي بالمحصلة ما لا يكون علمياً، ويرافق ذلك سعيٌ إلى اكتشاف قوانينها وتوصيفها. وبنظرِ بوبر، تَسمح الأبحاث التي عرضناها لتوّنا بإنهاض المكانة العلمية لعلم الترجمة، الذي نعلم هشاشته، على أسس صلبة. فأمَّا بخصوص المنظِّر، فالأبحاث المعروضة تُتيح له إسناد المكانة العلمية لتخصّصه بأسس صلبة، مستجيباً أكثر بقليل للمعايير التي أَصدَرها بوبر؛ وتمنحه أيضاً حججاً في النقاش بخصوص مفهوم «الأمانة» المركزي في علم الترجمة. وأمَّا بخصوص المزاوِل العملي، فمن شأن هذه الظواهر تخليص المترجم من تأنيب الضمير في مواجهة لوم «الخيانة» (الترجمة – خيانة!)، وحثّه على الثقة بحدْسه، الذي يُقوَّم بالنظر إلى هذه النظريات. وأمَّا بخصوص المدرِّس التربوي، فهذا التفكُّر يقدِّم لهم أسساً نظرية ضرورية، ليُعطُوا طلابهم «الشجاعة» –وهي أحد شروط الإبداع وفقاً للباحثين في الإبداع– لكي يمضوا حتى أقصى حدْسهم الإبداعي.

[10] يتحدّث بهذا الصدد بابيك و فورجت (1981) عن «الحدْس الصاعق». وكتبت مافرودان (1994) كتاباً عن اليد التي تكتب، وعنوانه الفرعي: **شاعرية المصادفة**، إذ تُقدِّم الإبداع على نحوِ شيء لا يُفسَّر.

**المراجع**


1. Bassnet, S. (1991): Translation Studies, Revised Edition, London, Routledge.
2. Berman, A. (1985): «La traduction et la lettre – ou l'auberge du lointain», Les tours de Babel, T.E.R.
3. Brodbeck, K.-H. (1999): Entscheidung zur Kreativität, Darmstadt, Primus Verl.
4. Claridge, G. (1987): "Psychotism and Arousal", in Personality dimensions and arousal, J. Strelau and H. J. Eysenck (Eds.), New York: Plenum Press.
5. Conant, J.B. (1947): On Understanding Science, New Haven, Yale University Press.
6. De Bono, E. (1970): Lateral Thinking. A Textbook of Creativity. London, Ward Lock Educational.
7. Delavenay, G. (1959): La machine à traduire, Paris, P.U.F.
8. Fillmore, Ch. J. (1976): "Scenes-and-Frames Semantics", in Linguistic Structures Processing, Antonio Zampolli (dir.), Amsterdam, N. Holland, p. 55-88.
9. Fox, H.H. (1963): "A Critique on Creativity in Science", in Essays on Creativity in the Sciences, M.A. Coler (Ed.), New York, New York University Press, p. 123-152.
10. Gerzymisch-Arbogast, H. (1994): Übersetzungswissenschaftliches Propädeutikum. Grundlagen zu einer wissenschaftlichen Methodik des Übersetzens, Tübingen, Francke (UTB 1782).
11. Gerzymisch-Arbogast, H. et K. Mudersbach (1998): Methoden des wissenschaftlichen Übersetzens, Tübingen, Francke (UTB 1990).
12. Glover, A. J. et al. (dir.) (1989): Handbook of Creativity, New York, Plenum Press.
13. Guilford, J. P. (1950): "Creativity", American Psychologist, 5, p. 444-454.
14. Guilford, J. P. (1971): The Nature of Human Intelligence, London, McGraw-Hill.
15. Guilford, J. P. (1977): Way beyond the QI, Buffalo, Creative Education Foundation.
16. Häcker, H. et K. H. Stapf (dir.) (1998): Dorsch Psychologisches Wörterbuch, Göttingen: Hans Huber Verlag.

17. Hermans, T. (ed.) (1985): The Manipulation of Literature. Studies in Literary Translation. London/Sydney, Croom Helm, New York, St. Martin's Press.
18. Hönig, H. G. (1993): « Vom Selbst-Bewußtsein des Übersetzers », dans Traducere Navem. Festschrift für Katharina Reiß zum 70. Geburtstag, J. Holz-Mänttäri et C. Nord (eds.) (Studia translatologica ser. A vol. 3), Tampere, Schriften des Instituts für Translationswissenschaft der Universität Tampere, p. 77-90.
19. Kußmaul, P. (2000): Kreatives Übersetzen, Tübingen, Stauffenburg.
20. Jackson, P.W. et S. Messick (1967): "The Person, the Product, and the Response: Conceptual Problems in the Assessment of Creativity", dans Creativity and Learning, J. Kagan (Ed.), Boston, Houghton Mifflin, p. 1-19.
21. Lakatos, I. (1970): "Falsification and the Methodology of Research Programmes", dans Criticism and the Growth of Knowledge, I. Lakatos and A. Musgrave (Eds.), Cambridge: Cambridge
University Press: p. 8-101.
22. Lakoff, G. (1987): Women, Fire and Dangerous Things, What Categories Reveal about the Mind, Chicago, University of Chicago Press.
23. Lakoff, G. et M. Johnson (1980): Metaphors we live by, Chicago, The University of Chicago Press.
24. Langacker, R. W. (1987): Foundations of Cognitive Grammar, Stanford, Stanford University Press.
25. Mavrodin, I. (1994): Mâna care scrie. Spre o poetica a hazardului, Bucarest, Editura Eminescu.
26. Mednick, S. A. (1962): "The Associative Basis of the Creative Process", Psychological Review, 69, p. 220-232.
27. Nida, E. (1974): "Semantic Structure and Translating", p. 50, dans Aspekte der theoretischen sprachbezogenen und angewandten Übersetzungswissenschaft II, W.Wilss et G. Thome, Heidelberg, Groos, 1974.
28. Paepcke, F. et P. Forget (1981): Textverstehen und Übersetzen. Ouvertures sur la Traduction, Heidelberg, Groos.
29. Popper, K. R. (1935; trad. 1959): The Logic of Scientific Discovery, New York, Basic Books.

30. Preiser, S. (1976): Kreativitätsforschung, Darmstadt, Wissenschaftliche Buchgesellschaft.
31. Pym, A. (1992): Translation and Text Transfer: An Essay on the Principles of Intercultural Communication, Frankfurt/ Main: Peter Lang.
32. Reiss, K and H. Vermeer (1984): Grundlegung einer Translationstheorie, Tübingen, Niemeyer.
33. Rickheit, G. and H. Strohner (1993): Grundlagen der kognitiven Sprachverarbeitung. Modelle, Methoden, Ergebnisse, Tübingen, Francke.
34. Robinson, D. (1997): Becoming a Translator, London, Routledge.
35. Rosch, E. (1973): "Cognitive Psychology", Cognitive Psychology, 4, p. 328-350.
36. Schank, R. C. (1982): Dynamic Memory. A Theory of Reminding and Learning in Computers and People, London, New York, Cambridge University Press.
37. Spearman, C. (1931): Creative Mind, New York, Appleton.
38. Simon, S. (1996): Gender in Translation: Cultural Identity and the Politics of Transmission, London and New York, Routledge.
39. Stefanink, B. (1996): Compte rendu de Heidrun Gerzymisch-Arbogast: Übersetzungswissenschaftliches Propädeutikum. Grundlagen zu einer wissenschaftlichen Methodik des Übersetzens, Tübingen, Francke, 1994, dans Info-DaF, 2/3, p. 278-281.
40. Stefanink, B. (1997): « "Esprit de finesse" – "Esprit de géométrie": Das Verhältnis von "Intuition" und "übersetzerrelevanter Textanalyse" beim Übersetzen », dans Linguistik und Literaturübersetzen, Rudi Keller (éd.), Tübingen, Narr, p. 161-184.
41. Stolze, R. (1992): Hermeneutisches Ubersetzen, Tübingen: Narr. Ulmann, G. (1986): Kreativität. Neue amerikanische Ansätze zur Erweiterung des Intelligenzkonzepts, Weinheim, Beltz.
42. Weaver, W. (1949/1955): "Translation", dans Machine Translation of Languages, W. N. Locke et A. D. Booth (dir.), Cambridge, MIT Press.

# ترجمة وتعريب العلوم نحو رقمنتها بتقنيات الذكاء الاصطناعي[1]

**أ. د. أيمن شاهين**
الخبير في مجمع اللغة العربية بالقاهرة
جمهورية مصر العربية

## 1. مقدمة

مما لا شك فيه أن الجميع يطمح إلى أن نكون نحن العرب صانعين للمصطلح العلمي ولسنا فقط مترجمين أو مُعرِّبين له، والذي لا ريب فيه أن ازدهار أي لغة مرتبط بسيادة حضارة أهلها وتفوقهم العلمي وامتلاكهم زمام البحوث العلمية والإنتاج التقني نتيجةً لهذه البحوث.

والتاريخ يرصد لنا أن من أهم مقومات الحضارات استحداث مراكز ترجمة على نطاق واسع لكل ما تحتاجه مؤسساتها في مسيرتها الحضارية، سواء من أجل التعليم أو المنافسة أو نقل الأسرار والتقنيات؛ وهذا ما قامت به أمم كثيرة كروسيا والصين واليابان حين أرادت أن تلحق بالركب وتشارك في السباق. ولم يدهشنا أن نعرف أن لينين قد أنشأ بعد الثورة البلشفية جهازًا للترجمة ضخمًا أربى العاملون فيه على مئة ألف مترجم لنقل العلوم الغربية إلى اللغة الروسية. وقد كان يشرف بنفسه على هذا الجهاز الخطير الذي حقق المعجزة. واستمرت أجهزة دولته تدعم هذا التوجه حتى وصل عدد المترجمين حينئذ إلى مليوني مترجم لجمع لغات العالم، منها وإليها،

[1] أ.د. أيمن شاهين أستاذ الهندسة الإنشائية والباحث في علوم الذكاء الاصطناعي والخبير بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

وهكذا تفعل كل الدول واللغات الحية على ظهر الأرض[2]. ولقد كان لجهود مجامع اللغة العربية في القاهرة وبغداد ودمشق والرباط (في القرن الماضي) أكبر الأثر في استعادة ثقتنا بلغتنا، فالمجلات الدورية التي تصدر عن هذه الأكاديميات لا تكاد تخلو واحدة منها من أبحاث لغوية بنّاءة ومصطلحات جديدة في شتى فروع العلم والصناعة. وأذكر بهذه المناسبة أن مجمع اللغة العربية في القاهرة وحده قد أضاف إلى لغة العلم في المدَّة من إنشائه إلى 1963 نيّفًا وعشرين ألف مصطلح في شتى فروع العلم والتكنولوجيا. كذلك فإن العديد من علمائنا الأعلام أمثال بطرس وفؤاد البستاني وأحمد فارس الشدياق وخليل سعادة ويعقوب صروف ومحمد شرف صاحب (المعجم الطبي 1928) وأمين المعلوف وأنستاس الكرملي ومصطفى الشهابي وإبراهيم اليازجي وخليل السكاكيني وإسعاف النشاشيبي والشيخ أحمد رضا صاحب (متن اللغة) والشيخ عبد الله العلايلي (في مقدمته لدرس لغة العرب) وجبران مسعود صاحب (الرائد) وخليل الجرف صاحب (القاموس الجديد) وشفيق حكيم صاحب (قاموس مصطلحات الهندسية الميكانيكية) ومنصور جرداق صاحب (القاموس الفلكي) وأ.د. حسين حسن فهمي الأستاذ بكلية الهندسة جامعة القاهرة صاحب (معجم المصطلحات الفنية) وأحمد شفيق الخطيب صاحب (معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية) والدكتور يوسف التوني صاحب (معجم المصطلحات الجغرافية) ومنير البعلبكي صاحب (المورد) وعبد العزيز محمود ومحمود عبد الرحمن البرعي صاحبا (معجم المصطلحات العلمية) وسواهم قد تركوا لنا ثروة ضخمة من مصطلحات العلوم أثبتت أن العربية قادرة على تأدية الرسالة العلمية والتقنية والحضارية بدقة وضبط كما أدّتها من قبل إبان كان المتشوِّقون إلى العلم من طلاب الإفرنج يتابعون العلم في الجامعات العربية متخفِّين بزي الدراويش[3]. ومازالت هذه المجامع تعمل وتنتج لنا حتى الآن رصيدًا جديدًا يضاف إلى رصيدها السابق (على ضعف المقررات المخصصة لها) بل انضم لركبها مجامع أخرى جديدة.

---

[2] العربية لغة العلوم والتقنية – دكتور عبد الصبور شاهين.

[3] راجع صفحة 22 من كتاب A companion th school mathematics–by F.C.Boon–Longmans, London 1960.

يقول أ. أحمد شفيق الخطيب في مقدمة معجمه: إن مستقبل المصطلحات العلمية ومستقبلنا العلمي إلى حد بعيد مرتبطان بقضية تعريب التعليم لا في المدارس الثانوية فقط بل وفي الجامعات أيضًا. وما دام أنه قد أصبح لدينا ما نبدأ به؛ فاليوم أفضل من غد. وإنه لغاية أملي أن يكون صدور هذا المعجم[4] أحد العوامل الفاعلة في تحقيق هذا التحول الحضاري، فلا يعقل أن نخوض مجالات العلم الحديث وننعم بمنجزاته وتبقى لغتنا غريبة عن جو العلم وديناميكيته وإبداعه وتدفقه.

لقد آن أن تصبح اللغة العلمية العربية جزءًا من حياتنا اليومية في المدرسة والبيت والمصنع وأن تغدو مصطلحات العلم والحضارة باللغة العربية قسمًا حيويًا من ثقافة الصانع والطالب والمعلم والصحفي وصاحب الاختصاص الفني.

ولا شك أن هناك جملة من التحديات والعقبات أمام القائمين على الترجمة والتعريب، منها ما يتعلق بطبيعة العملية نفسها من أسس ومعايير معجمية، ومنها ما يتعلق بالافتقار لوجود نظام عام ملزم ومتفق عليه يوحد الجهود ويؤطرها لكل العاملين في هذا المجال، ومنها ما يتعلق بقلة المتاح من المصادر وضعف الدعم السيادي ومدى قناعة أصحاب القرار بهذا النشاط أصلًا.

وفي الحقيقة فإن عملية المَعْجَمة وما يصاحبها من ترجمة وتعريب ليست نهاية المطاف. فمع حركة الانفجار المعرفي التي سادت العالم ومظلة شبكة المعلومات الدولية Internet التي غطت ربوع الكرة الأرضية وجانبًا واسعًا من الكون المنظور أصبح من الصعوبة بمكان بل من المستحيل التعامل مع خصائص أي لغة (خاصة اللغة العربية برصيدها الهائل) بالطريقة اليدوية، وأصبحت حوسبة اللغة العربية ورقمنتها أمرًا حتميًا ومُلِحًّا.

وهنا ظهرت تقنيات علم الذكاء الاصطناعي (وهو أحد فروع علوم هندسة الحاسوب) لإنقاذ الموقف واختصار الوقت والمساهمة الفعالة في التعامل مع الكم الهائل من البيانات والمعلومات

[4] معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية – أ. أحمد الخطيب صفحة 749.

والقواعد لهذه اللغة الشريفة، وأصبح تعامل أهل اللغة العربية مع علم الذكاء الاصطناعي هو رهان المستقبل.

وتتجلى آثار استعمال الذكاء الاصطناعي في أنه يلامس جوانب شتى من جوانب حياة الإنسان، فهو يؤثر بفاعلية في تسهيل الكثير من الأنشطة الحياتية، ويسرع من إنجازها، ويحسن من المنتج النهائي، ويخفض من التكاليف، ويدعم اتخاذ القرارات.

ومن **الخطوات** الهامة لدفع وتأصيل العلوم الكونية عمومًا؛ السعي الحثيث لوضع معاجم لمصطلحاتها تُستقَى من الأبحاث العلمية سواء الأجنبية أو العربية حيث يُجمع فيها أكبر عدد من المصطلحات المترجمة للعربية والمعربة لتكون أداة للمشتغلين بهذه العلوم، ومن ثَم ينقلنا إلى الهدف الأسمى وهو معالجة ورقمنة إنتاجنا العلمي وتراثنا الفكري عن طريق تقنيات الذكاء الاصطناعي ليصبح على منصة محركات البحث متاحًا للجميع، وإلا لن يشعر به أحد.

## 2- أين تكمن المشكلة؟

والسؤال الذي يطرح نفسه هل لغتنا عاجزة عن مواكبة التقدم العلمي وتقنياته -كما يرى البعض- أم أن العجز فينا نحن أهل العربية وأننا لا نمتلك الإرادة والإمكانات والآليات اللازمة لفرض لغتنا العربية على مسرح المجالات العلمية؟ إن المتأمل يجد أن هناك جهودًا كبرى بذلها أهل العربية في إصدار المصطلحات وترجمتها وتعريبها ومعجمتها؛ ولكننا لم نحقق الكثير في نشرها، وافتقدنا الآليات لفرضها على عالم التعليم والصناعة ومراكز الأبحاث.

إن ازدهار اللغة العربية مرتبط بازدهار حضارة أهلها، ويوم أن كانت الحضارة العربية والإسلامية تسود العالم كان العرب وقتها هم الذين يصنعون المصطلحات وينشئونها أيام كان مترجمو دار الحكمة يُعرّبون من ألفاظ اليونانية والرومانية والهندية والفارسية الشيء الكثير فيقبضون بدل ترجماتهم وزنها ذهبًا.

وقد أتى على اللغة العربية حين من الدهر، كانت فيه لغة دولية علمية بفضل ما قام به العرب[5] من الترجمة والاقتباس والابتكار فيما بين النصف الثاني من القرن الثامن وأواخر القرن الحادي عشر الميلادي.

وقد كان التراث العلمي الذي خلّفه من تقدمهم من الأعاجم مخطوطًا بلغات أعجمية، منها الإغريقية والسنسكريتية والسريانية والفارسة والفينيقية القديمة، فقام العرب بترجمة هذا التراث إلى اللغة العربية، وعكفوا على دراسته وتحقيقه وتمحيصه، ثم استقلوا بأبحاثهم ونظرياتهم، وطفروا في مجالات العلم طفرات مذهلة في مُدةٍ قصيرة، فأحرزوا قصب السبق، وكان لهم القدح المعلى في كثير من العلوم نذكر منها على سبيل المثال: الفلك[6]، والرياضيات، والطبيعيات، والجغرافيا، والطب، وغدت مؤلفاتهم أنفس المراجع العالمية التي نهل منها العلماء الأجانب في العصور التالية لهذه الحقبة الذهبية من تاريخ النهضة العلمية عند العرب.

وفي عالمنا المعاصر شهدنا القوميات المختلفة وهي تنهض بلغتها وقطعت أشواطًا بعيدة في وضع لغاتهم على المسرح العالمي.

إن لغات كثيرة منها التركية والفارسية تدرس بها كل أنواع العلوم في بلادها بل نجحوا أن تصبح لغاتهم لغة المؤتمرات الدولية التي تعقد في بلدانهم – وقد تسنى لها ذلك بإدخال آلاف الكلمات العلمية ضمن مفرداتها، وهذا ما سبق به العرب في أول نهضة حضارتهم.

وتعد قضية تدريس العلوم باللغة العربية في شتى فروع العلم قضية قديمة حديثة، صدر فيها

---

[5] من السابقين المبرزين في الترجمة والتأليف على مر هذه الحقبة:
يعقوب بن طارق، إبراهيم الفزاري وابنه محمد، سند بن علي، علي بن عيسى الاسطرلابي، الفرغاني، الخوارزمي، الفارابي، حنين بن اسحق العبادي، ثابت بن قرة الحراني، محمد بن جابر بن سنان البناني، التبريزي، المجريطي، الزرقلي، البيروني، الشيخ بن سينا، الحسن بن الهيثم، عبد الرحمن بن عمرو الصوفي، والفارسي،.... وغيرهم.

[6] يجد الباحث كثيرًا من الألفاظ العربية لبعض المسميات، نقلها علماء الغرب واحتفظا بها في لغاتهم كما هي، أو بتحوير بسيط، وخاصة في علم الفلك، ومن أمثلة ذلك: النسران: الطائر Altair والواقع Nega – الدبران Aldebaran – القائد Alkaid – الغول Algol – فم الحوت Fomalhaut – الثعبان Thuban – المقنطر Almucantar – النظير Nader.

عشرات الرسائل والمقالات ولا يزال موضوعًا متجددًا يخضع لدراسات في هذا المجال ومن أهم تلك الدراسات رسالة بعنوان "صلاحية العربية أداة للتعليم في العلوم"[7] استطاع صاحبها إثبات بعض النقاط الهامة نستعرض بعضها باختصار:

1- اللغة العربية قادرة وبجدارة على تدريس كافة العلوم نظرًا لثراء مفرادتها المذهل، وقدرتها على التعبير عن أدق المعاني.

2- نظرًا لتمكن الطلاب العرب من اللغة الأجنبية وعدم تمكنهم من لغتهم الأم (العربية) فإنهم يجدون عائقًا أساسيًا وعنيدًا للعملية التعليمية باللغة العربية وسببًا رئيسيًا من صرف أغلبهم عن ذلك.

3- هناك ضرورة مُلِحَّة أن تحل مشاكل التعريب من خلال جهد متعاون بين جميع البلاد العربية يسهل استعمال العربية في المجالات العلمية والعملية.

4- لا خلاف في ضرورة تدريس لغة أو لغتين أجنبيتين للطلاب في مدارس البلاد العربية.

5- الدراسات الاستبيانية أظهرت رغبة شبه إجماعية لدى كل من الأساتذة والطلاب (وهما طرفا المعادلة الجامعية) في استعمال العربية لغة تدريس العلوم.

[7] رسالة دكتوراه للأستاذ الدكتور خضر القرشي حصل عليها من جامعة انديانا بالولايات المتحدة الأمريكية.

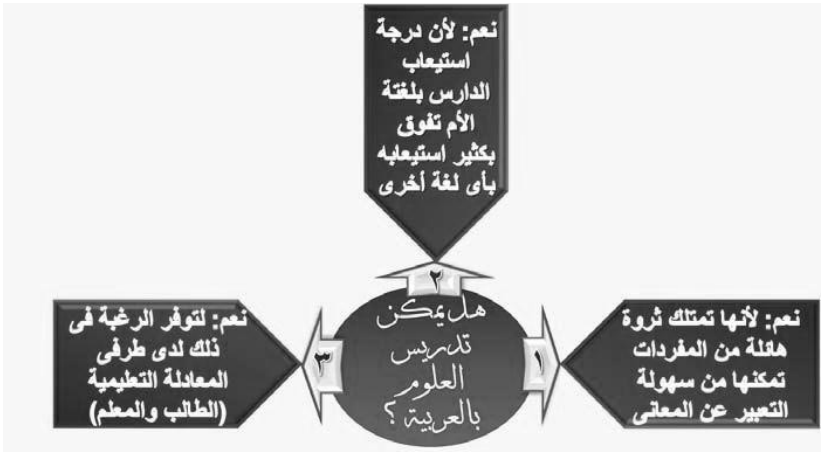


شكل ١ : لماذا التدريس باللغة العربية أمر ممكن.

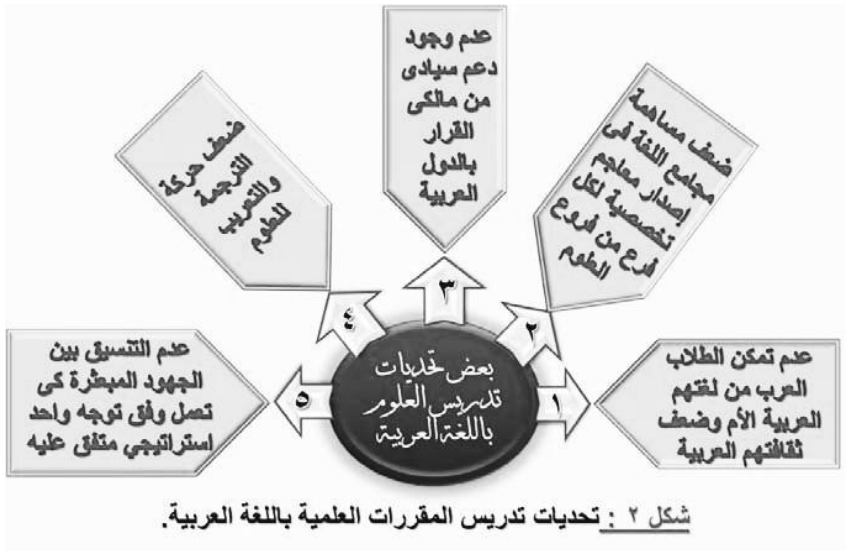


شكل ٢ : تحديات تدريس المقررات العلمية باللغة العربية.

### 3- تحديات تواجه عملية الترجمة والتعريب:

هناك مجموعة من التحديات أمام المشتغلين بعملية الترجمة والتعريب للعلوم عمومًا منها:

**3-1 تحديات وقيود تنبع من طبيعة العمل المعجمية ومنها:**

1- أنّ طبيعة العمل المعجمي المؤصل في حد ذاته يمر بمجموعة من الخطوات المعقدة والمطولة من تجميع وفهرسة ثم ترجمة وتعريب ومراجعة ثم مطابقة مع المعايير العلمية واللغوية والمقروئية.

2- القيود التي يواجهها المترجم أو المعرب كي يُخرج مصطلحًا يتمتع بلغة علمية معبرة عن المعنى المطلوب؛ ومتوافقة مع قواعد اللغة وتتمتع بالجرس المقبول؛ وقابلة للرقمنة الحاسوبية؛ تمهيدًا لوضع المنتج العلمي للأبحاث العربية على محركات البحث العالمية.

3- غلبة لغة الصحافة والإعلام ووكالات الأنباء في سرعة إصدارها لترجمات عربية مرادفة لمصطلحات أجنبية تفرض نفسها على الساحة بل ربما انتشرت بسرعة كبيرة بين عشية وضحاها بين ملايين العرب حيث أضحى العالم العربي قرية صغيرة قرّب بين أطرافها وسائل التواصل المتطورة والمتسارعة والفضائيات وشبكة المعلومات الدولية، فإذا بهذه الترجمات تسود الاستعمال المجتمعي قبل أن تنتهي المجامع من إصدار المصطلح المرادف الذي يتمتع بالدقة العلمية والإشباع اللغوي والمقروئية، بل ربما تناقلت وكالات الأنباء المختلفة المصطلح الأجنبي بأكثر من مرادف، وتتعدد المصطلحات بتعدد الجهات التي تبثه، ومثال ذلك ترجمة كلمة acid حيث ترجمها بعضهم حامض وانتشرت الكلمة وعمّت مع أن المجمع اللغوي ترجمها حَمْض ومن المعلوم أن المجمع يوجب الالتزام بقراراته؛ ومضمونها أن المصطلحات العلمية والفنية والصناعية يجب أن يقتصر فيها على اسم خاص واحد لكل معنى دون أدنى استدراك أو لاحقة.

4- أن طبيعة عملية الترجمة والتعريب تحتاج إلى أخذ ورد، ومجال الاختلاف بين

المتخصصين وارد، مما يأخذ وقتًا، والمفاجأة أن البقاء والاستمرار للمصطلح في الغالب يكون للاستعمال المجتمعي الذي يشيع سريعًا وربما يفرض نفسه على الساحة قبل صدور المصطلح الصحيح من المجمع أو بعد صدوره، وقد يثبت أكثر من مصطلح أمام هذه الغربلة التي يمكن أن يمتد بها الوقت لعدة سنوات وتجري عادة بطريقة عفوية وغير ممنهجة.

5- إنّ تنوع مصادر المصطلحات من عدة لغات أجنبية مختلفة يصعب عملية الاستقرار على ترجمة واحدة حاسمة؛ والاختلاف أمر طبيعي فالذي يترجم مصطلحًا عن الإنجليزية لن تتفق ترجمته دائمًا مع الذي يترجم مصطلحًا عن اللغة الفرنسية، حين لا يحتوي المصطلح جذرًا لاتينيًا أو يونانيًا مشتركًا، فمثلًا المترجم عن الإنكليزية يترجم كلمة power في المجال الميكانيكي بـ "قدرة"، ويترجم كلمة force بـ "قوة"، على حين الذي يترجم عن الفرنسية معرض لترجمة الكلمتين بـ "قوة"[8] لورود كلمة force في التعابير الميكانيكية الدالة على القوة حينًا وعلى القدرة حينًا آخر.

وأحيانًا أخرى يكون المرادفان المترجمان للمصطلح الواحد وكأنه لا علاقة تربطهما وذلك لاختلاف اسم المصطلح في اللغات المترجم عنها، فمثلًا مصطلح alluvial fan تُرجم بـ "مروحية غرينية"، وعن الفرنسية تُرجم المصطلح ذاته Cone de dejection بـ "مخروط الانصباب"، ومثال ذلك أيضًا في تعريب nitrogen قيل "نِتْروجين" عن الإنكليزية، و"آزوت" azote عن الفرنسية.

[8] أ. أحمد الخطيب في مقدمة معجمه "معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية".

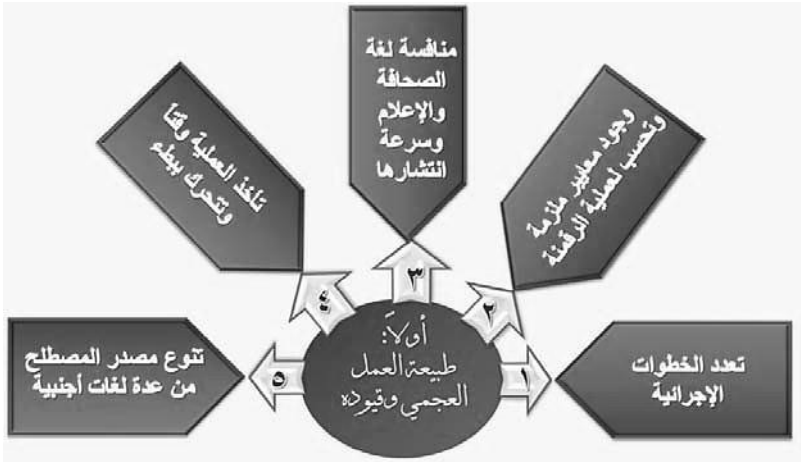


شكل ٣ : تحديات تواجه عملية الترجمة والتعريب والمعجمة.

6- تعدد المرادفات للمصطلح الواحد في اللغة الأجنبية الواحدة، ويظهر ذلك أحيانًا في اللغة الإنكليزية للناطقين بها من الأمريكيين والبريطانيين، وكمثال على ذلك تجد أن الفيزيقي الأمريكي يقول Electron Tube، على حين يستعمل الفيزيقي الإنكليزي لفظًا مرادفًا Electron valve، فإذا قمنا بترجمة للفظ الأول يكون أنبوبة إلكترونية، وللثاني يكون صمامًا إلكترونيًا مع أن المقصود شيء واحد. وقد يستعمل العلماء في البلد ذاته مصطلحين مختلفين استعمالًا متبادلًا كما في كلمتي period و epoch فتأتي ترجماتنا (عن مؤلفاتهم) لتلك المصطلحات غير محددة بواحدة منها فتقول: "حين" أو "عصر" تارة و "حِقبة" أو حِقب" تارة أخرى.[9]

7- اختلاف ترجمة المصطلح الواحد من مترجم واحد في مجالين علميين مختلفين – ومثال ذلك كلمة Abrasion في مجال الجيولوجيا حيث وضع مرادفها بالعربية

[9] أ. أحمد الخطيب في مقدمة معجمه "معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية".

(بَرْي)، وفي مجال الجغرافيا وضع مرادفها (سَحْج)، ومثال آخر: لفظة Anticline، حيث ترجمها المجمع في القاهرة في معجم الجغرافيا (حدبة)، وترجمها في معجم الجيولوجيا (قبو – طية محدبة). ومع أن هذا النوع من الخلاف ربما لا يُخرج المرادف عن نطاق مدلوله العلمي، وربما كان أحدهما مكملًا للآخر في رأي بعض المتخصصين؛ فإن البعض الآخر لا يوافقهم الرأي، إذ إن فتح باب الاجتهاد لمن يقترح اللفظ الأفضل سوف يعمق الخلاف، مما قد يفتح المجال للكارهين والمشككين في اللغة العربية في ادعاء أنها غير قادرة على استيعاب مستجدات الحضارة بل قد يصل إلى حد التندر أحيانًا.[10]

8- الاعتماد في الترجمة على الجهود الفردية، وهذه مغامرة يجب أن يعاد النظر فيها، لأنها تعتمد على مدى تذوق المترجم أو استلطافه للمصطلح، بل يجب أن يكون الجهد جماعيًا من متخصصين يتبادلون الرأي، ويفندون الحجج، ويرأبون الخلاف ويُجسِّرون الهوة، ويقاربون بين البدائي، ولقد قام مجمع اللغة العربية في القاهرة منذ عام 1957 وحتى 2015 بإصدار سبعة وخمسين جزءًا للمصطلحات العلمية والفنية كانت ومازالت نقلة نوعية في عالم المعاجم العربية للمصطلح العلمي، ولكن يجب أن نعترف أن تفاعل المجامع اللغوية وسرعة إنجازها لمهامها في الترجمة والتعريب هي بلا شك أبطأ من الجهود الفردية في نفس المجال، ولذلك فإن عددًا ليس بقليل من المعاجم المتخصصة في مجالات علمية شتى ظهرت على الساحة العلمية بجهود فردية يلجأ إليها الباحثون بقوة؛ ومنها معجم أ.د. حسن حسين فهمي[11] ومنها أيضًا مجموعة المعاجم العلمية التي أصدرها الأستاذ أحمد شفيق الخطيب[12].

---

[10] أ. د. عبد الصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية.

[11] معجم المصطلحات الفنية.

[12] حيث أصدر الأستاذ أحمد الخطيب عدة معاجم علمية منها معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ومعجم مصطلحات البترول والصناعات النفطية ومعجم مصطلحات العلوم الزراعية – وقد أوصت لجنة التعليم الهندسي المنبثقة عن المجلس

وأرى أنه يمكن التوفيق بين الأسلوبين وذلك بتوجه كل صاحب جهد فردي في تخصص معين إلى لجنة مراجعة المعاجم بمجامع اللغة العربية لاعتماد معجمه، وهو تصرف منطقي مشابه للجنة مراجعة المصحف الشريف الذي يتقدم فيه الناشر إلى لجنة مراجعة المصحف الشريف بمجمع البحوث الإسلامية لمراجعة نص المصحف قبل السماح بطبعه ونشره فيخرج للنور سليمًا معافًا.

9- ومن التحديات تفرد أسس المعْجَمة في اللغة العربية عن غيرها من اللغات من حيث طريقة التصنيف حيث إن العربية لغة اشتقاق ذات رصيد هائل من المفردات، جذورها تلد الصيغ، ويجب ألا تخضع معاجمها للترتيب الألفبائي كما هو الحال في معاجم اللغات الأخرى –يقول الشيخ أحمد رضا في مقدمة معجمه (متن اللغة)– "رتبته على أصل المادة المجردة من الزيادات في الحروف، كما هو الحال في سائر معاجم اللغة العربية، قديمها وحديثها، وإذا انقاد غير العربية من اللغات مع مرتبي المعاجم على حروف الكلمة كما هي في أصلها وزائدها –فإن اللغة العربية لا تنقاد لذلك، لأنها من اللغات المتصرفة التي تدخل في صلبها الزيادات على المادة في المعنى، وتتغير هيئة الكلمة بتنويع الاشتقاق وسعته وكثرته، تنوعًا يبعث الشتات في الكلمات المشتقة من أصل واحد، إذا أريد ترتيبها على صورتها، ويدعو إلى تباعدها عن مجالها الذي تألفها بعدًا يأباه الذوق، ككرم وكرّم، فالأولى تكون حينئذ في أول المعجم، والثانية في آخره، ومكرم تأتي في مادة أخرى، وكذلك التكريم، وهو مصدر كرّم يجيء في غير مادتها" ثم يقول "وبعد، فإن من يريد أن يجعل اللغة العربية السامية على منهاج غيرها من اللغات الآرية، مع تباين ما بينها من الخصائص والمزايا والمقومات – هو كمن يطلب في الماء جذوة نار":

ومكَلّف الأيام ضدَّ طِبَاعها  مُتَطَلّب في الماء جَذْوَةَ نارِ

---

الأعلى لاتحاد المهندسين العرب باتخاذ معجم المصطلحات الفنية والهندسية للأستاذ أحمد الخطيب سنة 1980 أساسًا لتعريب التعليم الهندسي في العالم العربي.

10- ومن التحديات أيضًا أن تشعب فروع المعرفة الحضارية، بل تشعب كل فرع منها إلى تخصصات أدق يُصعّب تجميعها كلها بين دفتي معجم واحد، مما يشكل عبئًا على المجامع اللغوية في ضرورة تصنيف التخصصات وفروعها بحيث يصدر معجم متخصص لكل فرع على حدة، مع الحرص على أن لا يتعدد المقابل العربي للمصطلح الأجنبي الواحد؛ بل يكون لفظًا واحدًا لمدلول محدد في مجال محدد، وربما كان جهد المجمع اللغوي في القاهرة له السبق في ذلك بإصداره عددًا كبيرًا من المعاجم المتخصصة في هذا السياق ومازال يواصل نشاطه، وكذلك للمكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي بالرباط باع في ذلك، حيث أصدر عشرات المعاجم العلمية ثلاثيةَ اللغة (عربي – إنكليزي – فرنسي).

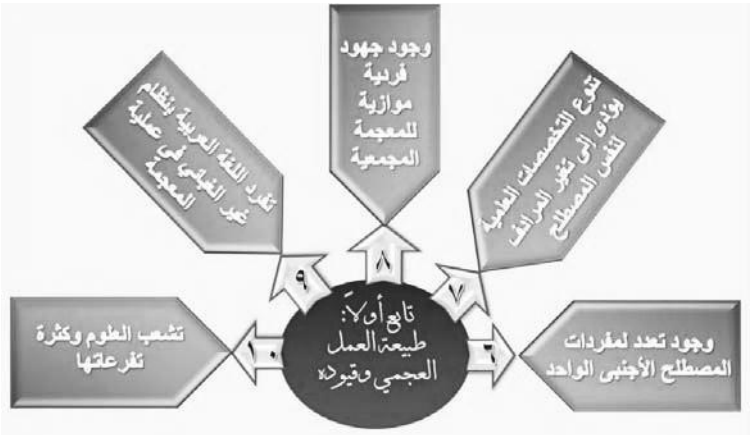


شكل ٤ : تحديات تواجه عملية الترجمة والتعريب والمعجمة - تابع.

11- ومن التحديات أيضًا تعرض المصطلحات بعد صدورها إلى رياح التغيير مع مرور الزمن، ولذلك نطرح سؤالًا: هل نكتفي بمرادف عربي واحد للمصطلح الأجنبي؛ أم نسمح بإضافة ألفاظ مستجدة نتيجة سريانها في الأوساط المختلفة وتأصلها فيها بجانب ما وضعته اللجان العلمية المجمعية؟ وللإجابة عن هذا السؤال يمكننا الرجوع

إلى الوثيقة الأربعينية التي أصدرها مجمع اللغة العربية في القاهرة، حيث نصت على: "الإصلاحات العلمية والفنية والصناعية يجب أن يقتصر فيها على اسم خاص واحد لكل معنى"[13]. ثم إنه سمح بعد ذلك بالإضافة حين نص على "تضاف كل لفظة سرت في البلاد العربية إلى جانب ما وضعته اللجنة المجمعية"[14].

إذن من التحديات التي تواجه المترجم أو المعرب قضية عدم ثبات أو صمود المصطلح العربي الذي تقره المجامع؛ واحتمال تغيره مع مرور الزمن، وشيوع استعمال أبدال على الألسنة. فالألفاظ عند بعضهم يجب النظر إليها أنها كائنات حية تتقلب بتقلب الزمن.

ويحدث في حياة الألفاظ والمصطلحات أحيانًا طفرات يتحول معها معنى اللفظة عن وجه استعمالها القديم إلى استعمال آخر جديد؛ فالسيارة اليوم غير السيارة (القافلة) بالأمس، وهكذا الدبابة والمسدس والذَّرة والجرثومة والعنصر والهاتف والصاروخ والطائرة والمكتب والمحافظة والمصنع وآلاف الألفاظ الأخرى التي تحوَّل معناها عن المعنى الذي كان مألوفًا للجاحظ أو لابن المقفع مثلًا. وهذا التحول أمر عرفته العربية دائمًا، فمع ظهور الإسلام تحولت مئات الألفاظ كالصلاة والزكاة والجهاد والإيمان والكفر والجنة والنار عن معانيها المألوفة إلى معانٍ جديدة، ويحدث عادةً في مصطلحات العلم والفلسفة والأخلاق والفنون، ولا غرابة في ذلك فنحن نشهد مثل هذا التحول في كل أحوالنا المعيشية والفكرية والاجتماعية والحضارية. وقد يحدث هذا التحول على مدى طويل.

12- ومما أدى إلى تعاظم التحديات: التزايد المستمر في عدد المقبلين والمنتسبين لدور تعليم اللغة العربية وازدياد عدد المثقفين والراغبين في اكتساب العلوم واحتياجهم إلى تعلم أصول اللغة العربية كلغة علمية للعلوم والتقنيات الحديثة.

---

[13] وثيقة مجمع اللغة العربية في القاهرة – مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا – صفحة 236 – نص رقم 5.

[14] وثيقة مجمع اللغة العربية في القاهرة – مجموعة القرارات العلمية في خمسين عامًا – صفحة 252 – نص رقم 21.

13- كذلك من التحديات أن أبناء الوطن العربي من المعلمين الذين يذهبون لتحصيل العلم من الدول الأجنبية (وهو منهج طبيعي ومفيد)؛ يعودون للتدريس في الجامعات ببراعة؛ وقد امتلأت عقولهم وانطلقت ألسنتهم بالمصطلحات الأجنبية التي لا يستطيعون التحدث إلا بها؛ وإذا بحث أحدهم في ذاكرته عن مرادف عربي لها لا يجد؛ ويرجع ذلك لضعف صلتهم بلغتهم الأم قياسًا أو اشتقاقًا أو تعريبًا.

14- ومن التحديات أن المترجم أو المعرِّب نفسه يجب أن يمتلك ناصية اللغتين اللتين يتعامل معهما في عملية الترجمة. فالمترجم إذا ضعفت عنده إحدى اللغتين كثرت إساءته للترجمة نفسها، وظهرت هذه الإساءة أكثر في اللغة الضعيفة عنده؛ وغالبًا ما تكون لغتنا الأم وهي اللغة العربية. ولا شك أن مهمة القيام بترجمة (أو تعريب) المصطلحات العلمية والفنية هي صناعة وفن؛ وليست من الأمور التي يستطيعها مترجم عادي؛ ورحم الله أحمد فارس الشدياق حين قال:

وَمَنْ فَاتَهُ التعريبُ لم يدْرِ ما الْعنَا ولم يُصْلَ نارَ الحربِ إلا مُحاربُ

15- ومن التحديات أيضًا تراجع الإقبال على الأعمال المعجمية لدقتها، وضخامتها، واحتياجها متخصص مُحِبّ ودؤوب ومتحمّس وهذه الصفات أصبحت نادرة في ظل الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها معظم البلدان العربية.

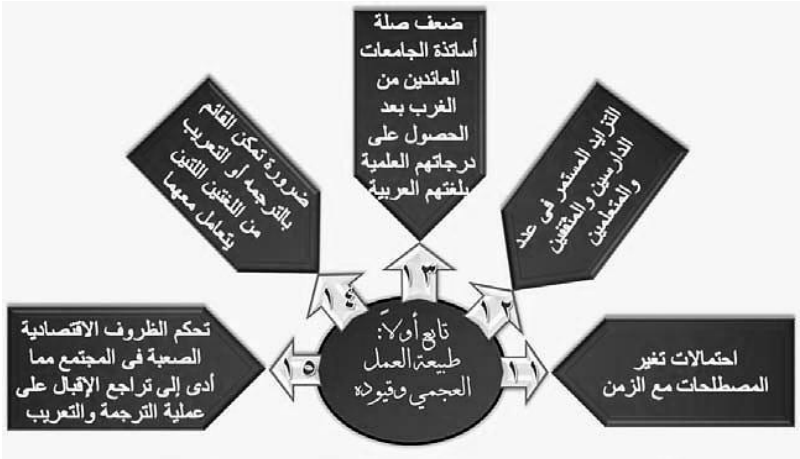


شكل ٥ : تحديات تواجه عملية الترجمة والتعريب والمعجمة - تابع.

### 3-2 تحديات تنبع من الافتقار لوجود نظام عام ملزم:

16- ومن التحديات أن كثيرًا من المصطلحات الأجنبية مازالت غير محددة، وغير متفق عليها، وغير واضحة دلاليًا في بعض المعالجات العلمية. ويظهر ذلك جليًا في علم الذكاء الاصطناعي وعلوم الحاسوب عمومًا، فهي وأمثالها علوم حديثة نسبيًا مع أنها تشهد تطورًا متسارعًا.

17- كذلك فإنه لم توضع حتى الآن معايير على المستوى العالمي للمفاهيم متفق عليها بين المتخصصين والعاملين في بعض المجالات العلمية ومنها علوم الحاسوب والذكاء الاصطناعي.

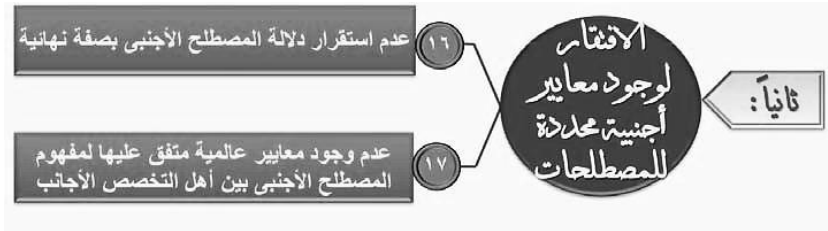


شكل ٦ : تحديات تواجه عملية الترجمة والتعريب والمعجمة - تابع.

### 3-3 تحديات تنبع من قلة المصادر وضعف الجهود:

18- ومن التحديات أيضًا قلة المصادر العربية المتخصصة في مجال الترجمة والتعريب للمصطلحات العلمية مقارنةً بالحجم الهائل لمستجدات هذه المصطلحات المتنامي يوميًّا.

19- كذلك ضعف حركة الترجمة والتعريب في بلادنا العربية، ومن ثَم المراجعة من متخصصين محترفين في المجالات العلمية المختلفة.

20- ومن أكبر التحديات انشغال أصحاب القرار السيادي في معظم الدول العربية بقضايا يرونها أكثر إلحاحًا من قضايا اللغة العربية، وكذلك تدني معدل الإنفاق على

أنشطة الترجمة والتعريب والمعجمة مما يعيق عمل نهضة حقيقية حيث إنّ من مقومات الحضارات وجود جهاز قوي ومركز علمي للترجمة والتعريب.

21- ضعف حركة الأبحاث العلمية العربية في تخصصات العلوم الكونية (الفيزياء- الكيمياء- الرياضيات- ... الخ) مقارنة بنظيرتها في اللغات الأجنبية مما يجعلنا نلهث دائمًا لمواكبة التقدم الهائل في هذه العلوم ومصطلحاتها المستجدة بترجمتها أو تعريبها فضلًا عن معجمتها.

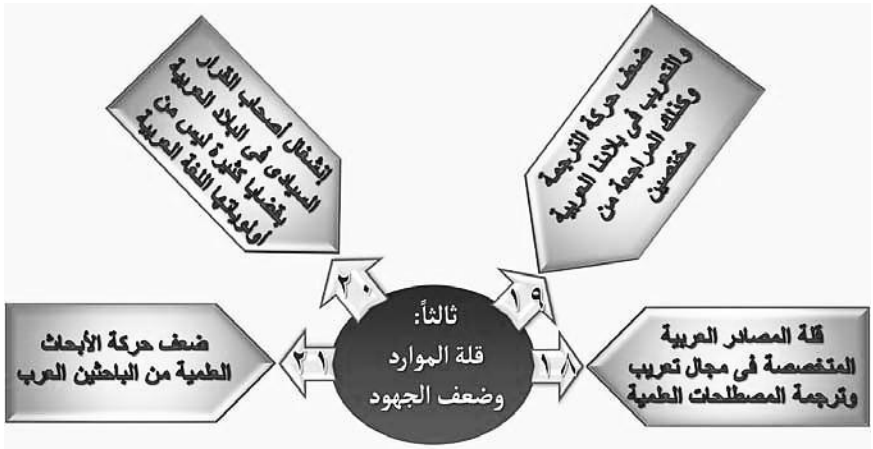


شكل ٧ : تحديات تواجه عملية الترجمة والتعريب والمعجمة - تابع.

## 5- ترجمة أم تعريب

في كل يوم يغمرنا سيل من الألفاظ والأسماء والمصطلحات المستجدة أو المستحدثة التي تواكب حركة البحوث العلمية والتقنيات التي تزدحم بها الأروقة العلمية والمعامل البحثية الأجنبية أو العربية.

ويقدر العلماء أننا نُصَبَّحُ يوميًا بعدد من المصطلحات يقع بين ثلاثين ومئة مصطلح، وهذا الكم الكبير يحتاج لآلة لها قدرة على اللحاق بهذا التسارع، مما يعني أن مجامعنا ومراكزنا البحثية

يجب أن تكون في انعقاد دائم وبعدد وفير من المتخصصين لملاحقة هذا التدفق والإبداع والسباق.

إنّ عملية الترجمة والتعريب ليست ترفًا علميًا، أو إنجازًا أكاديميًا، أو جهدًا مكتبيًا، بل هي مرتبطة بشدة بكل من تعريب التعليم ومستقبل الأمة العلمي. فليس من المنطق أن نعيش عصر العلم الحديث وننعم بمنجزاته الباهرة وتظل لغتنا العربية غريبة عن هذا الزخم الذي يصل إلى حد الصراع بين الأمم التي تتنافس في تصدُّرها قيادة العالم، أو على الأقل إثبات كيانها ووجودها وتأثيرها على الساحة العالمية.

ومما لا شك فيه أنه ليس هناك مجال للسؤال: أي النشاطين أولى الترجمة أم التعريب؟ فهما ليسا في حالة منافسة، وكلا النشاطين مطلوب على نطاق واسع، وليس الأول بديلًا عن الثاني أو العكس وأرى أن احتياجنا للتعريب في هذه المرحلة أشد. والأصوليون من مُحبّي اللغة العربية قد يجدون أن الترجمة فقط هي الحل اعتمادًا على الرصيد الهائل والمتاح من الألفاظ العربية ومفرداتها باعتبارها لغة اشتقاق، وهذا التوجه نحمدهم ونشكرهم عليه، إلا أن الإصرار على هذا التوجه وحده وإهمال التعريب أو تحجيم حركته سيوقعنا في مأزق حيث ستفرض لغة العلم العالمية نفسها على الساحة وستظل ترجماتنا العربية حبيسة الكتب والمعاجم لا ترى النور.

ولقد نجحت الحضارة العربية في أول نهضتها في عملية تعريب كبرى لكل العلوم من اللغات التي كانت سائدة في ذلك العصر مثل الهندية والسريانية واليونانية وأدخلوا مصطلحات كثيرة إلى لغتنا العربية، ونحن الآن ننظر إلى هذه المصطلحات بارتياح دون غرابة أو غضاضة وكأنها من صلب العربية أو مشتقة من جذورها، وبالطبع هي ليست كذلك ومنها (قُلُنسُوه – بَنْد – نافورة – أسطول – أسطورة – وسواها كثير) فهي كلها معربة منذ قرون حتى أصبحت مستساغةً مع مذاق العربية. ولماذا نذهب بعيدًا والقرآن الكريم نفسه استعمل الكلمات المعربة التي جرت على ألسنة العرب دون تحفظ.

وأرى أن تقيدنا بالبحث عن مرادف عربي للكلمة الأجنبية وإصرارنا على ذلك هو جهد مشكور[15]؛ ولكن على التوازي مع ذلك يجب أن نرحب باللفظ المعرب الذي جرى على ألسنة العالم حتى ننهض بلغتنا لتواكب التسارع العلمي العالمي.

لقد أدّى مجمع اللغة العربية في القاهرة خدمة جُلَّى للعربية حين حطم الأسطورة القائلة بأن إدخال المعرب من الألفاظ في متن اللغة يَحُطُّ من قدرها، وفي عشرات المعاجم المتخصصة والعامة التي أصدرها المجمع دليل واضح على الدور المهم الذي يؤديه التعريب في لغة العلم الحديث[16].

**وبموضوعية:** فإن التقيد بلفظ عربي مترجم فقط يرادف المصطلح الأجنبي له إيجابياته وسلبياته، أما سلبياته فإنه مسلك يؤدي إلى تحول التعليم في البلاد العربية إلى اللغة الأجنبية؛ ويباعد بين الطلاب وبين لغتهم الأم والذي نذوق ألمه ونتجرع مرارته في المستوى الضحل لتلاميذنا وشبابنا في المدارس والجامعات وعلاقتهم باللغة العربية.

ولكن لا يمكن أن ننكر أن المصطلح العربي الخالص المرادف للمصطلح الأجنبي يكون أكثر إشباعًا وفهمًا وهضمًا وتربيةً للطالب العربي حينما يدرس بلغته العربية الأم؛ ولا يمكن أن نغفل الفائدة غير المباشرة من ذلك لأنه على الأقل أجبرنا أن نغوص في بحور العربية لنبحث عن الألفاظ التي تفلتت منها وضاعت مع الزمن، مما يثبت أننا قادرون على تطويع اللغة والاستفادة من مرونتها قياسًا واشتقاقًا لمواكبة علوم العصر الحديث. إلا أنه من الناحية العلمية نرى أن المصطلح المعرّب استطاع أن يتغلب من حيث تداول الاستعمال على المصطلح المترجم خاصة في الألفاظ التي أصبحت عالمية والمشتقة أصلًا من اليونانية أو اللاتينية (تلفزيون – تليفون –

---

[15] لا شك أن الرصيد الهائل لمفردات وجذور اللغة العربية يسمح بجدارة أن نجد لفظًا عربيًا أصيلًا يناظر المصطلح الأجنبي؛ ولكن التخوف أن يظل المصطلح الجديد حبيس الكتب لا تلوكه الألسنة، وسيصعب استعماله أمام طغيان المصطلح الأجنبي وأرى أن يوضع المصطلحان المترجم والمعرب كلاهما في معاجمنا.

[16] أ. أحمد شفيق الخطيب "معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية ص748".

راديو – مكروفون – تلسكوب – مكروسكوب)، وتخضع لنفس الظاهرة تلك المصطلحات التي تقيس متغيرًا معينًا ويعبر عنه أحيانًا باسم مكتشفه مثل (كوري – أمبير – وات – أوم) وكذلك بعض المصطلحات المركبة مثل (رادار – ليزر – نابالم) وهذا الرأي هو نفسه الذي نصت عليه **الوثيقة الأربعينية** لمجمع اللغة العربية في القاهرة في بندها الثالث والعشرين.

### 5- خصائص اللغة العلمية في الترجمة والتعريب:

هناك مجموعة من الضوابط للقائمين بعملية ترجمة وتعريب المصطلحات العلمية يراعيها أهل التخصص وأرى أنه لا بأس من التذكير بها في هذا المجال حيث يجب الحرص على:

1- تجنب الإفراط في الوصف.
2- تجنب الغريب من الألفاظ وجوب استعمال المألوف منها.
3- تجنب الألفاظ التجريدية والاعتماد على الألفاظ الحسية المباشرة.
4- تجنب الجمل الطويلة وتفضيل الجمل القصيرة.
5- تجنب الألفاظ غير الضرورية وحذف الزائد منها واختصار الجملة.
6- تجنب الألفاظ التي تحمل معنيين لإزالة إبهام الدلالة.
7- تفضيل الأفعال المتعدية.
8- تفضيل البناء للمعلوم على البناء للمجهول.

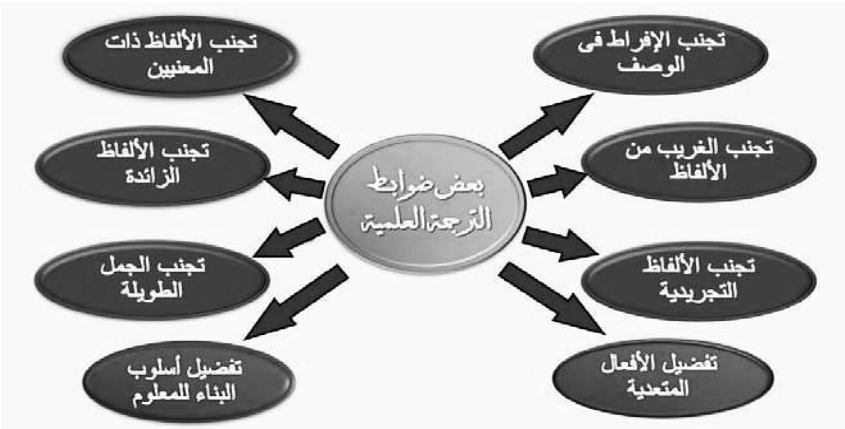


شكل ٨ : بعض ضوابط الترجمة العلمية.

ويقترح بعض الباحثين تمكينًا للغة العربية من أن تصبح قادرة على تأدية المسميات العربية على نحوٍ صحيح متوافق مع المنطوق الأجنبي أن نتساهل في لغة المصطلحات العلمية والتكنولوجية بالأمور الثلاثة التالية[17]:

1- جواز الابتداء بالساكن وهو أمر ليس بالغريب على اللهجات العربية قديمًا وحديثًا. فالابتداء بالساكن في كثير من الألفاظ المعربة يُحتّمهُ ضبط تأدية المسميات كما يلفظها الناس في معظم أنحاء العالم، فنقول: كْلُورات وكْروُم وغْرافيت وتْرايود وبْروتون وبْراون وسْمِث وسْبِكتروسكوب، أما إضافة حرف الألف عند تعريب الألفاظ الإفرنجية التي تبدأ بحرف ساكن أو تحريك الحرف الساكن نفسه فهما تحريف لا مسوغ له يُبعد منطوق اللفظ عن صورته وبيئته الأصلية، فكلمة Brown مثلًا تنطق بْراون لا إبْراون ولا بُراوْن أو بِراوْن أو بَراوْن.

2- كذلك يجدر بنا التساهل في أمر التقاء الساكنين سواء أكان الأمر مقتصرًا على ساكنين اثنين أم على عِدة سواكن فنقول مُوْرْسْ و بُوْيْل وشَارْلْ وباوْنْدْ ورُنْتْجِنْ وكِنْغْسْتون وبايْنْتْ الخ..

3- إضافة الحروف الثلاثة پ، ڤ، و چ لتؤدي لفظ الحروف اللاتينية P ,V ,G على الترتيب (حيث تُلفظ G كالجيم المصرية) فنقول: تلڤزيون وڤلط و پيسين وناپالم وانچْستروم وچاليوم الخ.. وبذلك تصبح لُغتُنا قادرة على تأدية الألفاظ الأجنبية بصورة مقبولة فنسد الطريق على دعاة التحول إلى الحرف اللاتيني أو سِواه من سُبُل تحديث اللغة.

وهذه الضوابط وغيرها تسهم جوهريًا في إصابة الهدف بجلاء ووضع المصطلح أمام الدارس بلا إبهام أو غموض أو تحريف، فلا شك أن التفكير الواضح يؤدي إلى كتابة واضحة.

### 6- الترجمة والتعريب ليستا نهاية المطاف:

يعيش حماة العربية معركة مصيرية في ظل حضارة غربية متفوقة علميًا، وما جهد الترجمة أو التعريب إلا حلقة في سلسلة هذا الجهاد. فأبحاثنا العلمية وتراثنا الفكري وإبداعاتنا الأدبية ستظل حبيسة الكتب لن يطلع عليها إلا القليل من المهتمين بدراسة العربية. وتعتبر لغة الحاسوب

[17] أحمد الخطيب في مقدمة معجمه "معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية".

هي النافذة التي تطل على العالم كله برصيدها الهائل المستقى من جميع ثقافات ولغات كافة الشعوب والأمم، وأصبح الباحث لا مفر له من استعمال محركات البحث في شبكة المعلومات الدولية للوقوف على معلومة ما، فإذا لم يكن إنتاجنا العلمي والثقافي موجودًا على هذه المنصات فلن يُحِسَّ بنا أحد، ولن يسمع نداءنا أحد، ومن هنا وفّقَت معظم لغات العالم الطبيعية الحية أوضاعها واعتكفت على رقمنة كل إنتاجها العلمي والثقافي لِتُسَابق في هذا الصراع المحموم؛ بهدف أن يكون لها مكان تحت الشمس، وسارع الجميع إلى التكيف مع لغة الآلة، ونستطيع أن نقول أن الإنسان استطاع أن ينحت لغة جديدة هي اللغة الرقمية يتفاهم بها كل البشر على ظهر كوكبنا، وهذا هو المقصود بمصطلح معالجة اللغة العربية؛ حيث تُحَول خصائص وبيانات اللغة من نصها الأصلي إلى اللغة الرقمية التي يفهمها العقل الآلي (الحاسوب)، وتسمى أيضًا عملية الرقمنة وهدفها وضع إنتاج أي لغة على خريطة محركات البحث الحاسوبية.

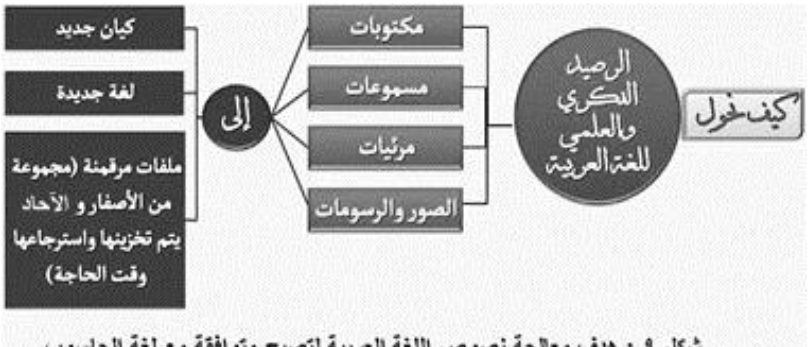


شكل ٩ : هدف معالجة نصوص اللغة العربية لتصبح متوافقة مع لغة الحاسوب.

## 7- خطورة التباطؤ في معالجة ورقمنة المنتج اللغوي بالعربية:

تكمن خطورة عدم الإسراع بجمع إنتاج وتراث وفكر اللغة العربية وتصنيفه وتعقيده (وهي مهمة اللغويين) ومن ثم رقمنته (وهي مهمة الحاسوبيين) في أن محركات البحث وبرامج الترجمة الآلية وتقنيات تحويل النصوص المكتوبة إلى مسموعات والعكس والقدرة على مراجعة سلامة نص معين، كل ذلك وغيره من تقنيات الذكاء الاصطناعي لن يكون للغة العربية نصيب فيها مما

يلزمنا بمضاعفة الجهد كي نلحق بهذا الركب.

شكل ١٠ :خطورة عدم المسارعة برقمنة لغتنا العربية وذلك بتحويل كل فكرنا وإنتاجنا الثقافي إلى اللغة الجديدة .

## 8- تحديات عملية الرقمنة:

يمكن إيجاز بعض التحديات التي تواجه عملية الرقمنة في النقاط الآتية:

8-1 كثرة الخطوات اللازمة لهذه العملية كما يتضح ذلك من الشكل الآتي:

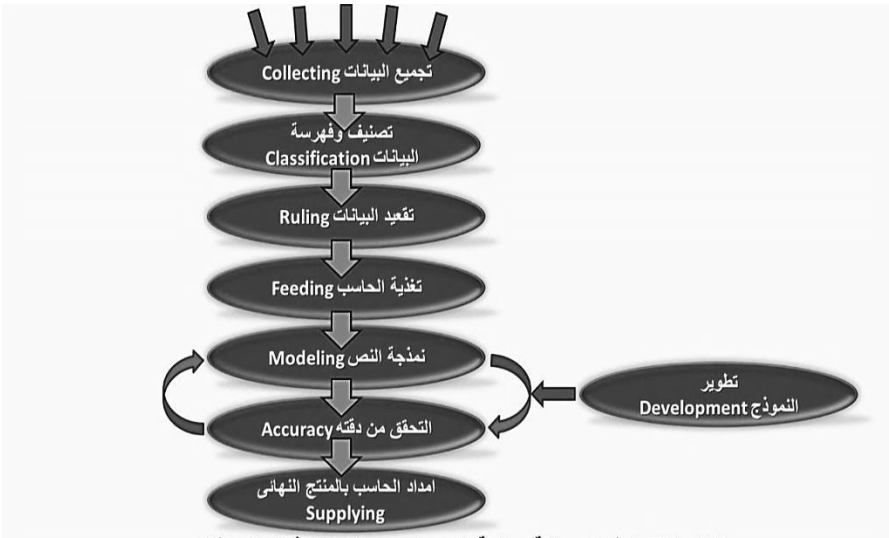


شكل ١١ :خطوات عملية معالجة النص العربى بتقنيات الذكاء الإصطناعى.

8-2 ومن التحديات أن اللغة العربية غنية وثرية بل متخمة بالمفردات وخصائصها، وهي لغة اشتقاق تمتلك جذورًا تلد الصيغ مجردة وفريدة ثم يضاف لها السوابق واللواحق، وهي أيضًا لغة ضاربة في التاريخ تحوي مخزونًا فكريًا هائلًا ومتنوعًا مما يشكل تحديًا في التعامل مع هذا الإنتاج الفكري الضخم على مدى عشرين قرنًا.

8-3 من التحديات أيضًا أن الكلمة العربية ملآى بالمعاني والأحكام إلى كم كبير من التحليلات.

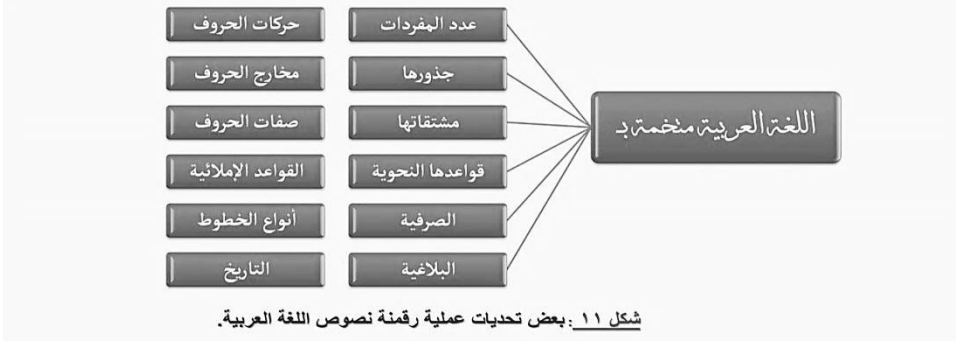


شكل ١١: بعض تحديات عملية رقمنة نصوص اللغة العربية.

وفيما يلي مثال لتحليل كلمة ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ في الآية الكريمة:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الأنفال – الآية 36.

| التحليل الصوتي | ف | س | ي | ن | ف | و | ن | ها |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | حركة قصيرة | حركة قصيرة | حركة قصيرة | حركة قصيرة | حركة قصيرة | حركة طويلة | حركة قصيرة | حركة طويلة |
| التحليل الصرفي | أصل الفعل [ نفق ] ، باقي الحروف ⟷ سوابق ولواحق — اللغة العربية لغة اشتقاق | | | | | | | |
| التحليل النحوي | ف | س | ينفق | و | ن | ها | | |
| | حرف استئناف مبنى على الفتح لا محل له من الاعراب | حرف استقبال مبنى على الفتح لا محل له من الاعراب | فعل مضارع مرفوع | فاعل في محل رفع مبنى على السكون | علامة الرفع ثبوت النون | هاء الغيبة ضمير متصل مبنى على السكون في محل نصب مفعول به | | |
| التحليل الدلالي | تدل على أن نفقهم لن تحقق غرضهم في الصد عن سبيل الله | تدل على قصر المدة الزمنية | بدل المال وجاء في المضارع دليل التكرار والاستمرار | .. وهكذا | .. وهكذا | وهكذا | | |
| كل هذا نريد أن نغذى لغة العقل الآلي به | | | | | | | | |

شكل ١٢: تحليل كلمة (فَسَـــيُنْفِقُونَهَا) ويتضح كم المعلومات الضخم المطلوب تغذية الحاسوب به.

4-5 ومن التحديات ضرورة ضبط حركات الحروف (تشكيلها) فالكلمة العربية يتغير معناها بتغيُّر حركات حروفها.

**ضبط حركات (تشكيل الحروف)** الكلمة العربية بدون تشكيل تحتمل معانِيَ عدة

مثال ١

| الكلمة | الاحتمالات | |
|---|---|---|
| | وضع التشكيل | المعنى |
| فهم | فَهَمَ | فعل ماض لعملية الفهم |
| | فَهَمَّ | فَ هَمَّ أي عزم (كلمتان) |
| | فَهُمْ | فَ هُمْ كلمتان (ضمير) |
| | فَهِمٌ | صيغة مبالغة لشخص حسن الفهم |
| | فَهَّمَ | قام بتفهيم غيره |
| | فَهِمْ | فَ هِمْ بمعنى سح في البلاد |
| | فَهْمٌ | المصدر |

شكل ١٣ : أهمية تحديد حركات الحروف للكلمة العربية.

**ضبط حركات (تشكيل الحروف) - تابع**

مثال ٢

| الكلمة | الاحتمالات | |
|---|---|---|
| | وضع التشكيل | المعنى |
| بين | بَيْنَ | من البينية (ظرف) |
| | بَيْنٌ | فراق |
| | بَيِّنٌ | واضح (صفة) |
| | بَيِّنْ | فعل أمر بمعنى أوضح |
| | بَيَّنَ | فعل ماض ( وضَّح) |
| | بَيَّنَّ | فعل ماض لمجموعة إناث |
| | بَيِّنَّ | فعل أمر لمجموعة إناث |

شكل ١٤ : أهمية تحديد حركات الحروف للكلمة العربية – تابع .

8-5 ومن التحديات قضية التعامل مع الخطوات العربية المتعددة: حيث لكل خط قواعده وأصوله.

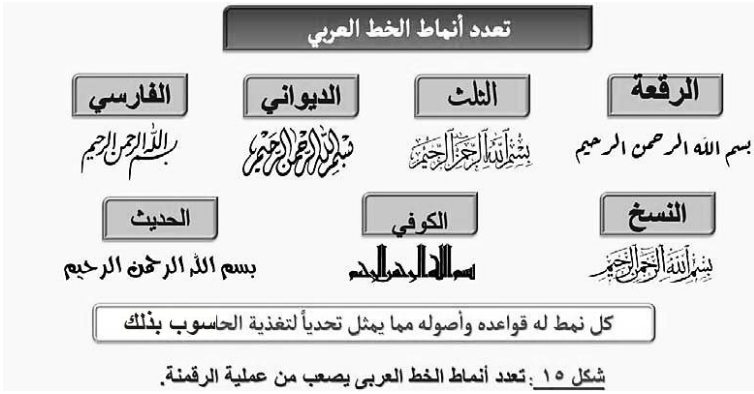


شكل ١٥: تعدد أنماط الخط العربي يصعب من عملية الرقمنة.

**8-6 ومن التحديات معالجة احتمال اختلاف الحرف المنطوق عن الحرف المكتوب:**

مما لا شك فيه أنه من محاسن اللغة العربية تطابق ما ينطلق من حروفها مع ما يكتب وهذه ميزة كبرى تميزها عن لغات كثيرة وإليكم مثالًا لحرف الجيم.

شكل ١٦- أ: من مزايا الكلمة العربية أن الحرف المنطوق هو نفسه المكتوب.

في حين أن حرف (g) على سبيل المثال في اللغة الإنكليزية ينطق بطرق مختلفة مع ثبات شكله مكتوبًا.

وإليكم مثالًا آخر لحرف السين.

شكل ١٦- ب: من مزايا الكلمة العربية أن الحرف المنطوق هو نفسه المكتوب.

**8-7 ومن التحديات أيضًا كيفية معالجة تمييز نوع اللغة المنطوقة:**

حيث هناك الفصحى وهناك اللهجات المتعددة وهذا التباين الكبير يمثل عبئًا على عملية المعالجة والرقمنة. وقد قامت جامعة كولومبيا بإصدار أربع مدونات عن كل من (اللغة الإنكليزية البريطانية واللغة الإنكليزية الأمريكية) و(اللغة العربية الفصحى واللغة العربية باللهجة المصرية) وكانت النتائج كالآتي:

شكل ١٧: تغير اللهجات فى اللغة العربية يمثل تحدياً لعملية الرقمنة.

**9- أهم طرق معالجة وحوسبة ونمذجة اللغة العربية:**

9-1 طريقة القواعد (القواعد اللغوية) Rules Paste وهذه الطريقة تحاكي طريقة تعليم الطلاب في المدارس والمعاهد والكليات المتخصصة حيث تعتمد على قواعد اللغة من نحو وصرف ودلالة وإملاء.. الخ.

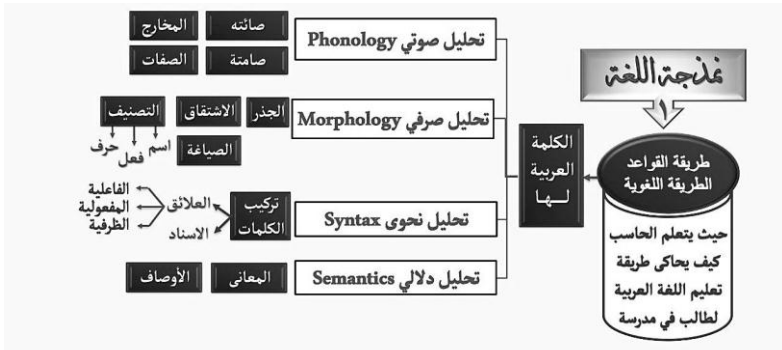


شكل ١٨ : تشعب خصائص الكلمة العربية يشكل عبئاً في سرعة الانخراط في عملية رقمنة اللغة العربية.

9-2 طريقة تعلم الآلة (طريقة التوزيع) Machine Learning Paste حيث تعتمد على تغذية العقل الآلي بمجموعة من المنطوقات والمكتوبات يقرأها الحاسوب عدة مرات متتالية بحيث يمكن استغلال ذكاء الآلة في استنباط القواعد وتوقع النتائج.

شكل ١٩ : الحاسوب يستطيع بهذه التقنية توقع ليس فقط الكلمات الصحيحة بل الجمل الصحيحة.

وهنا يمكننا أن نسوق مثالًا على تقنية الطريق الأولى (طريقة القواعد):

حيث قام فريق بحثي في جامعة ليدز[18] بقيادة الباحث إريك آتويل بعمل مدونة للقرآن الكريم (مكنز القرآن الكريم – Quranic Corpus) واستطاع من خلالها عمل تحليل لكلمات القرآن الكريم متنًا وتحليلًا نحويًا وصرفيًّا، والمثال الآتي يوضح هذا الجهد:

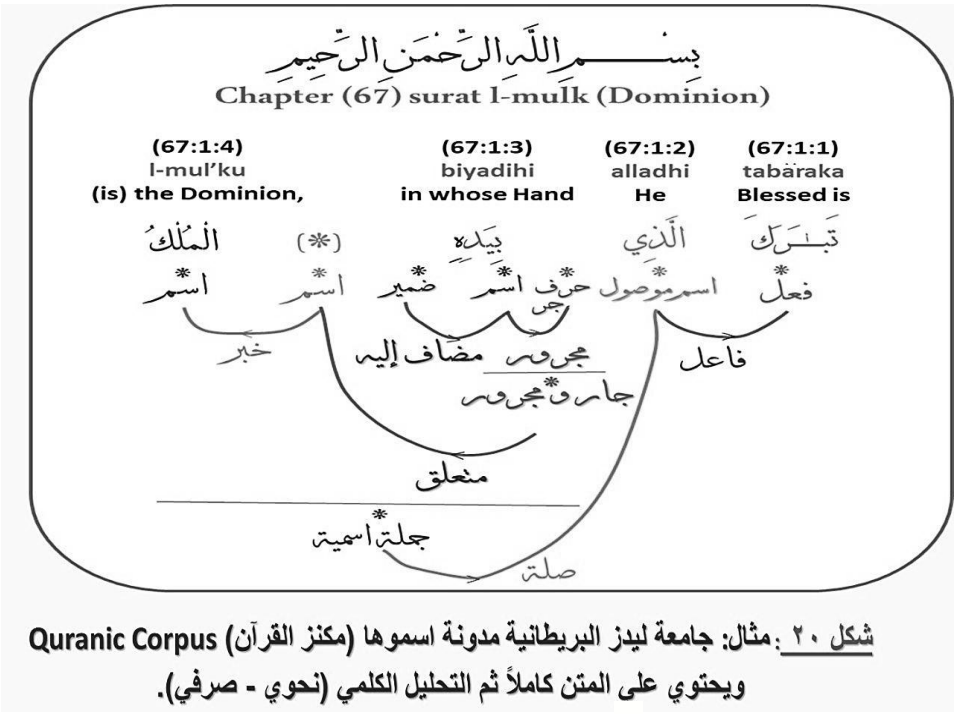


**شكل ٢٠: مثال: جامعة ليدز البريطانية مدونة اسموها (مكنز القرآن) Quranic Corpus ويحتوي على المتن كاملاً ثم التحليل الكلمي (نحوي - صرفي).**

وأمكن جدولة نتيجة هذه النمذجة حيث يسهل من خلاله تحديد تشكيل الكلمة (حركات الحروف)، وتحديد قسم الكلمة، والتنكير والتعريف، والإعراب، وعلامة الإعراب، والإفراد والجمع، والتعلق النحوي.

[18] عن محاضرة بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية جامعة القصيم ديسمبر 2019 للدكتور خالد الميمان.

النتيجة

| تجزئة الكلمة | بـ | يد | هـ |
|---|---|---|---|
| تشكيل الكلمة | بِـ | يَدِ | هِ |
| قسم الكلمة | حرف جر | اسم | ضمير متصل |
| التنكير والتعريف | | نكرة | |
| الإعراب | | مجرور | مجرور |
| علامة الإعراب | | كسرة | مبنى |
| الإفراد / الجمع | | مفرد | مفرد |
| التعلق النحوي | | مجرور بـ"الباء" | مضاف إلى "يد" |

**شكل ٢١ : نتائج نمذجة مثال جامعة ليدز البريطانية.**

ويمكن إعطاء فكرة على كيفية تعامل الحاسوب مع كل هذه البيانات بلغته هو (اللغة الرقمية) وهكذا نكون قد قمنا برقمنة الآية الكريمة.

النتيجة : تمثيل رقمي يفهمه الحاسوب

| الكلمة | اسم ؟ | فعل ؟ | حرف جر ؟ | ضمير متصل ؟ | نكرة ؟ | معرفة ؟ | مرفوع ؟ | منصوب ؟ | مجرور ؟ | مفرد ؟ | مثنى ؟ | جمع ؟ | متعلق بكلمة ؟ | التعلق: "فاعل" | التعلق "جر" |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| يد | ٠ | ٠ | ٠ | ١ | ١ | ٠ | ٠ | ٠ | ١ | ١ | ٠ | ٠ | ١ | ٠ | ١ |

**شكل ٢٢ : نتائج رقمنة مثال جامعة ليدز البريطانية.**

وهذا مثال آخر[19] على استعمال الطريقة اللغوية في تحليل الكلمة ونمذجتها حيث يبين هذا

[19] عن محاضرة للدكتور عبد الرحمن العصيمي الأستاذ بكلية الحاسوب جامعة الإمام محمد بن سعود بمجلس الشيخ حمد الجاسر الثقافي ديسمبر 2019.

المثال طلبًا للحاسوب أن يقوم بوضع نموذج لكيفية تعرُّف التذكير والتأنيث لمجموعة كلمات وهو مثال للتحليل الصرفي

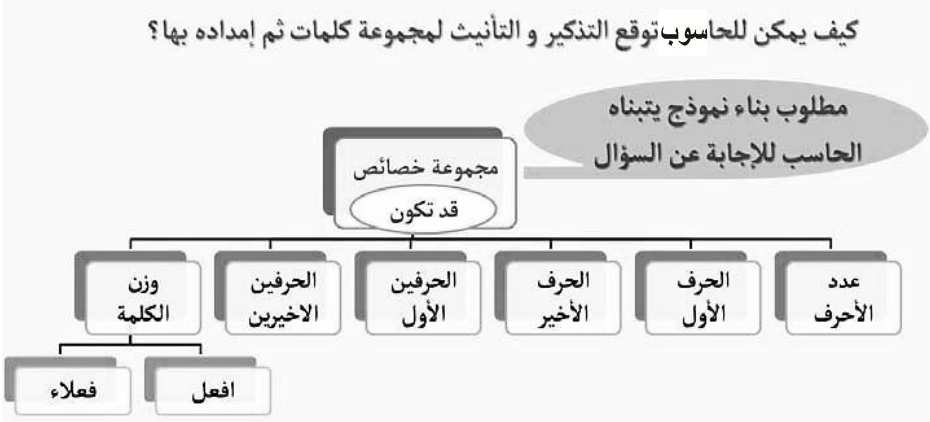


شكل ٢٣ : تطبيق على نمذجة اللغة ومن ثم رقمنتها (مثال على التحليل الصرفي) .

حيث يُطلب في هذا المثال من الحاسوب مهمةٌ محددة وهي: بناء نموذج قادر على تصنيف خمس كلمات من ناحية التأنيث والتذكير. هنا يظهر دور الخبرة بمعنى تحويل الكلمة إلى مجموعة خصائص قد تكون عدد حروف الكلمة أو قد تكون الحرف الأول أو قد تكون الحرف الأخير أو قد تكون الحرفين الأولين أو قد تكون الحرفين الأخيرين أو قد تكون وزن الكلمة؛ حيث يؤثر وزن الكلمة على تصنيف الكلمة تذكيرًا أو تأنيثًا (أفعل مذكر، وفعلاء مؤنث).

شكل ٢٤ : التحليل الصرفي للكلمة من ناحية التذكير والتأنيث.

وكما هو واضح فإن هذه النمذجة مع أنها حققت دقة عالية فإنها ليست كلها صحيحة وهذا إنما يدل على أن البيانات التي يجب إمداد الحاسوب بها يجب أن تكون دقيقة للغاية كي يبنى نموذجًا صحيحًا.

أما الطريقة الثانية لتغذية الحاسوب ببيانات اللغة وهي طريقة تعلم الآلة السابق ذكرها فقد فاجأتنا شركة جوجل بإنتاج باهر في هذا المجال عام 2019 حيث استطاعت أن تصنع نموذجًا أسمته بيرت PERT يعتمد على التناظر اللفظي والفهم السياقي مما يمكّن الحاسوب من توقع الكلمات التالية، وربما الجمل التالية أيضًا.

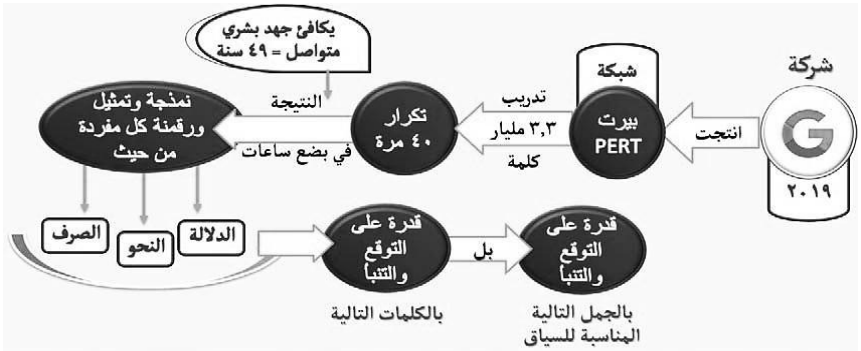


وبالطبع هناك وسائل لقياس دقة العقل الآلي كي نطمئن على سلامة المنتج ومنها طريقة التناظر اللفظي

شكل ٢٥ : الطريقة الثانية لتغذية الحاسوب ببيانات اللغة (طريقة تعلم الآلة).

ويمكن أن نسوق هنا مثالًا بسيطًا على هذا التطبيق

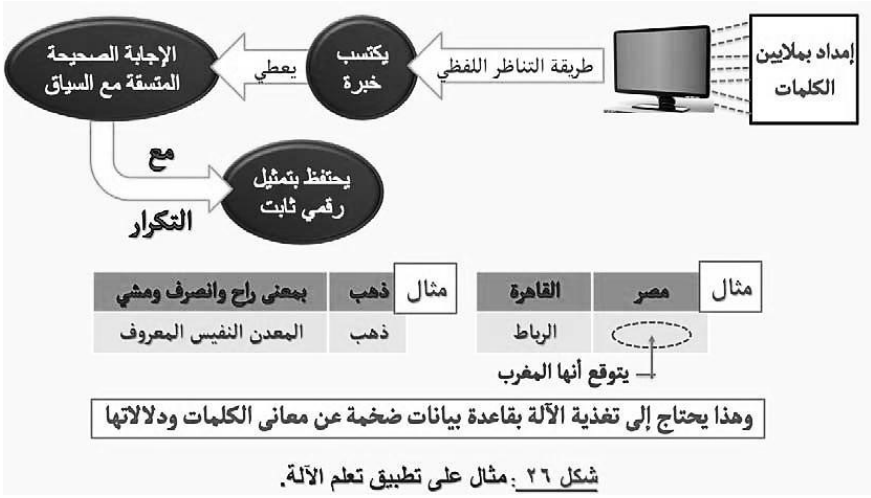


شكل ٢٦ : مثال على تطبيق تعلم الآلة.

ولقد تجاوز هذا التطبيق PERT توقع الكلمات أو الجمل بل استطاع أن يصدر مقالًا كاملًا بمجرد إمداده بجملة واحدة عن موضوع ما وإليك المثال الآتي باللغة الأنكليزية:

تطبيق حقيقي بإستخدام بيرت PERT باللغة الإنجليزية

استطاع انتاج موضوع متكامل بعد إمداده بجملة واحدة

Write something...

**In Spanish, the suffix "-ito" means "small", which hints at the existence of something bigger and greater than "Mosquito".**

GENERATE

**Or possibly we will go with "alien-ship" instead? Otherwise again, we cannot bring in a new word that does not fit the definition of the word it's related to. That way we'll have "Mosquito" fail. Oh well ... These games are about drawing a picture and seeing if the rest of the panel changes for good. They clearly hadn't given a crap. This would have been a real draw though since it must have been a cutscene or real-time event.**

شكل ٢٧ : تمكن الحاسوب من إنتاج موضوعات متكاملة بمجرد تزويده بعبارة عن موضوع معين. (طريقة تعلم الآلة)

## 10- آفاق ومجالات معالجة اللغة العربية حاسوبيًا:

تتعدد مجالات تقنيات معالجة وحوسبة اللغة العربية، حيث يمكن أن تسهم هذه التقنيات جوهريًا في تطوير تواجد اللغة العربية على الساحة الدولية؛ وأذكر هنا بعض هذه المجالات؛ التي هي في تزايد مستمر:

10-1 تقطيع الكلمة وردها إلى أصولها Tokenization.

10-2 تحليل وتقسيم الجملة Sentences Splitting.

10-3 تصنيف الكلمة Part of Speech Tagging.

10-4 تحليل الكلمة صوتيًا Phonolgy وصرفيًا Morphology ونحويًا Syntax ودلاليًا Semantics وخطابيًا Parsing and Chunking.

10-5 تمييز النصوص المكتوبة يدويًا أو المصورة أو المطبوعة بتحويلها إلى نص مكتوب قابل للتعديل بتقنية التعرف الضوئي على الحروف Optical Character Recognition.

10-6 استرجاع واستخلاص البيانات Information Retrieval.

10-7 تمييز الأصوات Speech Recognition.

10-8 فهم الأصوات Speech Understanding حيث أمكن من خلاله إيجاد البيوت الذكية والسيارات الذكية والمصانع الذكية والملابس الذكية.. الخ، وتطبيق Amazon Alexa-Siri أحد هذه الإنجازات.

10-9 تحويل النص المكتوب إلى صوت مسموع Text to speech.

10-10 تحليل المشاعر Sentiment Analysis حيث تتعلم الآلة استقراء الردود وتحليل التعليقات وإنشاء خط ساخن بين صانعي المنتج ومستهلكيه مما يتيح الفرصة للتعديل والتطوير الفوري.

10-11 تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.

10-12 التحاور والتفاهم بين طرفين لا يجمعهما مكان مشترك ولا لغة واحدة بتقنيات الترجمة الآلية والآنية.

10-13 تصحيح النطق مما يسهم في تعليم اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم ومساعدة أطباء التخاطب في تخصصهم.

10-14 معالجة تحويل الصوت المسموع إلى لغة إشارية:

حيث تظهر أهمية ذلك في مجالات متعددة منها تعليم الصم والبكم وحركة الطيران والمجال العسكري.

10-15 معالجة تحويل لغة الإشارة إلى نص مكتوب أو رسالة مسموعة.

## 11- دراسات إحصائية

هناك مجهودات في بعض جامعات العالم والمراكز البحثية تبذل من أجل رقمنة وحوسبة اللغة العربية ولكن ويا للأسف فإن هذه المجهودات تظل متواضعة لا تتناسب مع قيمة وشرف اللغة العربية مما يدعونا إلى مضاعفة الجهود البحثية في هذا المجال الهام الذي يجب أن تتضافر فيه كلّ من الإرادة السياسية في البلاد العربية وعلمائها في تخصصات اللغة العربية وهندسة وعلوم الحاسوب.

وإليكم بعض المواقع المهتمة بهذا الأمر والتي يمكن الاستفادة منها:

**أمثلة بحثية تطبيقية في اللغة العربية**

- المحللات الصرفية:
  - ✓ بكوولتر Buckwalter
  - ✓ الخليل الصرفي
- مدى + أميرا = مداميرا ؛ تصنيف وتقطيع وتشكيل وتمييز الأسماء ، إلخ https://camel.abudhabi.nyu.edu/madamira/
- مكنز قمر https://camel.abudhabi.nyu.edu/gumar/
- مكنز القرآن الكريم (جامعة ليدز) https://corpus.quran/
- مكانز صوتية
- مكانز نصية
- كالما سوفت https://calmasoft.com/
- Linguistics Data Consortium (LDC)
- PERT

شكل ٢٨: بعض مواقع فى تطبيقات الذكاء الاصطناعى على اللغة العربية

ومن خلال هذه المصادر أمكن الحصول على الإحصاءات الآتية:

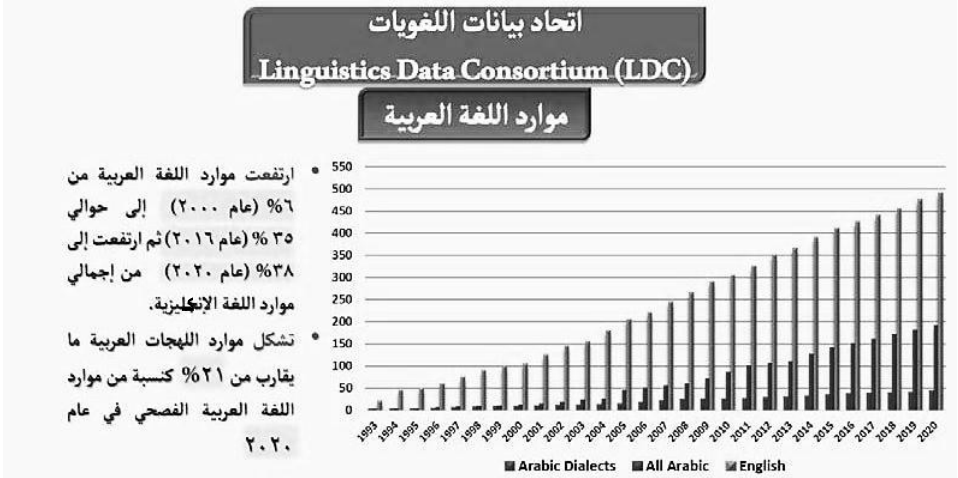


شكل ٢٩ : إحصاءات دولية توضح تواضع موارد اللغة العربية على محركات البحث.

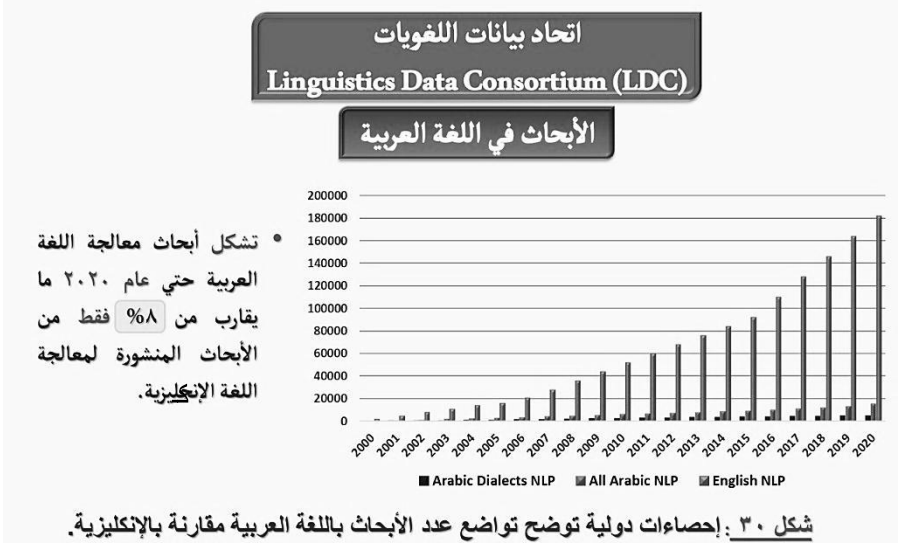


شكل ٣٠ : إحصاءات دولية توضح تواضع عدد الأبحاث باللغة العربية مقارنة بالإنكليزية.

**الأبحاث في اللغة العربية حسب google scholar**

| language | Publication since 2000 up to 2016 | Up to 2020 |
|---|---|---|
| English | 107,930 | 182000 |
| French | 17,700 | |
| Chinese | 17,500 | |
| German | 16,800 | |
| Spanish | 15,600 | |
| Arabic | 7,019 (6.5%) | 15000 (8%) |
| Arabic Dialects | 2,595 | |

شكل ٣١ :جدول يبين إحصاءات مساهمة أبحاث اللغة العربية على محركات البحث مقارنة ببعض اللغات الحية الآخرى.

وكلها تدل على ضعف وجود للغة العربية في عالم الحوسبة.

## 12- ماذا يحمل لنا المستقبل؟

يعطى الشكل الموضح فكرة عن تطور استعمال الإنسان لتقنيات التواصل من قبل ظهور الشابكة Internet وحتى يومنا هذا حيث يظهر التطور الهائل والطفرة غير المسبوقة في مجال المعلومات والتواصل مما يحثنا ويدعونا إلى سرعة الاندماج في هذا السباق المحموم وإلا فلن تجد اللغة العربية مكانًا لها في هذا السوق الكبير الذي سبقتنا إليه معظم اللغات الحية.

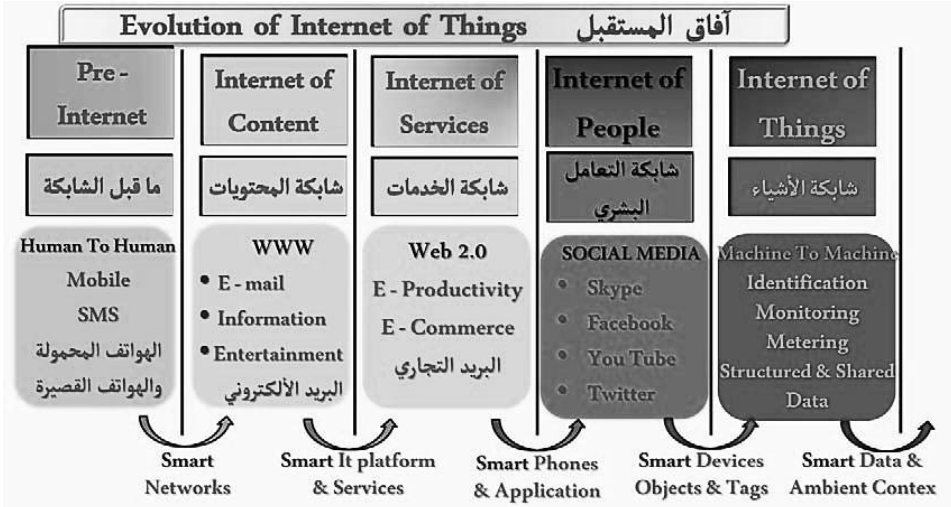


شكل ٣٢ : تطور تعامل الإنسان مع وسائل التواصل والحصول على المعلومة

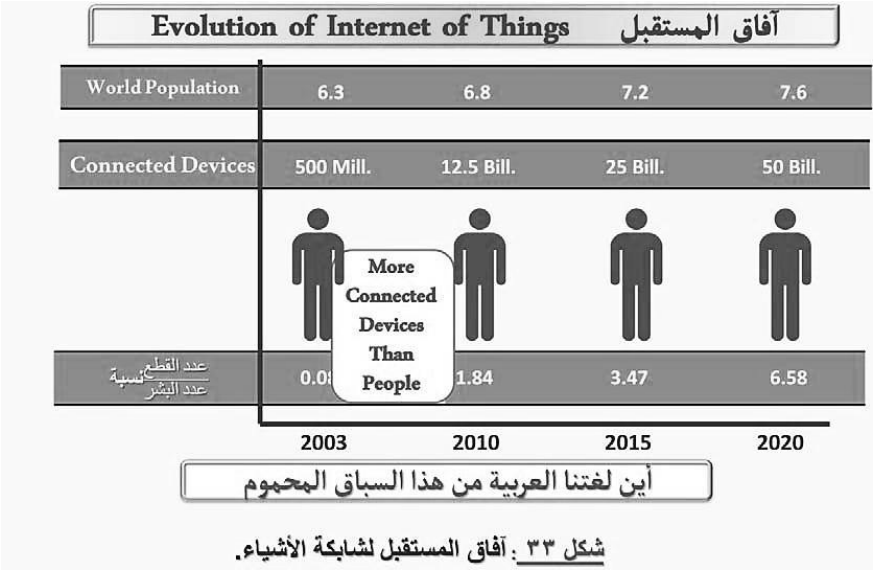


شكل ٣٣ : آفاق المستقبل لشابكة الأشياء.

**13- الملخص:**

يخرج هذا البحث بتوصيات هامة على كافة الأصعدة يمكن تلخيصها فيما يلي:

غايتنا هي إيجاد جيل من المختصين في الترجمة والتعريب، وتقعيد قاعدة عريضة منهم؛ يستطيعون من خلالها أن يخصّصوا جهودهم وعلمهم وإمكاناتهم في مواكبة التطور المذهل والمتسارع للثورة العلمية والتقنية التي يشهدها العالم، ويقدموا في حقول تخصصاتهم مصطلحات عالية المستوى، محددة الدلالة، مستوفية الأركان، لتصبح لغتنا العربية مؤدية لدورها في التعبير عن إنجازات العلم، ومرآة صادقة للتسارع الحضاري المحيط بنا ومواكبة للصحوة العلمية التي يشهدها العالم.

أما وسائل هذه الغاية فهي كثيرة؛ منها تعريب التعليم في شتى تخصصاته العلمية والصناعية والهندسية والدوائر الحكومية والخاصة ومحطات الإذاعة ودور النشر والإعلام. ومن أدواته أيضًا أن يتفق العرب على مصطلحات موحدة توحد جهودهم ليقوى تأثيرها وتُأتي ثمرتها. ومع أن المؤسسات اللغوية في العالم العربي تبذل جهدًا حثيثًا من أجل تحقيق أهدافها التي وضعتها لنفسها؛ فأنها ويا للأسف أجزاء متفرقة من الهدف العام الذي يوحدها جميعًا؛ والخطورة هنا أن هذا التفرق في ذاته يصيب كل الجهود بالضعف، مما يباعد بينها وبين الهدف المشترك، ويولد سلبيات على حساب الإيجابيات. لذلك فالمنشود أن يقف الجميع خلف اتحاد المجامع العربية لضم الشتيت ووصل البعيد.

ويوم أن يقوم المحاضر العربي بقراءة البحث العلمي بلغته الأجنبية ثم يقدمه لطلابه في اليوم التالي بلغة عربية سليمة نكون قد وضعنا أقدامنا على الطريق الصحيح.

وهذه القضية في تصوري لها جناحان: جناح علمي تخصصي يقع على عاتق العلماء أهل الاختصاص؛ وجناح يقع على قناعة وإرادة أصحاب القرار السيادي لدعم هذا التوجه؛ على أن يعمل الجناحات على التوازي معًا وإلا فليس من المتوقع أن نحقق الكثير.

ولوضع إنتاجنا الفكري والثقافي والعلمي على محركات البحث العالمية أرى أن هناك حاجة ملحة للجهود الآتية:

1- سرعة تجميع البيانات وتقعيدها Annotation.

2- الانخراط في تعليم العقل الآلي كيفية التعامل مع البيانات العربية Machine Learning.

3- توجيه الأبحاث لتعليم العقل الآلي إمكان رفع درجة الدقة بحيث ينتج منتجًا غير مشوش Annoys.

4- توحيد الأهداف في مراكز الأبحاث والمجامع اللغوية العربية حول سؤال هام: كيف نجد أدوات ومحركات بحث لتصنيف ومعالجة الكلمة والجملة العربية؟

5- وضع الخطط والبرامج الزمنية لإنجاز الأهداف السابق تحديدها.

6- ملاحقة كل جديد في تقنيات هندسة وعلوم الحاسوب وخاصة تقنيات الذكاء الاصطناعي للإفادة منها في مجال اللغة العربية.

7- إرسال البعثات التعليمية لطلبة الدراسات العليا للدراسة في الجامعات الأجنبية المهتمة بهذا التخصص لإيجاد جيل من اللغويين والحاسوبيين لدفع هذا التخصص للأمام بحيث يكون هناك متلازمة بين علوم اللغة العربية وعلم الذكاء الاصطناعي الذي يسير بسرعة مذهلة.

8- وأنا أستغل هذه الورقة في توجيه نداء أو إطلاق مبادرة بأنه يجب على جامعاتنا استحداث تخصص يجمع بين علماء اللغة العربية وكل من علماء الهندسة وعلماء الحاسوب والرياضيات لإيجاد بيئة بحثية تواكب الانفجار المعرفي العالمي حيث إن التحدي كبير؛ والنتيجة أن تصبح لغتنا الشريفة تحتل المكانة التي تستحقها عالميًا.

والله ولي التوفيق ....

# أضرب الترجمة عند طه عبد الرحمن (الجزء الأول)

**د. زهير قوتال**
جامعة محمد لمين دباغين
سطيف 2 – الجزائر

**الملخص**

إذا كان السبب الأول الذي أدّى إلى أن تَعُوْج الفلسفة العربية الإسلامية، (تنحرف عن قصدها) أو إلى موتها هو الترجمة، فهل يعني ذلك أن يتخلى الفلاسفة والمفكرون عن ترجمة ونقل الأعمال الفلسفية غير العربية الإسلامية، والانقطاع عن كلّ ما هو غير عربي وإسلامي؟ فالجواب دون شك هو النفي القاطع، بل على العكس فالتفلسف والإبداع الفلسفي لدى طه عبد الرحمن يقوم على الحوار والمناظرة؛ ولا حوار ولا مناظرة إلا بين اثنين –فلسفة وترجمة– حيث تقوم هذه الحوارية على مبدأ الاشتراك مع الغير في طلب العلم وطلب العمل بالمعلوم، كما تَنْبني على مبدأ النفع المُتعدي إلى الغير أو إلى الآجل، ولذا كان لزاما رفع التعارض بين الفلسفة والترجمة حتى يمكن تجنب آفات التقليد والاتباع، والدخول في طور الإبداع والتأصيل الفلسفي.

وحتى لا تتعارض الفلسفة مع الترجمة وتكون فكراً حيًّا، كان لابد لها أن لا تتعارض خصائصها التجديدية مع خصائص الترجمة، وعليه، بحسب طه عبد الرحمن، وحتى نظفر بفلسفة مبدعة، يجب اتباع طريق متميز في الترجمة، سماه، صاحب "فقه الفلسفة"، بالترجمة التأصيلية، وهو ضرب يختلف عن ضربين آخرين من الترجمة، الأول هو الترجمة التحصيلية أو قُل التعلُّمية، وهي التي تتوخى الحرفية اللفظية، والثاني الترجمة التوصيلية أو قُل الترجمة التعليمية، وهي التي يُتوخى فيها الحرفية المضمونية، وهذان الضربان يقعان في ما يمكن أن نسميه بالترجمة التقليدية والتي لا يمكن أن تثمر فلسفة إبداعية.

## 1. مقدمة:

إذا كان قدر الفلسفة العربية الإسلامية يتمثل في ارتباطها، منذ نشأتها الأولى، بالترجمة، وإذا كانت الترجمة، قديما وحديثا، هي السبب الأول الذي أدى إلى أن تعوج الفلسفة أو تموت بين أيدينا؛ فهل يعني ذلك أنّ يتخلى المشتغلون في الحقل الفلسفي وبالفكر عموما في عالمنا العربي والإسلامي، عن الترجمة وأن ينقطع هؤلاء عن كل ما هو غير عربي وإسلامي؟

الجواب بالنسبة **لطه عبد الرحمن** أنّه لا بديل عن الترجمة، ذلك لأنّه من الواجب الدخول مع الغير في حوار دائم وبناء، أساسه المنفعة في العاجل والآجل. ولا يمكن لهذا الحوار أن يقوم إلا عن طريق التواصل، ولا تواصل إلا عن طريق اللغة، ومادامت الأمم المتحاورة لغاتها مختلفة وألسنتها متعددة، فهذا يجعل الترجمة أمراً لا مناص منه.

ولهذا ارتبطت مصالح العباد، سواء أكانت تجارة أو معارف أو معاهدات السلم والحرب، بالترجمة منذ الحضارات القديمة، فضلاً على الحضارة العربية الإسلامية، حتى غدت الترجمة الأخت الرضيعة للمعرفة عموما وللفلسفة على وجه الخصوص.

وإذا كان التواصل بين الأمم والشعوب أمراً مسلّماً به، فهذا لا يعني أن تسقط أمة من الأمم في براثن التقليد والاتباع، وتقطع عن نفسها أسباب الإبداع وسبله بفعل النقل والترجمة. فالسؤال بالنسبة إلى طه عبد الرحمن هو كيف تتحول الترجمة، التي هي فعل حضاري، من عملية تُورثنا التقليد إلى فعل يُكسبنا الإبداع؟ من هنا طرح طه عبد الرحمن رؤية فلسفية محاولاً فيها رفع التعارض بين الفلسفة والترجمة، حتى يتجنب المتفلسف العربي آفة التقليد والاتباع، وأن يتمكن من الدخول في طور الإبداع والتأصيل.

وحتى يَحْدُثَ رفع هذا التعارض يجب أن تتصف كل من الفلسفة والترجمة بخصائص لا تؤدي إلى التناقض بينهما، وتُسَهّل عليهما التقارب والتداخل؛ فإذا كانت الترجمة تتصف بأربع خصائص وهي: الخصوصية، واللفظية، والفكرانية (الأيديولوجية) والاستقلالية؛ فوجب أن تقابلها

الفلسفة بأربع خصائص لا تناقضها وهي: النموذجية بدلا من الشمولية، والاتساعية بدلا من العقلانية، والقصدية بدلا من المعنوية، والاتصالية بدلا من التبعية.

وحتى لا تتعارض الفلسفة مع الترجمة وتكون فكراً حيًّا، كان لابد لها أنْ لا تتعارض خصائصها التجديدية مع خصائص الترجمة، أي ألّا تتعارض الشمولية النموذجية مع الخصوصية، والمعنوية القصدية مع اللفظية، والعقلانية الاتساعية مع الفكرانية، والتبعية الاتصالية مع الاستقلالية؛ والسؤال الذي يترتب على ذلك هو ما هي الطرق التي يجب اتباعها في الترجمة حتى نسلك سبيل الإبداع، ومِن ثَمّ لا نقع في دهاليز التقليد و آفاته؟ وإذا كان هناك من سبيل يخرجنا من الترجمة التقليدية إلى آفاق الترجمة الإبداعية، فما هي هذه الترجمة التقليدية وماهي نقائصها التي على المترجم الإبداعي أن يكملها ويَسُدَّ ثغورها؟ ثم هل ضروب الترجمة التقليدية واحدة أوهي ضروب متعددة؟

## 2. في الفرق بين طرق الترجمة المقررة وتقسيم طه عبد الرحمن لها:

تختلف ضروب ترجمة الفلسفة وطرقها، عند طه عبد الرحمن، باختلاف وجوه مراعاتها للصفات التجديدية للفلسفة، أي إنّه ستكون لدينا ثلاث حالات أساسية[1]:

الحالة الأولى: وهي التي لا تُراعي الترجمة أي خاصية من خصائص الفلسفة التجديدية الأربعة، أي تبقى الترجمة على حالها مع التعارض الكلي مع الفلسفة؛

الحالة الثانية: وهي التي قد تراعي الترجمة بعض هذه الخصائص، أي تُبقي الترجمة على بعض التعارض وترفع البعض الآخر؛

الحالة الثالثة: وهي الحالة التي قد تُراعي فيها الترجمة جميع الصفات التجديدية للفلسفة، بحيث يرتفع التعارض كليًا بينهما[2].

---

[1] طه عبد الرحمن فقه الفلسفة،ج1، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، بيروت –الدار البيضاء، ط3، 2008 ، ص299.

[2] المصدر نفسه، ص299.

وقد أطلق طه عبد الرحمن اسم "الترجمة التحصيلية" أو الترجمة التعلُّمية على الضرب أو الحالة الأولى، وهي التي تتوخى الحرفية اللفظية، بحيث لا لفظ من ألفاظ النص إلا نقلته، وقد تزيد ألفاظها عن ألفاظ النص الأصلي، ولكن الراجح أن لا تنقص عنها[3]، فهي إذن الحالة التي لا تراعي فيها الترجمة أي واحدة من خصائص الفلسفة التجديدية، أي حالة التعارض الكلي بين الفلسفة والترجمة[4]؛ وأطلق اسم "الترجمة التوصيلية" أو الترجمة التعليمية على الضرب الثاني حيث يُتوخى فيه الحرفية المضمونية، بحيث لا معنى من معاني النص إلا نقلته، سواء طابقت ألفاظُها ألفاظ النص الأصلي أو باينتها، زيادة أو نقصانا، ولكن الراجح أن تخالفها،[5] وفي هذه الحالة يكون فيها التعارض بينهما تعارضاً جزئياً؛ أما الضرب الثالث والأخير أي الحالة الثالثة، التي يرتفع التعارض فيها كليا بين الترجمة والفلسفة، فقد أطلق عليه اسم الترجمة التأصيلية،[6] وهي التي تتوخى التصرف في النص الأصلي، ألفاظًا ومعانيَ بالقدر الذي يُمكِّن المتلقي من اكتساب القدرة على التفلسف في هذا النص.[7]

إنّ التقسيم الثلاثي، الذي وضعه طه عبد الرحمن إزاء ترجمة الفلسفة، يتعلق فقط بالفلسفة نفسها، فهو تقسيم يختلف عن التقسيمات المعلومة لطرق الترجمة؛ ألا وهي الترجمة الحرفية والترجمة الحرة،[8] أو قُل بين الترجمة الحرفية القاصدة للأمانة والترجمة الحرة القاصدة للإبانة؛ وهذا التقسيم الأخير يشمل جميع المعارف وفيها الفلسفةُ نفسها، أما التقسيم، الذي طرحه طه عبد

[3] طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، دار الهادي، بيروت، ط1، 2003، ص99.

[4] فقه الفلسفة، ج1، مصدر سابق، ص300.

[5] حوارات من أجل المستقبل، مصدر سابق، ص99.

[6] فقه الفلسفة، ج1، مصدر سابق، ص300.

[7] حوارات من أجل المستقبل، مصدر سابق، ص99.

[8] طه عبد الرحمن، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ط1، 2002، ص150.

الرحمن، فهو تقسيم خاص بترجمة النصوص الفلسفية، من حيث وجوه اعتبار أوصافها التجديدية المميزة لها والمُوافقة بينها وبين الأوصاف الأصلية للترجمة.[9]

فالترجمة التي طرحها طه عبد الرحمن، الخاصة بالفلسفة يكون التقسيم فيها تابعا لطرق التفلسف التي سلكها لترجمة النصوص الفلسفية، على حين تقسيم الترجمة طرفين متباينين، ترجمة حرفية وترجمة حرة هو تقسيم يعُمُّ النصوص جميعًا، من حيث اعتبار صيغها ومضامينها فهو تقسيم يتعلق بطرق التبليغ التي تسلكها ترجمة عموم النصوص، فهناك فرق بين ما اقترحه طه عبد الرحمن في تقسيمه الثلاثي للترجمة الفلسفية وبين التقسيم الثنائي المقرر:

أ) فطرق الترجمة المقررة تتحدد أساساً بالوسائل المتبعة فيها، فالترجمة الحرفية تتوسل باللفظ وتقف عند حدوده، في حين أنّ الترجمة الحرة تتوسل بالمعنى وتقف عند حدوده، على حين ضروب الترجمة الفلسفية تتحدد أساسًا بالمقاصد المطلوبة فيها والمستتبعة للوسائل الموصلة إليها؛ فالترجمة الاتباعية (التحصيلية والتوصيلية) تطلب الدخول في التفلسف على مقتضى خصائص الغير، في حين أنّ الترجمة الإبداعية التأصيلية تطلب تحصيل القدرة على التفلسف على مقتضى خصائص الذات، أي علة مقتضى المجال التداولي الخاص.[10]

ب) إن صبغة الحرفية، التي تتصف بها الترجمة الاتباعية، تشمل في ذات الوقت الحرفية في اللفظ التي تأخذ بها الترجمة اللفظية، والحرفية في المضمون التي تأخذ بها الترجمة الحرة أي المعنوية، فالترجمة الحرة المعنوية، وإن تركت التقيد بصيغ الألفاظ وأشكال التراكيب، التي تَرِد بها النصوص الأصلية، فإنّها تُبقي على التقيد بتمام المعاني والمضامين التي اشتملت عليها هذه الألفاظ والتراكيب، فتكون قد استبدلت مكان حرفية في الشكل حرفية في المحتوى، ومن هنا تكشف المقارنة بين الطريقتين اللفظية والمعنوية في الترجمة المقررة، أنّ الواحدة منهما لا تختلف عن الأخرى من حيث اجتماع الحرفية و الحرية فيها. فالطريقة الحرفية اللفظية هي حرفية من

[9] فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة، ج1، مصدر سابق، ص 300، والحق العربي في الاختلاف الفلسفي، مصدر سابق ص150.
[10] الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، مصدر سابق، ص150.

جهة احتذاء ألفاظ الأصل، إلا أنها تبقى حرة من جهة التعامل مع معاني هذه الألفاظ، لأنّ المترجم لا ينشغل بهذه المعاني انشغاله بصورها اللفظية، حتى إنّ ترجمته، ولو ساوت في ألفاظها ألفاظ الأصل، فإنّها في الغالب لا تساوي هذا الأصل في معانيه؛[11] أما الترجمة الحرة المعنوية، فهي وإن كانت حرة من جهة الاستقلال عن ألفاظ النص الأصلي، تبقى حرفية من جهة التعامل مع معاني هذه الألفاظ، لأنّ تعاملها مع هذه المعاني يساوي ويشبه تعامل الترجمة اللفظية مع ألفاظها، فما يكون فيه أحد الضربين ترجمة حرفية يكون فيه الآخر ترجمة حرة والعكس بالعكس.[12]

جـ) إن صبغة الحرية التي تتصف بها الترجمة الإبداعية التأصيلية تتعدى ما تطيقه الترجمة المعنوية إلى ما تجيزه ضروب من التأليف كالشروح والتفسيرات والقراءات والتحليلات من غير أن تتقرر في ذلك ضروب بعينها، إذ يتعلق الأمر بقدرة المترجم في الإبداع، فإنْ ضعفت قدرته جاء بنقل أشبه بالشرح، كابن رشد مثلاً و فلاسفة الإسلام عموماً، وإن قويت جاء بنقل أشبه بالقراءة، كما فعل ابن رشد في التلخيصات والجوامع، والغزالي في مقاصد الفلاسفة وكتبه المنطقية، من ثم تكون الترجمة الإبداعية التأصيلية ضربًا لا تكاد تعرفه طرق الترجمة المقررة.[13]

وقد يعترض أحدهم على هذا التقسيم بأنه خروج من الترجمة إلى التأليف، فيكون جواب طه عبد الرحمن كالآتي:

إن الحدود بين الترجمة و التأليف، وإن كانت معلومة إجمالاً، فإنها ليست واضحة تفصيلاً، فبإمكاننا أن نجعل من الترجمة التي تنزل أقصى درجات الاتباع، والتأليف الذي ينزلُ أعلى مراتب الإبداع، طرفين متباينين توجد بينهما ضروب كثيرة من الكتابة يتداخل فيها الاتباع والإبداع وتتفاوت فيهما درجاتهما، فمن الكتابات ما هو أقرب إلى الترجمة الاتباعية،[14] ومنها ما

[11] المصدر نفسه، ص151.

[12] المصدر نفسه، ص151.

[13] المصدر نفسه، ص151.

[14] المصدر نفسه، ص151.

هو أقرب إلى التأليف المبدع، ومنها ما ينزل مراتب وسطى، ولا أدل على ذلك من الجوامع والمختصرات والشروح والتفاسير والتعليقات وغيرها، فلا هي بالترجمة الاتباعية ولا بالتأليف الإبداعي، فتكون ترجمة مع إبداع أو تكون تأليفاً مع اتباع.

إنّ الترجمة التي تُناسب الشخص الذي يطلب تحصيل القدرة على التفلسف، ليست هي بالضرورة الترجمة التي تناسب الشخص الذي يحصِّل هذه القدرة، وأراد الزيادة فيما يُجرى عليه تفلسفه، وهو ما نشاهده اليوم عند النقلة في المجتمعات التي رسخت قدم أهلها في التفلسف، وعليه فإنّ المتعاطي للتفلسف إن كان مبتدئًا نفعت الترجمة الإبداعية في تحريك طاقته الفلسفية، وإن كان مقتدرًا أفادت الترجمة الاتباعية في توسيع حصيلته الفلسفية[15].

والجدير بالذكر هنا، أنّ ضروب الترجمة الفلسفية التي وضعها طه عبد الرحمن بإزاء الفلسفة، يمكن أن تعمم على مختلف مجالات الثقافة عمومًا، فلا يمنع أنْ يُؤخذ بها في غير مجال الفلسفة من مجالات الفكر والأدب والمعرفة، وقد يكون انطباقها على النصوص ذات الطابع الأدبي أقوى من انطباقها على النصوص العلمية، باعتبار أنّ باب الإبداع أشد اتساعًا في الأدب منه في غيره.

إنّ الاختلاف بين التقسيمين –التقسيم المقرر والتقسيم الذي اقترحه طه عبد الرحمن– لا يعني بأي معنى من المعاني، أنّه لا تداخل فيما بينهما، فطرق التفلسف للترجمة تتوسل بطرق التبليغ، سواء توسلاً فرديًا أي توسل الواحد بالواحد، أو جماعيًا أي توسل الواحد بالكثير، فقد تتبع كل واحدة من طرق التفلسف الترجمية طرقًا تجمع إلى العمل بمقتضى الأمانة العَمَلَ بمقتضى الإبانة زيادةً أو نقصانًا، فقد يجد المترجم في النص الأصلي معنًى فرعيًا يفتقر إليه المتلقي بموجب معنى فرعي عنده يستدعيه فيتوسل في ذلك بالطريقة الحرفية، إظهارًا لوقوع الاتصال بين ثقافة صاحب النص وثقافة المتلقي[16]؛ أو يعترضه في هذا النص أصل خاص بثقافة المؤلف لا سبيل

[15] المصدر نفسه، ص 152.

[16] فقه الفلسفة، ج1، مصدر سابق، ص300.

إلى استفادة المتلقي منه متى بَقي على حاله لتعذر وصله بالفروع في ثقافة المتلقي، فضلاً عن وصله بالأصول، ففي هذه الحالة يتوسل المترجم في ذلك بالطريقة الحرة توليدًا لإمكانات استثماره في ثقافة المتلقي[17].

إن أقسام التفلسف الترجمي توجب على المترجم أن يكون متحققا بالفلسفة تحقق الفيلسوف الذي يتولى ترجمة نصوصه، لأنّ الغاية منها هي تزويد المتلقي بالقدرة على التفلسف، على حين طرق التبليغ لا توجب عليه ذلك، فالهدف منها هو أن تقف عند حد إطلاع المتلقي على ما عند الغير؛ ولا يمكن للمترجم أن يُزود المتلقي بالقدرة على التفلسف ما لم يكن هو نفسه متمكنًا من ناصية الفلسفة[18]، فقد يكون النص الذي يريد نقله مُخِلّاً بهذه الصفة أو تلك من صفات الفلسفة الحية، فيكون نقله على وجهه الذي له في الأصل ضارًا بهذه القدرة عند المتلقي، فيحتاج المترجم إلى تقويمه من هذا الجانب، حتى يدفع هذا الضرر عن المتلقي، ولا سبيل له إلى ذلك ما لم تكن ملكته في الفلسفة تضاهي ملكة صاحب النص من هذا الجانب على الأقل[19].

وبعد أن فرغنا من تبيان الفروق التي يتميز بها تقسيم طه عبد الرحمن للترجمة الفلسفية والتقسيم التقليدي، سنتطرق بالتفصيل في هذه الدراسة للتقسيم الذي وضعه صاحب "فقه الفلسفة"، نعرض فيه لخصائص كل ضرب من الضروب الثلاثة مع التمثيل لها بجملة للأستاذ "***محمد عزيز الحبابي***"، استشهد بها طه عبد الرحمن كمثال تطبيقي لضروب الترجمة الفلسفية الثلاثة التحصيلية /التعلُمِيَة، والترجمة التوصيلية/ التعليمية والترجمة الإبداعية/ التأصيلية، منتقدًا الترجمة التي وضعت لها والمثال مأخوذ من كتاب الحبابي المعنون بـ De l'être à la personne، الصادر عن دار [P.U.F. 1954 ]. والجملة مأخوذة من الصفحة 25 كما يأتي:
«Heidegger fait de l'idée de l'être –dans- le monde un phénomène constitutif de la réalité humaine»

[17] المصدر نفسه، ص301.

[18] المصدر نفسه، ص301.

[19] الجاحظ، أبو عثمان، كتاب الحيوان، تحقيق عبدالسلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط 1، 1996، ج1، ص75 وما بعدها.

أما ترجمة الكتاب فقد صدرت عن دار المعارف في مصر سنة 1963، ولمّا كانت ترجمة التعلُّم تتمسك بحرفية اللفظ، كما لاحظ طه عبد الرحمن، فقد وقعت في تطويل بناء الجملة، وكذلك لمّا كانت ترجمة التعليم تتمسك بحرفية المضمون وقعت في تهويل معنى هذه الجملة، أما ترجمة الإبداع فلما كانت تصرف الحرفية اللفظية والحرفية المضمونية معًا، فستكون ترجمة مختصرة لا تطويل فيها وترجمة مُيسَّرة لا تهويل معها[20].

### 3. خصائص الترجمة التحصيلية للفلسفة:

الترجمة التحصيلية للفلسفة هي القسم الذي لا يحفظ فيه المترجم شيئًا من الصفات التجديدية للفلسفة، أي لا يحفظ فيها الشمولية النموذجية ولا صفة المعنوية القصدية ولا العقلانية المتسعة ولا التبعية الاتصالية، وبعدم حفظ هذه الصفات من طرف المترجم، يترتب على هذه الترجمة النتائج التالية:

أولاً، ترك هذه الخصائص التجديدية للفلسفة يعني الرجوع بالفلسفة إلى صفاتها التقليدية التي تتعارض مع العمل الترجمي؛

ثانيًا، يتولى المترجم التحصيلي نقل الترجمة بجمع مكوناتها أصولاً وفروعاً، متوسلاً في ذلك بكل الطرق التبليغية التي تمكنه من هذا النقل الكلي الشامل؛

ثالثًا، يستحوذ على المترجم التحصيلي همّ اللغة، لا همّ التفلسف فيتتبع المكونات اللسانية للنص الفلسفي المراد نقله، ناظراً في صيغها الصرفية وبِناها التركيبية، وعاملاً على نقلها بتمام كيفياتها وكل مقتضياتها إلى اللغة الناقلة[21]؛

وعلى أساس هذه النتائج الثلاث يتصف عمل المترجم بثلاث صفات: التعارض الكلي والنقل الكلي والتوجه اللغوي.

---

[20] الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، مصدر سابق، ص153.

[21] فقه الفلسفة ج1، مصدر سابق، ص302.

**1.3 التعارض الكلي:**

يتعلق الأمر هنا بترجمة نصوص فلسفية، تكون فيها الترجمة متعارضة تمامًا وبصفة كلية مع خصائص الفلسفة الحية؛ أي كترجمة نص يتحدث عن المعاني الكلية ويتضمن أمثلة وشواهد من الواقع الثقافي للنص المنقول، فيعمد المترجم بترجمته بما ذُكر فيه من ***أمثلة خاصة***، فلا يجد المتلقي في النص المنقول إلا أمثلة أو شواهد لا تعنيه من قريب ولا من بعيد، حيث كان المطلوب منه في هذه الترجمة استحضار المعاني الكلية المنقولة؛ أو كترجمة نص فلسفي يتكلم عن الصورة المجردة، يتوسل صاحب النص الأصلي في بيان ذلك بما اشتغل به من ممارسات تأملية، فيعمد المترجم نقل هذا الكلام في المجردات مصحوبًا بتوضيحاته من الحسّيات، فلا يحصل المتلقي من هذا الكلام إلا بمقاصد مرتبطة بسياقها الاستعمالي، حيث كان المطلوب منه أن يأخذ منه معاني مجردة تجريدًا كاملاً[22]؛ أو ترجمة نص يتحدث فيه صاحبه عن الاستدلال البرهاني الذي يحوز صفة اليقين، ويستعمل صاحب النص في توضيح ذلك اللغة الطبيعية المتداولة، فيعمد المترجم بترجمة هذا النص بحذافيره، بحيث لا يجد المتلقي في هذا النص المنقول إلا أدلة لا تنفك عن مضامينها، على حين كان المترجم مطالباً بأن ينقل فقط صوراً استدلالية مستقلة عن هذه المضامين[23]؛ أو ترجمة نص يورد فيه صاحبه حقائق فلسفية فرعية تختلف باختلاف الثقافات، فيعمد المترجم إلى نقلها جميعا متوهمًا بأنها مَعانٍ تلزم الجميع، فلا يتحصل المتلقي من هذه الترجمة إلّا على معانٍ قد يستغني عنها بغيرها مما هو مألوف له، مع أن المطلوب من المترجم بأن يرفع هذه المعاني إلى رتبة الحقائق التي لا تعلم بغير هذا النقل[24].

ومما سبق يتبين أنّ هذا الضرب من الترجمة يجعل فكرَ المتلقي يتنازعه نوعان متعارضان من المقتضيات الخطابية: من جهة محددات الواقع الترجمي، التي تتغلغل في التخصيص

[22] المصدر نفسه، ص302.

[23] المصدر نفسه، ص302.

[24] المصدر نفسه، ص303.

والتقييد، ومن جهة أخرى موجبات المطلوب الفلسفي التي تُوغل في التعميم والإطلاق، وهو الأمر الذي يؤدي به إلى التذبذب في استيعاب مقاصد المنقول والتعثر في تكوين ملكته الفلسفية[25].

**2.3 النقل الكلي:**

عندما تنحصر عملية الترجمة التحصيلية في النقل الذي تتعارض فيه الوسائل التبليغية للترجمة مع المقاصد الفلسفية المطلوبة بواسطتها، وعندما تبقى هذه العملية على حالها في التمسك بالأوصاف التقليدية للفلسفة، مع استحالة تغيير الأوصاف الأصلية للوسائل التبليغية، فإنّ هذه الترجمة التحصيلية لا تتعدى التسليم بالحقائق الفلسفية التي تنقلها، والمتوقفة في الحكم عليها، فتدخل في نقل هذه الحقائق نقلا مستفيضاً شاملاً لا تتردد في الاعتقاد بوجوبه ولا بصواب عملها، كما لا تتردد في التصرف في اللغة المنقول إليها بالوجوه التي قد تخرجها عن عاداتها في التبليغ، حتى لا يضيع شيء من هذه الحقائق الفلسفية، لتسليمها بصدقها على المنقول إليه صدقَها على المنقول منه[26].

وهكذا يصبح المترجم التحصيلي ناقلاً لجميع الحقائق التي يُصادفها في النص الذي هو بصدد ترجمته، بحيث تستوي لديه في ذلك الأصول الفلسفية الخاصة التي تتميز بها اللغة المنقولة، والتي لا نظير لها في اللغة الناقلة والأصول الفلسفية العامة التي قد تشترك فيها هاتان اللغتان؛ كما أنّه تستوي عنده في ذلك الفروع الفلسفية المبنية على الأصول الخاصة والفروع الفلسفية المبنية على الأصول المشتركة؛ وإذا جاز نقل الحقائق المشتركة، أصولاً وفروعاً، لظهور أسباب للتواصل التعبيري والتشابه الفكري بين اللغتين، فإنّ الاعتقاد بجواز نقل الحقائق الخاصة الأصلية منها والفرعية، يعترضه وجود أسباب للتفاوت التعبيري والاختلاف الفكري بين اللغتين[27]، غير أنّ هذا الضرب التحصيلي لا يُبالي بهذا التباين في التعبير والاختلاف في التفكير، فقد يَرُدُّ

[25] المصدر نفسه، ص303.

[26] المصدر نفسه، ص303.

[27] المصدر نفسه، ص303.

أسبابه إلى ظواهر لغوية عرضية extrinsèques، إن لم ينسبه إلى قصور أو ضعف فلسفي في اللغة الناقلة، كما ذهب إلى ذلك محمد أركون[28]، قصور لا يُدفع في نظر المترجم التحصيلي إلا بحملها اللغة على استيفاء مقتضيات اللغة المنقولة[29].

### 3.3 التوجه اللغوي/الهمّ اللغوي:

إن تسليم المترجم التحصيلي بالخصائص التقليدية للفلسفة، على تعارضها مع خصائص الترجمة، يجعله يجتهد في رفع هذا التعارض بأن يبذل قصارى جهده في الانتباه إلى خصائص الصياغة اللفظية والبناء التركيبي التي وردت بها عبارة النصوص المراد نقلها، فيبالغ في الحفاظ عليها في اللغة المنقول إليها، غير مبال إلى ما قد يخالفها في هذه اللغة، معتقدًا أنّ هذه الأخيرة تحتاج إلى توسيع ما ضاق فيها أو إلى تكميل ما نقص منها، ذلك أنّ هذا المترجم التحصيلي يعمل على تعويض عن ضعفه في القدرة على التفلسف برسوخه في القدرة على تقليد العبارة، وإلا لكان قد ترك أوصاف الفلسفة التقليدية، وطلب غيرها مما يُحيي به القدرة على التفلسف عند المتلقي[30].

ومن البيّن أنّ تمسك المترجم التحصيلي بظاهر التعبير للغة المنقولة، صرفا وتركيبا، يؤدي به إلى تقديم طريق الترجمة الحرفية على غيرها من الطرق التبليغية الأخرى، كأنّما تمكِّنه من الظهور بالقيام بشرط الأمانة في أداء عبارة المنقول، حتى لا يضطر إلى الدخول فيما لا طاقة له به من ممارسة التفلسف المطلوب في كل ترجمة حقة، لكن لا يعني أن المترجم التحصيلي يتوقف عندها وحدها، بل كلما سنحت له الفرصة للتظاهر بالتفلسف اغتَنَمها ليخفي عجزه الفلسفي، فيلجأ إلى الطرق الأخرى مثل الطريقة الحرة بمراتبها المختلفة، ولهذا قد نجد في الترجمة

---

[28] أنظر محمد أركون، الفكر العربي، ترجمة عادل العوا، منشورات عويدات، بيروت–باريس، ط3، 1985، ص7و8.

[29] فقه الفلسفة ج1، مصدر سابق، ص304.

[30] المصدر نفسه، ص304.

الفلسفية الواحدة مستويات نقلية مختلفة، وإن غلب بعضها على البعض الآخر، نظرًا لتفاوت مستويات التمكن من الحقائق الفلسفية المنقولة[31].

فصاحب الترجمة التحصيليةّ، إذن يُبقي على التعارض بين أوصاف الفلسفة التقليدية وخصائص الترجمة، حيث كان المطلوب منه السعي إلى رفع هذا التعارض؛ وأنّه يحرص على نقل كل الحقائق الواردة في النص الفلسفي، حيث كان يتعين عليه حذف بعضها على الأقل؛ أضف إلى ذلك تشدده في نقل كل أشكال التعبير اللفظية والتركيبية الواردة في هذا النص، حيث كان مُطالباً بتغيير بعضها على الأقل، ويرجع السبب في ذلك في أنّه اتخذ من النص الفلسفي الأصلي موقف المتعلم الذي يريد أن يُحصل ما فيه، كطالب العلم الذي يُقْبِلُ على تعلم ما يُلقن تلقينًا، فلا ينظر فيه ولا يسأل عنه؛ «فالمترجم التحصيلي إذن هو الذي ينقل النص الفلسفي على مقتضى التحصيل، لا فارق بينه وبين المتعلم إلا أنّ هذا يتلقى تعلمه بقصد التمكن فيه، وهو يتلقاه بقصد تمكين المتلقي منه»[32].

ومما سبق يتضح أنّ التعارض الكلي بين الصفات الأصلية للعمل الترجمي والصفات التقليدية للفلسفة المنقولة، يؤدي إلى العجز عن ممارسة التفلسف بما يتلاءم وصفات الترجمة، كما أن النقل الكلي للأصول والفروع الفلسفية للنص المنقول منه، يؤدي إلى تقليد طريقته في التفكير، وأنّ التوجه أو الهمّ اللغوي بصيغها وتراكيبها يحمل على تقليد طريقتها في التعبير، فيلزم من ذلك كله، وجود آفات في الترجمات التحصيلية يكون ضررها على قدرة المتلقي في التفلسف، بحسب درجة اختلاف طريقة لغته في التعبير والتفكير عن طريق اللغة المنقولة فيهما، فكلما كان الاختلاف كبيرًا بين اللغتين الناقلة والمنقولة، كان ضرر الترجمات أشد، وإن كان ضعيفًا، كان هذا الضرر أخف[33]، ولا أدل على ذلك من الترجمات العربية للنصوص اليونانية القديمة، فمعلوم

---

[31] المصدر نفسه، ص305.

[32] المصدر نفسه، ص305.

[33] المصدر نفسه، ص305.

أنّ اللغة العربية تتميّز بخصائص تبليغية تختلف اختلافًا كبيرًا عن خصائص لغة المنقول الإغريقي، فلما قام المترجم بترجمة هذه النصوص إلى اللغة العربية ترجمة تحصيلية نتج عن ذلك آفات جمة، أصابت النقل العربي للعبارات الفلسفية الإغريقية كان لها أشد الإضرار بقدرة المتلقي على التفلسف، وأخص آفة يمكن أن تتمثلها هي آفة التطويل كما توضَّح لنا في الفصل الأوّل.

والتطويل عبارة عن زيادة التعبير الملفوظ على المضمون المطلوب، بحيث يؤدي إلى تبعيد الطريق إلى إدراك هذا المضمون، وأكبر شاهد على آفة التطويل ما وقعت فيه بعض الترجمات العربية للمنقول الفلسفي التقليدي، حيث تم إيراد معاني النص الأصلي، سواء أُحسِنَ فهم هذه المعاني أو لا، في تراكيب ملتوية تبتعد عن المقتضيات النحوية للتركيب العربي السليم[34].

وإذا وُضع، بحسب طه عبد الرحمن، في الاعتبار ثلاث حقائق تاريخية خاصة بالترجمات العربية، وهي الاختلاف في قوة الترجمة، وضعف بعض المترجمين، والاعتقاد في الاستقلال المضموني عن لغته الأصلية، يمكننا تصور حرص المترجم التحصيلي الشديد على أن ينقل المضامين الفلسفية نقلاً تقترب عبارته في تركيبها أشد ما يكون الاقتراب من عبارة الأصل الإغريقي–الأوربي، فتحاكيها في عناصرها عددًا وشكلاً و ترتيباً،[35] إضافةً إلى زيادة في اللفظ الذي يؤدي إلى الاخلال بفائدة النص المنقول فيتطرق إليه اللغو والابهام[36].

إنّ غالبية المترجمين التحصيليين وقعوا، بسبب قلة زادهم وقصور تصورهم لعلاقة اللغة بالفكر، في المطابقة بين بنية الجملة العربية والجملة اليونانية، فجاءت تراكيب ترجماتهم مطولة بشكل شنيع، بحيث أخلّت بالقواعد النحوية؛ كما أنهم وقعوا، بسبب قصور فهمهم لعلاقة اللغة بالتداول، في المطابقة بين بنية المعرفة العربية الإسلامية، و بنية المعرفة الإغريقية، فجاءت

[34] المصدر نفسه، ص306.

[35] المصدر نفسه، ص307.

[36] المصدر نفسه، ص310.

ترجماتهم تحمل مضامين مطولة أيّما تطويل أخلّ بقواعد الإفادة العلمية؛ وإذا اجتمعت هذه الآفات في نص واحد، فإنّه لا محالة يبلغ الغاية في الاستغلاق، الذي سينتج عنه مظهران من مظاهر التكلف الضار، أحدهما إرهاق الفكر، أو قُل بتعبير ابن تيمية إتعاب الأذهان[37]، والثاني إهدار الوقت، أو بتعبير ابن تيمية تضييع الزمان[38].

ومما سبق، يمكن أن نستنتج أن الترجمة التحصيلية تنشغل بترجمة النص الأصلي جملة وتفصيلاً، بتمام أصوله وفروعه، مُفضلة في هذا النقل الجوانب اللغوية على غيرها متجاهلة، بصفة كلية، وغير مبالية بالصفات التي من شأنها أن تجعل الفلسفة فكرًا حيًا متوافقا مع مقتضيات الترجمة، وهو الذي يؤدي إلى وقوعها في آفة التطويل، بسبب ما يتطرق إلى عباراتها من سقم في التركيب وحشو في المضمون، وهذا الأمر يجعل المتلقي يبذل جهوداً مضنية لاستيعاب النص المنقول، صارفا أطول الأوقات لتقليب هذا النص على مختلف الوجوه لكي يظفر منه على أقل الفوائد، التي لا تناسب بينها وبين أوسع الجهود وأضناها والتي قد بذلها من أجلها[39].

### 4.3 الترجمة التحصيلية لجملة الحبابي:

لقد تُرجم كتاب الحبابي المعلوم إلى العربية بعنوان "من الكائن إلى شخص" في 1963، وهو ثمرة تدريس الحبابي لمضمون هذا الكتاب لطلابه، ونص ترجمة الجملة التي نحن بصدد النظر فيها، كما جاءت في الترجمة كالآتي: «إنّ هيدغر يجعل من فكرة "الكائن–في– العالم". ظاهرة

[37] ابن تيمية، الرد على المنطقيين، تحقيق رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص56.
وكذلك جلال الدين السيوطي، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007، ص183.

[38] فقه الفلسفة ج1، مصدر سابق، ص320.

[39] المصدر نفسه، ص328.

تأسيسية للحقيقة البشرية»، وقد اعتبرها طه عبد الرحمن ترجمة من الضرب التحصيلي التعليمي لما تتضمنه من مظاهر التطويل اللغوي الكثيرة:[40]

أ. استعمال الجملة الاسمية مكان الجملة الفعلية، وكان يفترض أن يعكس المترجم الأمر، لأنّ مدار الكلام ليس على هيدغر، بل على مسألة العالم وارتباط الإنسان به، ولا يخفى أنّ الجملة الإخبارية العادية، في اللغة العربية، هي الجملة الفعلية، فكان لابد أن تكون الجملة بهذا الشكل: «يجعل هيدغر...»، إلا أن المترجم وقع في صرف انتباه المتلقي إلى شخص هيدغر.[41]

**ب.** استعمال التعبير الملتبس بدل التعبير الواضح؛ لقد وقع استعمال المفهوم المركب "الحقيقة البشرية" في مقابل "la réalité humaine" وهو استعمال مردود، بحسب طه عبد الرحمن، من وجهين:

**أولاً**، المتداول في نقل المفهوم الفرنسي la réalité هو الواقع وليس الحقيقة، فيحسن أن يقال الواقع البشري، **ثانياً**، أنّ العبارة العربية "الحقيقة البشرية" صيغة ملتبسة، فهل تفيد هذه العبارة معنى "الماهية الإنسانية"؟ ومعلوم أنّ الماهية تقابل كلاً من مفهوم "الوجود" و"التحقق" و"الواقع"، فتقع هذه الترجمة بذلك في آفة نقض مقصود هيدغر؛ فالمراد هو واقع الإنسان وليس ماهيته الصورية، ولهذا كان لابد أن تكون الجملة كالآتي: «يجعل هيدغر من فكر الكائن في العالم ظاهرة تأسيسية للواقع الإنساني».[42]

**ج.** استعمال التعبير المركب بدل اللفظ البسيط، فالأصل الألماني الذي استُعملت العبارة الفرنسية la réalité humaine في مقابله هو لفظ Dasein وليس هو die Menschliche réalität، أو غيرها من العبارات المطولة وقد استعمل الفيلسوف الفرنسي"سارتر" هذا اللفظ المطوّل في كتابه "الوجود و العدم"، وكان من المفروض على الحُبابي أن يطلب الأصل الألماني لا

[40] الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، مصدر سابق، ص154.

[41] المصدر نفسه، ص154.

[42] المصدر نفسه، ص154.

الترجمة التحويلية السارترية، فيجري عليها هو بدوره ترجمة تحويلية تليق به وبمجاله التداولي، كأن ينقلها بلفظ واحد وهو الإنسان، فتصبح الجملة كالآتي: «يجعل هيدغر... للإنسان»[43]، وقد لاحظ طه عبد الرحمن أن ترجمة عبد الرحمن بدوي لمفهوم Dasein بلفظ "الآنية "، والتي هي تعريب لفعل الكينونة اليوناني "einai" والتي وردت عند أبي البركات البغدادي بمعنى الوجود في مقابل الماهية، قد تُستبدل مكان الحقيقة البشرية، فيصبح القول: «يجعل هيدغر... للآنية»[44]

**د.** استعمال اسم الفاعل مكان اسم المصدر في الترجمة العربية: «الكائن في العالم» في مقابل l'être –dans- le monde، ذلك لأنّ l' être هي تفيد، بحسب طه عبد الرحمن، اسم المصدر وذلك بالرجوع إلى الأصل الألماني "in –der-welt-sein " التي تدل على المصدرية، فتأتي الجملة كما يلي: «يجعل هيدغر من فكرة الكينونة في العالم ظاهرة تأسيسية للآنية».

**هـ.** استعمال النسبة إلى المصدر بدل اسم الفاعل في عبارة «ظاهرة تأسيسية»، مما يجعلها تقع في الحرفية الشديدة، فالمقصود هو ذكر فاعلية التأسيس وليس مجرد النسبة إلى التأسيس، فتكون صيغة اسم الفاعل المؤسس أنسب، وإذا كان اللفظ الفرنسي constitutif لا يُفيد معنى "المؤسس" بل معنى المكوِّن أو المقوِّم (أي ما به قوام الشيء)، فتصير صيغة الترجمة العربية هي: «يجعل هيدغر من فكرة الكينونة في العالم ظاهرة مُؤسسة للآنية»[45].

ومما تقدّم، يمكن القول إنّ الأخذ بالطريقة التحصيلية التعلمية في ترجمة جملة الحبابي إلى العربية بطولها، بما جعلها تدخل عليها آفات مختلفة، منها استعمال الصيغة التعبيرية بخلاف مقتضاها المقامي، واستعمال التعبير المركب حيث قد يُكتفى بأبسط منه، ومنها الوقوع في اللبس

---

[43] المصدر نفسه، ص155.

[44] المصدر نفسه، ص155.

[45] الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، مصدر سابق ص156.

أو الوقوع في إضعاف المعنى، وأشُدها إخراج الأصل إلى نقيض مقصوده، مع أن المترجم التحصيلي (المتعلم) يريد، بالتزامه الحرفية اللفظية، الوقوف على تمام المقصود[46].

**ملاحظة: الجزء الثاني في العدد القادم بحول الله**

[46] المصدر نفسه، ص156.

## قائمة المصادر المراجع

القرآن الكريم

### أولاً قائمة المصادر

1. طه عبد الرحمن فقه الفلسفة ج1، الفلسفة و الترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط1، 1995.
2. فقه الفلسفة ج2، المفهوم والتأثيل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط1، 1999.
3. اللسان والميزان، التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط11، 1998.
4. الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط،1، 2002.
5. تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط3، 2007
6. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– بيروت، ط2، 2000.
7. سؤال المنهج، المؤسسة العربية للفكر والإبداع، بيروت، ط1، 2015.
8. (2003) حوارات من أجل المستقبل، دار الهادي، بيروت، ط1، 2003.

### ثانياً المراجع باللغة العربية:

9. التوحيدي، أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، سلسة الأنيس، موفم للنشر، الجزائر،1989، ج1.
10. الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف، مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1989.

11. الجاحظ، أبو عثمان، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، ط1، 1996، ج1.
12. جلال الدين السيوطي، صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2007.
13. ابن تيمية، الرد على المنطقيين، تحقيق رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1993، ج2،
14. ابن حزم الأندلسي، التقريب لحد المنطق، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1938، الجزء الرابع.

**ثالثاً المراجع باللغة الأجنبية:**

15. (1999) Antoine Berman, la traduction et la lettre, Ed. Seuil, Paris, 1999.

# بحوث في

# الحضارة العربية الإسلامية

# ابـن رشد
## الفيلسوف العربي المسلم العظيم
## الذي زرع بـذور النـهضة الأوربـية

**د. يعرب نبهان**[1]
الجمهورية العربية السورية

أنتج الأندلس بعضاً من ألمع العقول الفكرية في العصور الوسطى. أحدهم كان ابن رشد، الذي يُعتبر عالمياً من أعظم فلاسفة الإسلام والعرب. يتمتع عمله الفلسفي باعتراف عالمي باعتباره تأثيرًا رئيسيًا في الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى وعصر النهضة. وفي الواقع، استمر تاريخ نفوذ الرشدية الجوهري حتى نهاية القرن السادس عشر وما بعده. كان ابن رشد أيضًا طبيبًا بارزًا، لكن أعماله الفلسفية والقضائية غطت إلى حد ما أعماله الطبية على الرغم من أن بعضًا منها كان يتمتع أيضًا بالكثير من الاحترام والتأثير.

الفيلسوف والطبيب والقاضي الأندلسي ابن رشد (1126–1198) هو أحد أعظم رموز الفلسفة في الحضارة الإسلامية، ومصدر أساسيٌّ للفكر الأوربي ما بعد الكلاسيكي.إن السمات المميزة لعمل ابن رشد هي قناعاته بأن الفلسفة قادرة على إثبات اليقين في العديد من المجالات، وأن أرسطو هو المرشد الأبرز في الفلسفة، وأن الفلسفة يجب أن تؤديَ دورًا مركزيًا في البحث الديني،

[1] الباحث من سورية –يحمل شهادة ماجستير ودكتوراة من بريطانيا– نال جائزة مدحت عكاش الأولى في الدراسات التاريخية ببحث بعنوان "سومر وصفحات مجهولة من تاريخنا القديم" عام 1994

بدلاً من أن تكون بديلاً من الدين. لكن جزءًا مما يعطي أفكاره اهتمامها الدائم هو الطريقة الخفية التي يروج بها لطرق أخرى للتفكير والإقناع في أمور لا تكون فيها قسوة الإثبات الأرسطي خيارًا عمليًا. إنّ فهم فكر ابن رشد بالكامل يتطلب الاهتمام ليس فقط بالتعليقات الأرسطية حيث يحاول تطوير الفلسفة كعلم توضيحي، ولكن أيضًا في مجالات مثل الدين والطب والقانون، حيث تتطلب جدلية أخرى وتقنيات بلاغية. وسرعان ما حقق ابن رشد مكانة بارزة في الفكر الأوربي اللاحق لمنافسة تأثير أرسطو نفسه، الذي دافع ابن رشد عن أعماله بلا كلال.

**نشأته وتربيته**

ولد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، المعروف في الغرب اللاتيني باسم Averroes في قرطبة عام 1126م. ينتمي إلى عائلة أندلسية مرموقة من العلماء، وكان من الجيل الثالث من نَسْلها وشغل منصب القاضي، ومن أبرز الشخصيات في الحضارة العربية الإسلامية. وعُرف باسم "أمير العلم"، أستاذ الفقه والرياضيات والطب، وقبل كل شيء الفلسفة. سليل عائلة قرطبية ذات نفوذ، تشتهر بسلطتها القضائية وبحوثها في العلوم الدينية. كان والده قاضيًا بارزًا، لكن أهم شخصية في الأسرة كان جده، الذي يحمل أيضًا اسمه ابن رشد، لذلك يُدعى الفيلسوف "الحفيد" لتمييزه عن جدّه (الجد). كان هذا الأخير قاضيًا معروفًا وفقيهًا مشهورًا، فقد ألّف العديد من الكتب في الفقه بعد المدرسة المالكية.

شغل والده المنصب عينه وابن رشد عُيِّن قاضيًا لإشبيلية. وهناك التقى بالطبيب الأكثر نفوذاً في عصره، ابن زهر، الذي ربما ساهم في تدريبه الطبي كطبيب. كتب ابن رشد بعض الأعمال الأصلية في الطب إضافة إلى تعليقات على العديد من الأعمال الطبية لجالينوس فضلاً على تعليق على قصيدة الرجاء لابن سينا.

لم يكتب ابن رشد سيرة ذاتية، ونتيجة لذلك فإن العديد من جوانب حياته غامضة. وتتفق المعلومات المستخلصة من كتب سيرته بالإجماع على حسن سلوكه، واجتهاده في العلم، وعدله قاضيًا، مع ملاحظة اهتماماته بالفلسفة وتبنيه لبعض الآراء الجريئة" وتخبرنا المصادر التاريخية

الكثير عن أساتذته في العلوم الدينية، لكن باستثناء الطب. ولا نعرف سوى القليل عن أولئك الذين علموه في مجالات أخرى. لم يكن بالتأكيد تلميذًا لأي من معاصريه الأندلسيين المشهورين، ابن باجة أو ابن طفيل، برغم أنه قرأ أعمالهم الفلسفية (Steven, 1985,p 23)[2]

ونظرًا للمكانة الاجتماعية لعائلته، سرعان ما وجد ابن رشد نفسه في الدوائر الحاكمة لمراكش وقريبًا من الأمراء، أو على الأقل بعضهم، في الأندلس. انخرط في نقاشات حول القضايا الفلسفية واللاهوتية مع هذه الدائرة المقربة، وهناك سجل لقاء مع أبي يعقوب يوسف (1163–1184 م)، الحاكم الموحد الثاني، الذي طلب رسميًا من ابن رشد التعليق على أعمال أرسطو وجعلها قابلة للوصول.

أنتج القرن الثاني عشر بعضًا من أبرز علماء الأندلس مثل ابن باجة وابن طفيل وموسى بن ميمون الذين كان لهم تأثير كبير على أوربا في الفكر في العصور الوسطى. ومع ذلك، فإن ابن رشد الذي يقال إنه لم تَفُتْهُ القراءة أو الكتابة إلا يوم زواجه ويوم وفاة والده، كان يلقي بظلاله على كل منهم.

درس ابن رشد الشريعة الإسلامية على طريقة الأشعرية، وتخرج في الفقه على مذهب الإمام مالك، ولهذا يوجد شبه بين آرائه الشرعية والفقهية وبين ميوله الفلسفية. أما الطريقة الأشعرية فقد اختارها أهله وأولياؤه، والمذهب الشرعي يلزم باتباعه على ما كان أبوه، أما المبدأ الفلسفي الذي خدمه فهو الذي اختطه لنفسه بإرادة حرة، وقد يكون للطريقة التي درس بها الفقه والمذهب الذي تبعه أثر في أفكاره الفلسفية لا يمكن تحديده.

لما بلغ ابن رشد الثامنة والعشرين من عمره سافر إلى مراكش، وقصد إلى بلاط الخليفة عبد المؤمن ثاني أمراء الموحدين، ولما توفي عبد المؤمن وخلفه ولده يوسف تفضل ابن طفيل الفيلسوف الشهير، فقدم ابن رشد لعظمته، وكان يوسف يحب العلم والعلماء ويعظم الحكمة ويكرم

[2] Harvey Steven, 1985, "The Hebrew Translation of Averroes' Premium to his 'Long Commentary on Aristotle's Physics'", Proceedings of the American Academy for Jewish Research, 52: 55–84. doi:10.2307/3622702.

الحكماء. وكانت لابن طفيل عنده حظوة كبرى، وروى عبد الواحد المراكشي عن ابن رشد نفسه وصْف المقابلة الأولى بين الحكيم والأمير، وفيها أن ابن طفيل أسرَّ إلى ابن رشد رغبة الخليفة يوسف في نقل حكمة أرسطو. ولعله كان يرمي بذلك لأن يكون في الغرب كما كان المأمون في الشرق. ويظهر أن ابن طفيل كان من أكرم الناس خلقًا وأوسعهم صدرًا وأخلصهم حبًّا للحكمة، فإنه شمل ابن رشد بعطفه، فذكره في رسالة «حي بن يقظان» تلميحًا عند ذكر ابن باجه وأتباعه ومن خلفهم من الفلاسفة، فضلًا على أنه قدمه ليوسف وأوصاه به، فلما توفي ابن طفيل عينه الأمير طبيبًا لنفسه. (ابن طفيل، 1961، ص 220)[3]

ولما خلا منصب القضاء في قرطبة عينه مكان أبيه، ولما توفي يوسف وخلفه ولده يعقوب المنصور بالله كانت حظوة ابن رشد عنده عظيمة، فقربه ورفع الكلفة بينهما إلى درجة أن ابن رشد كان يخاطبه أثناء الحديث قائلًا: اسمع يا أخي!.ولما كانت صداقة الملوك أسرع تقلبًا من الجو، وأقصر عمرًا من لذيذ الرؤى، فقد انقلب يعقوب على ابن رشد في حديثٍ طويل. أما سبب النكبة فمختلف فيه، وقد عللها المؤرخون بعلل شتى، ولكن السبب الحقيقي واحد، وهو أن كل حكيم ذي مكانة يكثر أعداؤه وحُسّاده الذين يغارون من شهرته وينقمون عليه علو كعبه وترفعه، وهؤلاء الحساد والمقاومون يظهرون تارة باسم الدين، وطورًا باسم الأخلاق والفضيلة، وتارة باسم السياسة. والحقيقة أنهم أعداء شخصيون للرجل العظيم. اكتسب ابن رشد تعليمه داخل الأسرة، متفوقًا في الدراسات القرآنية والفقه واللاهوت والتقليد. وإضافةً إلى ذلك، أصبح ضليعًا في علم الفلك والأدب والرياضيات والموسيقا وعلم الحيوان، لكن أبرز إنجازاته كانت في مجالات الطب والفلسفة.

---

[3] ابن طفيل (1961) تيسير شيخ الأرض، الطبعة الأولى، دار الشرق للنشر والتوزيع، بيروت

## أعمال ابن رشد

ظل ابن رشد منتجًا لمدة أربعة عقود على الأقل. لقد كان مؤلفًا لمجموعة كبيرة تشمل الطب والمنطق والفلسفة في جميع فروعها، ويشمل ذلك الفلسفة الطبيعية وعلم الفلك والميتافيزيقا وعلم النفس والسياسة والأخلاق. وتشمل أعماله أيضًا علوم الدين الإسلامي: الفقه، وأسس الشريعة الإسلامية (أصول الفقه)، وأسس الدين (أصل الدين)، وعلم اللغة العربية، بما في ذلك من القواعد. هذه الأعمال، التي يبدو أن تأثيرها ضئيل في الفكر الأوربي في العصور الوسطى، كان يُنظر إليها تقليديًا على أنها "لاهوتية" وتتناقض مع أعماله المفترضة "الفلسفية": التعليقات على أرسطو التي انتشرت في جميع أنحاء أوربا في العصور الوسطى وعصر النهضة بالترجمة اللاتينية. التي كان يُعتقد أنها توضيحية كانت مجرد ديالكتيكية، ومن ثم فهي تستهدف جمهورًا شعبيًا. وفقًا لذلك، كان من المفترض البحث عن موقف ابن رشد الحقيقي في هذه التعليقات الأرسطية.

تلقى ابن رشد تعليمه في البداية في الشريعة الإسلامية وعلم الدين، وطور حياته المهنية التي ركزت أيضًا على دراسة الفلسفة والطب وعلم الفلك وعلوم أخرى من التقاليد اليونانية. وشغل ابن رشد منصب قاضٍ في محاكم إشبيلية وقرطبة ومراكش، وأيضًا كطبيب رئيسي في عهد الموحدين، سلالة شمال إفريقيا التي حكمت الأندلس وشمال إفريقيا بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر. ولخص وعلق على معظم الأعمال الفلسفية والمنطقية لأرسطو والأعمال العلمية للعديد من المؤلفين الآخرين، سواء اليونانيين (أفلاطون، بطليموس، إقليدس، جالينوس) والإسلامي (الفارابي، ابن سينا، الغزالي، ابن باجة).

في عام 1153م، كان ابن رشد في مراكش حيث تعرف بالفيلسوف والفلكي ابن طفيل الذي شغل منصب طبيب البلاط. في عام 1168م، قدم ابن طفيل ابن رشد لأبي يعقوب يوسف، الحاكم الموحد الذي كان مهتمًا بالفلسفة والفلك والطب. أثار الخليفة عليهم مسألة الخلود أو خلق

العالم. ظل ابن رشد هادئًا في البداية، لكنه في النهاية انضم إلى المحادثة وأثار إعجاب الخليفة بتألقه.

اقترح ابن طفيل أن يعلق ابن رشد على أعمال أرسطو بناءً على طلب الخليفة الذي اشتكى كثيرًا من ظلام فلسفة الإغريق والترجمات العربية المتاحة. تولى ابن رشد هذا العمل عندما تولى القضاء أولاً في إشبيلية عام 1169 ثم في قرطبة عام 1180. في عام 1182، خلف ابن طفيل في منصب كبير الأطباء لأبي يعقوب يوسف. ولكن في نهاية القرن الثاني عشر اجتاحت الأندلس موجة من التعصب، وفي عام 1196 تم نفي ابن رشد وعزله في مدينة لوسينا بالقرب من قرطبة. تم حظر أعماله الفلسفية وكان قد تم إعادة تأهيله قبل أشهر قليلة من وفاته عام 1198.

وبسبب قوانين الرقابة في ذلك الوقت، فقد بعض أعماله عن المنطق والميتافيزيقيا. لقد نجا الكثير من أعماله فقط من خلال الترجمات العبرية واللاتينية وليس باللغة العربية الأصلية. كتب ابن رشد أكثر من 100 عمل، ويشمل ذلك الأعمال الأصلية وتعليقاته على معظم أعمال أرسطو وجالينوس وتعليقه على أفلاطون.

كان أرسطو هو نموذجه الفلسفي وشغله تعليقاته على أعمال أرسطو طوال حياته لدرجة أنه عُرف باسم "المعلق". كتب ثلاثة أنواع من التعليقات على أعمال أرسطو تتوافق مع مراحل مختلفة من حياته. كانت القصيرة منها ملخصات موجزة (الجامع) جمعت في مرحلة مبكرة، ومعظمها بين 1160 و1170. وكانت الوسيطة عبارة عن إعادة صياغة. (فروخ، عمر، ص45 (1965)[4]

[4] فروخ، عمر (1965) الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة الفلسفية المختصرة وتاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، القاهرة.

## المنطق عند ابن رشد

يتضح الطابع العام لفلسفة ابن رشد من خلال صورته الشاملة للمنطق على نطاق واسع، فهو يفهمها على أنها دراسة الشروط والقواعد التي توجه العقل بشكل صحيح نحو مفهوم الجواهر والموافقة على الافتراضات. يتلألأ ابن رشد بملاحظة أرسطو الشهيرة القائلة بأن "من سمات الشخص المتعلم السعي إلى المستوى المناسب من الدقة في أي استفسار"، يوضح أن المتعلم هو "الشخص الذي تلقى تعليمه في فن المنطق.

مماشاةً لنهج أسلافه، قسّم ابن رشد العمليات المنطقية إلى خمسة أنواع من الحجة: برهانية، وديالكتيكية، وبلاغية، وشاعرية، ومضللة. ولا يجري تمييز هذه الاستنتاجات بأشكالها، التي هي نفسها، ولكن من خلال مادتها، أي من خلال مقدماتها. إن مقدمات الحجج التوضيحية ضرورية ومقدمات الحجج الديالكتيكية مقبولة بوجهٍ عام، تُقْبَل مقدمات الخطاب عمومًا، ومقدمات الحجج الشعرية خيالية ومقدمات الحجج السفسطائية خادعة.

وفي نظر ابن رشد، فإن مركز المنطق وهدفه بالذات هو الإثبات، لأنه الإجراء الوحيد الذي يؤدي إلى اليقين في الفلسفة: إنه أفضل أنواع التأمل باستعمال أفضل أنواع الاستدلال (القياس). ووفقًا لذلك، حتى في سياق جمهورية أفلاطون، يبدأ تعليقه بإعلان أن هدفه هو "تجريد مثل هذه الحجج العلمية المنسوبة إلى أفلاطون كما هي واردة في الجمهورية عن طريق إزالة حججها الديالكتيكية منها. ومع ذلك، هذا لا يعني أن الحجج غير البرهانية عديمة الفائدة. وبوجهٍ عام، عندما يكون نوع من الحجة غير فعال، يجب استعمال أنواع أخرى من الحجج. يقدم الديالكتيك طريقا نحو البرهان والعلم، وهو قريب منه برغم عدم يقينه. ويساهم الخطاب، من خلال نماذجه وأنماطه، في تعزيز الأدلة البرهانية والترويج لها. إن دراسة المنطق السفسطائي مفيدة في تقييم الأساليب الجدلية الخاطئة لعلماء الدين (المتكلمين، أي ممارسو الكلام).

ونظراً لمكانة التظاهر الرفيعة، اعتبرها ابن رشد باهتمام كبير في شروحه. خَصَّص خلاصة وافية، وإعادة صياغة وتعليقًا طويلًا على التحليلات اللاحقة –التي يسميها كتاب التظاهر (كتاب

البرهان) –وكتب أطروحات منفصلة حول قضايا خاصة مختلفة. ولعل التعليق الطويل هو أنسب نص لمواقفه من مكونات البرهان وأنواعه ودوره في إنتاج المعرفة العلمية. هذا الشرح هو أيضًا مناسبة لتفاعل نقدي وحاد مع المراجعين الإسلاميين في المنطق قبله، الفارابي وابن سينا.

حماس ابن رشد للتظاهر لا يمنعه من تقدير الفنون المنطقية الأخرى، وكان مهتمًا بوجهٍ خاص بمكان الديالكتيك. عمومًا، ووفقًا لأرسطو، للديالكتيك ثلاثة استعمالات رئيسية: كتدريب فكري، وكطريق إلى العلوم التوضيحية للفلسفة، وكوسيلة للتحدث مع الناس العاديين موضوعات مختلفة لكن ابن رشد يخصص مساحة أقل ويظهر اهتمامًا أقل بهذه السمة الثالثة للديالكتيك، ويتساءل المرء عما إذا كان هذا بسبب رد فعله النقدي على الممارسات الخطابية للمتكلمين، على الرغم من الاعتبارات العديدة التي تجعل الديالكتيك أكثر ملاءمة عند التعامل مع الناس العاديين. (سلوم، توفيق. 1984، ص67)[5].

في عالم الفقه، اشتهر ابن رشد بموقفه من القيمة المنطقية والمعرفية للاستدلالات الفقهية، والتي لا تنتج في نظره سوى رأي، وحتى عند مواجهة الإدخال المفاجئ لكلمة الفقه في الترجمة العربية للتحليلات السابقة، اختار ابن رشد تجاهلها تمامًا. في كتاباته الفقهية، ينكر صراحة دقة مصطلح القياس لما اعتاد الفقهاء تسمية استنتاجاتهم الفقهية بـ (المقاصد الفقيه أو القياس الشرعي). عندما يتحدث الفقهاء عن القياس، من المهم أن ندرك أن المصطلح يحمل معنى مختلفًا تمامًا. وعلى وجه الخصوص، وخلافًا لما يحدث في القياس المنطقي، فإن قياس الفقهاء لا يملك القوة لاستنتاج المجهول من المعلوم. وحتى في الحالات التي يبدو فيها أن ابن رشد يقبل الاستدلال الفقهي، فإنه لا يستعمل المفردات المنطقية، بل يستعمل بدلاً من ذلك المصطلحات التي استعملها معظم الفقهاء قبله. وبدلاً من الانخراط في "القياس المنطقي" للاستدلال القانوني، فإنه يركز على الأصول الدلالية واللغوية للقواعد القانونية. لكل علم خصائصه عند ابن رشد.

[5] سلوم، توفيق (1984) معجم علم الأخلاق، دار التقدم، موسكو

لذلك فإن من حاول دراسة المنطق أثناء دراسته للفقه يفشل في دراسة كليهما. (لطفي، محمد جمعة. 1978، ص 34)[6]

## النفس عند ابن رشد

في التقليد الأرسطي، يفترض ابن رشد نوعًا خاصًا من الشكل الجوهري –الروح –لتفسير المواد الحية. حتى في الحالة العادية للنباتات، تتطلب تعقيدات عملياتها مبدأ خاصًا يتجاوز ما يمكن أن يكون مناسبًا للأشياء غير الحية: التغذية، على سبيل المثال، "تُنسب إلى الروح لأنه من المستحيل أن تُنسب إلى قوى العناصر. تميز نظريته في عمليات الروح، بشكل أساسي، بين المستويات الغذائية والحسية والعقلانية. انطلاقا من مصطلحاته المرنة، لا يرى أي فرق حقيقي بين معاملة هؤلاء كأرواح مختلفة داخل كائن حي واحد أو كأجزاء من روح واحدة –أجزاء توصف بأنها قوة (قوة) أو مبدأ (مبدع). انطلاقًا من صيغته المختلفة، يعتقد أنه لا يمكن أن تكون هناك قائمة محددة لعدد قوى الروح هذه. السؤال الذي يعتبره ذا مغزى هو ما إذا كانت القوة مميزة فقط من حيث وظيفتها، أو أيضًا من حيث ركيزتها –على حد تعبيره، ما إذا كانت "تختلف عن القوى الأخرى في الموضوع وكذلك في النية أو فقط عن قصد. كل من الحواس الخارجية الخمسة، على سبيل المثال، لها موضوعها الخاص، عضو حسي، في حين أن بعض العمليات الحسية العليا لها أعضاء مخصصة، في الدماغ، في حين أن العمليات الأخرى، مثل التذكر والاختيار، هي مجرد وظائف تنتجها قوى متعددة تعمل جنبًا إلى جنب. إن مسألة "الذات" هذه محيِّرة بوجهٍ خاص لقوى العقل.

مُماشاةً لـِ توجهه الطبيعي الواسع، يسمح ابن رشد للدماغ بحصة أكبر بكثير من الحمل المعرفي أكثر مما وجده المرء في معظم الفلاسفة ما قبل الحداثة. لكن "الثمار" التي تنتجها هذه القوى الجسدية هي دائمًا تمثيل لشخص معين. يتطلب التفكير بشكل تجريدي –للحصول على مفاهيم عالمية– قوى العقل، وهنا حيث تنتهي طبيعته بشكل سيِّئ. على الرغم من أن ابن رشد

[6] لطفي، محمد جمعة، (1984)، تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب.

يستعمل مجموعة متنوعة محيرة من المصطلحات لجوانب مختلفة من الفكر، فإنه يؤيد في النهاية قوتين فكريتين فقط متميزتين في الوظيفة والموضوع.

أما رأي ابن رشد في النفس فهو يقول بأنها متصلة بالجسم اتصال الصورة بالمادة، وهو يخالف ابن سينا في قوله بنظرية النفوس المتعددة في الخلود؛ أي خلود النفوس جملة؛ لأن النفس لا وجود لها إلا مكملة للجسم المتصل بها. ومجمل آراء ابن رشد في علم النفس تتفق مع آراء أرسطو وتخالف جالينوس، ولا يخالف أرسطو إلا في نظرية واحدة وهي نظرية أرسطو في «نوس»، فإن ابن رشد يخالفه مخالفة على غير أساس مستمدًّا آراءه من الأفلاطونية المستحدثة، على ما فيها من التناقض لمذهب أرسطو في جملته.

أما قوله في العقل فغايته أن العقل المتأثر هو عقل الأفراد، وهو قابل للزوال، والعقل الأزلي هو عقل الإنسان بوصفه جنسًا، ووظيفة العقل الفعَّال تقديم الصور النفسية بهيئة مقبولة للعقل المنفعل فيتقبلها ويدركها.

ظن كثيرون من فلاسفة القرون الوسطى أن ابن رشد قال بوحدة النفوس، وحاولوا الطعن فيه والرد عليه، فقد خيل إليهم أن رأي ابن رشد يؤدي إلى القول بأن النفس العامة تكون عاملة وغير عاملة، وطروبًا وحزينة على التوالي، وفي هذا من التناقض ما فيه. إنما عقيدة ابن رشد في وحدة النفوس كانت ترمي إلى غرض أسمى في نظام الكون، فقد كان يعتقد أن أجزاء الكون متشابهة وذات حياة ووجود لا شك فيهما، وأن الفكر الإنساني في مجموعه نتيجة القوى العليا ومظهر عام للكون بأسره.

ومعنى هذا أن ابن رشد كان يقصد بوحدة النفوس القول بأن الإنسانية تعيش عيشة دائمة، وأن خلود العقل الفعال هو إحياء دائم للإنسانية واستمرار دائم للمدنية. وهنا نلفت نظر الباحثين إلى الاتفاق التام بين هذا القول وبين نظرية أوجست كومت في خلود الإنسانية وبقائها، تلك النظرية التي أدت به إلى وضع دين الإنسانية، فأقيمت له معابد في بعض ممالك الغرب.

يقول ابن رشد مستمرًا في نظرية وحدة النفوس إن العقل كائن مطلق مستقل عن الأفراد كأنه جزء من الكون. وإن الإنسانية وهي أحد أفعال هذا العقل عبارة عن كائن لازم الوجود أزلي، وإنه بناء على هذا، لا بد من ظهور الفلسفة، وإن وجودها ضروري ليتمكن الفيلسوف من الإشراف على العقل المطلق، وينتج من هذا أن الإنسان والفيلسوف لازمان لنظام الكون. [7](Philoponus, Johannes. 1887)

## إسهامات ابن رشد في الطب

يعتبر الطب بالنسبة لابن رشد فنًا وليس علمًا، يهتم بالممارسة وليس النظرية. وفن الطب هو فن يتصرف على أساس مبادئ صحيحة. نسعى من خلاله للحفاظ على صحة جسم الإنسان والقضاء على الأمراض قدر الإمكان في كل جسم. لذا فإن الهدف من هذا الفن ليس الشفاء دون أن يفشل، بل بالأحرى التصرف بشكل مناسب، بالقدر والوقت المناسبين، أثناء انتظار تحقيق هدفه، كما هو الحال مع فن الملاحة وقيادة الجيش.

وضع كتاب الكليبات، وكانت محتوياته الرئيسية هي الأفكار الأساسية والعامة المتعلقة بالطب، إضافةً إلى جمع ما قاله الأطباء في وقت سابق. يتكون العمل من سبعة كتب: كتاب التشريح، وكتاب علم وظائف الأعضاء، وكتاب علم الأمراض، وكتاب الأعراض، وكتاب علم الأدوية، وكتاب النظافة وكتاب العلاج.

الكتب الأربعة الأولى هي كتب نظرية بشكل أساسي، في حين أن الكتب الثلاثة الأخرى أكثر عملية، حيث تقدم مزيجًا من أفكاره الفلسفية النظرية مع الأفكار العملية المميزة للطبيب الذي مارس هذا الفن. ويتضح هذا بوجهٍ خاص في الكتاب الأخير عن الدواء، الذي يخبرنا أيضًا عن الأدوية الفعلية التي تم تطويرها في الأندلس في ذلك الوقت.

[7] Philoponus, Johannes (Ioannis Philoponi, d. 570 CE), [CAG 16] 1887, In Aristotelis physicorum libros tres priores commentaria (Commentary on Aristotle's Physics 1–3), (Commentaria in Aristotelem Graeca, 16), edited by Hieronymus Vitelli, Berlin: Reimer.

وترك ابن رشد كتاب مبادئ الطب حيث اعتبر أن الجهاز العصبي ليس كيانًا منفردًا بل مجمعًا من عناصر مختلفة. جرت دراسة تشريح الجهاز العصبي في جزأين: الدماغ والمحيط، حيث يعتبر كل من الجهازالعصبي الدماغي والأعضاء الحسية أعضاء غير متجانسة. ويبني النظام التشريحي دون مراعاة الحركات المحلية للجسم الحي، ومهمة الحواس هي الحفاظ على الاتصال بين الواقع الخارجي وهيكل الكائن الحي. وهذا يتطلب عملية خارجية ونقطة اتحاد وعملية داخلية بحيث يكون الهدف النهائي هو الحفاظ على الصحة في حالة متوازنة وعلاج المرض في الكائن الحي في حالة عدم التوازن.

في مقاربته للتشريح الدماغي، اعتبر أن أهم شيء هو الروح التي على سبيل المقارنة، لا يمكن أن توجد إلا في أعضاء مجوفة. وأكد أن الخيال يقع في البطين الأمامي للدماغ وهو القوة التي تحتفظ بصورة الشيء بعد اختفائه من الحواس. من الواضح أن ملكة التفكير (الفكر) تقع في البطين الإنسي للدماغ، وهذه هي القوة التي تتركنا في حالة جهل حتى نطورها، وهذا هو سبب وجودها في الإنسان فقط.وعلى الرغم من أن ابن رشد لاحظ وجود علاقة مباشرة بين الدماغ والأعصاب التي تتحكم في الأطراف، إلا أنه ادعى أن الدماغ ما هو إلا جنرال يقود قواته ولكنه تابع للملك، الذي يصدر الأوامر المناسبة –ذلك الملك هو القلب –. حيث توصل إلى هذا الاستنتاج على أساس نظرية حرارة القلب وبرودة الدماغ، وهي نظرية مشتقة من الإغريق القدماء. ولأنَّ القلب عضو دافئ، فهو الوحيد القادر على نقل الحرارة المذكورة، أي الطاقة، إلى بقية الكائن الحي. بسبب برودة الدماغ الذي يُترك ليكون مجرد منظم لهذا النشاط القلبي.

تسمح لنا العبارات والتعليقات البسيطة باستشعار عظمة هذا الفيلسوف على سبيل المثال، في معارضة الرأي الشائع بأن الحيوانات تأتي إلى حيث يمكن العثور على الطعام من خلال "التخمين أو الإلهام، أي عن طريق السحر. أثبت ابن رشد أن السبب يكمن في الحساسية الشميِّة الأكثر حدة في هذه الحيوانات أكثر من البشر. فالقوة التي تجعل الحيوان يتحرك هي ملكة التخيل التي تسبقها الرغبة، والتي يتم تفعيلها بعد ذلك. ومع ذلك، يعيد فيلسوفنا التشبيه بالبشر.

فنحن ببساطة حيوانات، وبالتأكيد متفوقون، لكنَّ الفرق كميٌّ وليس نوعيًّا. وإذا كنا نعتقد أن الإنسان يمتلك نفسًا تنبض بالحياة، فإن تلك الروح توجد أيضًا في الحيوانات.تضع الحواس الكائن الحي على اتصال بالعالم الخارجي، وكان الشعور الذي درسه ابن رشد عن كثب هو البصر، الذي يتلقى أشكال الأشياء بالطريقة التالية. أولاً، يستقبل الهواء الأشكال المحسوسة عن طريق الضوء، ليأخذها إلى العين. بعد ذلك، يستقبلهم "الحسي" وينقلهم إلى المخيلة، حيث تحدث عملية التفسير غير المادية تمامًا. ويمكّنه هذا الارتباط من شرح تصور الصور في أحلامنا ويرفض الاعتقاد بأن الأحلام مشتقة من الملائكة أو الشياطين، ويخلق تفسيرًا لتأثير أن الصور التي تم التقاطها بواسطة الحواس والتي طورها الفكر تعود في أحلامنا، من التركيب الداخلي للعناصر الحسية، يتم التقاطها كما لو كانت في الواقع. الخارجي.

أحد الجوانب التي أكدها بوجهٍ خاص كطبيب جيد في العصور الوسطى هو الحفاظ على الصحة من خلال ممارسة الرياضة وأنظمة غذائية مختلفة بناءً على نظرية الأضداد. بالنسبة لأمراض الدماغ، كونه عضوًا "باردًا"، نحتاج في معظم الحالات إلى استعمال شيء له دفء ورائحة. ولكن إذا توصلنا إلى استنتاج مفاده أن الدماغ ينتج فضلات دافئة، فإننا نحتاج إلى إدارة العلاج المعاكس (أي لترطيب الدماغ وتبريده). (سلوم، توفيق 1984، ص89)[8]

## الأخلاق عند ابن رشد

لم يكن لابن رشد مذهب في الأخلاق قائم بذاته، ولم يشأ أن يتخذ آداب أرسطو لأنها لا توافق العرب، ولكن أبحاثه العقلية أدت به إلى مناقشة المتكلمين في أساس الأخلاق وهو الخير والشر. قال: يقول علماء الكلام إن الخير بما يريده الله وإنه تعالى لا يريد الخير لسبب قائم بذاته، سابق لإرادته، بل لمجرد إرادته. وإنه تعالى قادر على الجمع بين المتناقضات، وإنه يدبر الكون بغير قيد ولا شرط بل بحرية مطلقة.

[8] سلوم، توفيق (1984) معجم علم الأخلاق، دار التقدم، موسكو

ولا يخفى ما في هذا الرأي من الخطأ لأنه يقلب نظام الكون وينقض مذهب العدل الإلهي. ثم انتقل ابن رشد إلى نظرية الحرية فقال: إن الإنسان ليس حرًّا على الإطلاق ولا مطلقًا بغير قيد؛ أي إنه ليس مخيرًا وليس مسيرًا، وإن الحرية تكمل في نفس الإنسان ولكنها تبقى محدودة بقضاء الأحوال الخارجة. فالعلة المؤثرة في أعمالنا كائنة فينا أما العلة العرضية فخارجة عنا؛ لأن ما يجذبنا مستقل عنا وناشئ عن قوانين طبيعية؛ أي عن العناية الإلهية. لأجل هذا وردت في القرآن آيات تصف الإنسان تارة بالحرية وطورًا بالجبرية وتارة بالتحكم في أعماله، وهي حال وسط بين الأولى والثانية، وقد أوضح ابن رشد هذا المذهب الوسط بين الجبرية والقدرية في كتابه «مناهج الملة». يقول ابن رشد إن المادة الأولى قابلة للتشكل بالمتناقضات كذلك للنفس قوة تقرير مصيرها حيال مختلف الشئون، فهي بذلك حرة. ولكن ليست حريتها تابعة لهواها ولا حادثة عرضًا؛ لأن القوى الفعالة في الكون مسؤولة عن نظامه، وليست خلتها عدم المبالاة بسير الأمور. والمصادفات لا وجود لها في عالم المؤثرات.واعتبر ابن رشد أن هدف الحياة البشرية هو السعادة (حوراني 1962). بالنسبة للناس العاديين، فإن القرآن هو المرشد النهائي للسعادة، والذي يُظهر الحكمة الخارقة في القواعد التي يضعها لتعزيز ازدهار الإنسان. لكن السعادة البشرية القصوى، لأولئك القادرين عليها، هي أن تصبح مثاليًا في العلوم النظرية، يصل هذا الكمال عندما ينضم البشر إلى العقل الفاعل المنفصل، أي إنهم ينتقلون من تصور جزئي للأشياء المعقولة إلى تصور للعقل الفاعل نفسه. عند هذه النقطة، يأخذ الإنسان بمعنى ما الوجود الأبدي ويصنع مثل الله، وحتى "يصبح واحدًا من الأبدية.

إن الفهم التام والمترابط للعلوم النظرية يحمل في طياته بالضرورة الامتلاك الكامل للفضائل الأخلاقية. سيكون الشخص الذي يتملكه مثاليًا في كل من الفهم الفكري و "النشاط المناسب له إذا لم يكن هذا النوع من التميز الأخلاقي معروضًا كثيرًا لدى أولئك الذين نراهم يقدمون أكبر ادعاءات لامتلاك العلم، فإن هذا يشهد فقط على فقر إنجازاتهم، لكن الكمال الذي وصفه ابن رشد، من خلال الاقتران بالعقل الفاعل، يبدو أنه يستلزم شيئًا آخر غير الخلود الشخصي. لأنه يرفض صراحة، ضد الغزالي، تأييد القيامة الجسدية التناقض، ومع ذلك فهو يصر أيضًا على أن

النفس البشرية متفردة بحكم جسدها. لذلك، كما يستنتج صراحةً، "إذا لم تَمُتِ الروح عند موت الجسد، أو إذا كان هناك أي شيء من هذا النوع داخل الروح، فيجب أن تكون، بمجرد ترك الجسد، واحدة في العدد" (عدم الترابط لذا –على الرغم من عدم إجماع العلماء على هذه النقطة– يبدو أن ابن رشد، مهما كان قد فكر في الاقتران، لم يقصد أن يمتد الوعد بخلود الروح إلى كل واحد منا كأفراد)

تمامًا كما يهدف الجزء النظري من الطب إلى العمل الأكثر عملية المتمثل في الحفاظ على الصحة وعلاج الأمراض، كذلك في المجال السياسي، يكون للجزء الأول نهايته كمال الجزء الثاني. وهذا يعني أن الهدف من البحث الأخلاقي هو في نهاية المطاف "إدارة المدن "هذا المفهوم الأداتي للأخلاق يبدو غريباً من منظور الفلسفة الأوربية اللاحقة، لكنه ما أكده أرسطو نفسه صراحةً في وهو يُماشي جيدًا تَوجُّهَ ابن رشد بعيدًا عن البشر الفرديين باعتباره الموضع النهائي للقيمة في الكون.

## نظرة ابن رشد في العقل

غير أن ابن رشد امتاز بمذهبه في العقل، وقد قال فيه قولًا اهتز له علماء اللاهوت في القرن الثالث عشر المسيحي، فإنه لما أخذ يشرح رأي أرسطو في العقل الفعال أو المؤثر والعقل المتأثر أو المتلقي، بدأ بالرد على آراء الشراح السالفين وبُطلنها وزيفها، وقرر أنه استخرج رأي أرسطو على حقيقته دونهم، وأنهم لم يدركوه ولم يبلغوا شأوه، وهاك رأيه ملخصًا بإيجاز عن مقالته «في النفس» المحفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس: إن القوة التي تتلقى المعقولات لا تتأثر بها ولا تنفعل بتأثير، سوى تأثير الإدراك، وهذه القوة تعادل قوة الشيء المُدْرَك ويمكن تصورها بطريق القياس. وقوة المعقولات كالحس للمحسوسات مع فارق وهو أن القوة التي تتأثر بالمحسوسات تخالطها نوعًا. (Puig Montada, Josep, 1999)[9]

[9] Puig Montada, Josep, 1999, "Zur Bewegungsdefinition im VIII. Buch der Physik", in *Averroes and the Aristotelian Tradition: Sources, Constitution and Reception of the Philosophy of Ibn Rushd (1126–1198), Proceedings of the Fourth Symposium*

أما قوة المعقولات فخالصة مطلقًا شريفة بذاتها منزهة عن الاختلاط بالصورة، ومما لا بد من بيانه أن هذه القوة وهي العقل الهيولي، لما كانت تدرك كافة المعقولات وتلم بجميع الصور، فلا يجوز أن تمازج الصور والأشكال؛ لئلا تمنعها إحدى الصور التي تخالطها عن إدراك غيرها من الصور، أو يؤدي التمازج إلى تغير الصور المدْرَكة، فإذا تغيرت تلك الصور اضطرب التعقل، وفقد العقل الهيولي قوته التي أصلها إدراك الصور على حقيقتها، وتحولت طبيعته وهي الإلمام بالأشكال بغير تغير طبيعتها.

لهذا تقضي الضرورة ببقاء العقل قوة قائمة خالصة من شوائب الاختلاط طاهرة من أدران الامتزاج بالأشكال. فإذا تقرر ذلك، ثبت أن طبيعة العقل لا تكون إلا سجية بسيطة غير مركبة، وما العقل بعنصر محتاج إلى الترتيب، إنما هو الترتيب بذاته والنظام بعينه. والعقل في القوة يقابله العقل الهيولي، والهيولي إما مكون من مادة مصورة وإما بسيط فهو المادة الأولى.

هذا هو معنى العقل المتأثر الذي وضعه أرسطو وشرحه إسكندر فردوسي، ثم قال ابن رشد أن العقل أو الهيولي لا يخالط قوى النفس الأخرى، وهو عبارة عن استعداد ذي مادة منفصلة عما عداها من القوى، ويقول ابن رشد إن العقل سجية أو استعداد بغير صور هيولية، وهو كذلك مادة منفصلة محلاة بهذا الاستعداد؛ لأن الاستعداد القائم بالإنسان يجوز اتصاله بالمادة المنفصلة لأنها لاصقة بالإنسان، أما الاستعداد فليس ملازمًا لطبيعة المادة المنفصلة كما ظن الشراح، وليست استعدادًا صافيًا كما ظن إسكندر بمفرده.

ومما يدل على أن الاستعداد ليس خالصًا بذاته كون العقل الهيولي يدرك هذا الاستعداد بدون صور مع إدراك الصور، فيتحتم حينئذ أن يدرك اللاوجود، حيث يمكنه إدراك ذاته بغير صور، وينتج عن هذا أن القوة التي تدرك هذا الاستعداد والصور التي تطرأ عليه تكون حتمًا خارجة عنه، ويظهر من هذا جليًّا أن العقل الهيولي هو شيء مركب ومكون من الاستعداد القائم بالإنسان، ومن عقل يضيف ذاته إلى هذا الاستعداد ويبقى مستعدًا بالقوة لا بالفعل، وهذا العقل هو العقل الفعال بذاته، وما دام فعالًا بالقوة فهو عاجز عن إدراك ذاته، وقادر على إدراك ما

عداه؛ أي الموجودات الهيولية، وإذا ما انفصل عن الاستعداد صار عقلًا بالفعل مدركًا ذاته دون ما كان خارجًا عنه من الهيوليات، ولما كان في النفس وظيفتان: الأولى صنع الصور المعقولة، والثانية تلقِّيها، فما دام العقل يصنع صورًا معقولة فهو عقل فعال، وما دام يتلقاها فهو متأثر، وما هاتان الوظيفتان المتعددتان في الظاهر إلا وظيفة واحدة في الحقيقة.

لقد قسم ابن رشد قوى النفس وبيَّن علاقتها ببعضها، ثم أوجب الارتباط بين العقل المنفصل الفعَّال وبين العقل الهيولي كارتباط المادة بالصور، وقال إن العقل بالملكة يدرك العقل الفعَّال العام، وإن العكس مستحيل؛ لأن العقل الفعال العام لو أدرك العقل بالملكة أي العقل الإنساني لطرأ عليه حادث، وحيث إن العقل الفعال العام مادة أبدية وليست عرضة للطوارئ، فالعقل الإنساني هو الذي يدرك العقل العام؛ أي إنه يرفع ذاته إلى العقل العام ويتحد به مع كونه قابلًا للفناء ومع بقائه كذلك، فيتولد منه استعداد جديد يمكنه من إدراك العقل العام، ومثل العقل العام كالنار والعقل الإنساني هشيم يشتعل ويتحول لهبًا بقربه من النار، وهذا هو الاتصال المباشر. وقد يكون الاتصال بالعقل المستفاد أو المنبثق، وتكلم في إمكان الاتصال بالعقل العام وهو أقصى درجات الكمال، فقال إنه يختلف باختلاف الأفراد، ومرجعه ثلاث قوى: الأولى قوة العقل الهيولي الأصيل وأساسها قوة الخيال، الثانية كمال العقل بالملكة، ويقتضي بذل جهود في التفكير، الثالثة الإلهام وهو معونة ربانية تصدر من فضل الله، جعلها ابن باجه شرطًا أساسيًّا للاتصال، فإذا ما تَوفَّرت للفرد تلك المواهب الثلاث وهيأته العناية للوصول، خفيت ذاتية المتصل والعقل الفعال ذاته ينمحي لدى اتصاله بالله الموجود الحق الفرد الذي له الوحدانية المطلقة، وكذلك تنمحي سائر صفات النفس كما تلتهم النار مستصغر اللهب.

تقدم ابن رشد لأنه بحق أفضل من شراح اليونان أمثال إسكندر فردوسي، فإنه ينسب إلى أرسطو القول بأن العقل حالة استعدادية للتلقي، والحقيقة هي التي قال بها ابن رشد، وهي أن أرسطو قال بأن العقل كائن مستعد للتلقي. ويقيم ابن رشد الحجة على إسكندر ويجادله جدلًا عنيفًا في كتبه، وينسب إليه التقصير والقصور عن إدراك حقيقة آراء أرسطو، ويخطئه بجرأة

المفكر الواثق من نفسه، والحقيقة هي التي قال بها ابن رشد وأيده فيها بقية الفلاسفة. (منصور، محمد 2001، ص65)[10]

## فلسفته السياسية والاجتماعية

لم يدرك ابن رشد أن جمهورية أفلاطون كتاب خيالي وضعه فيلسوف واسع التصور في قالب شعري، أو أدرك تلك الحقيقة، ولكنه استصوب تطبيق مبادئ الجمهورية على الأنظمة الاجتماعية، لأجل هذا كانت فلسفته السياسية مستمدة من هذا الكتاب الجميل، فأشار بوضع السلطة في أيدي الشيوخ، وبتعليم الأمة الفضيلة بقوة الفصاحة والشعر والعبارة، ثم قال إن الشعر في ذاته مضر لا سيما شعر العرب، وقال إن الحكومة الكاملة لا تحتاج إلى قاض ولا طبيب، ولا بد من الجيش لحماية الرعية.

ولما كان مجال الكلام في الجمهورية، على العدل والظلم واسعًا، فقد تناول ابن رشد ذلك وتكلم عن الظلم فقال: إن الظالم هو الذي يحكم الرعية لمصلحته لا لمصلحتها. وأفظع أنواع الظلم ظلم القساوسة، ثم قال إن حكومة العرب القديمة في صدر الإسلام كانت على نظام جمهورية أفلاطون، ولكن معاوية هدم نظامها وأتلف جمالها بأن خلع سلفه ثم أسس دولة استبدادية، وكان من نتيجة ذلك، تقوض أركان دولة الإسلام وحدوث الفوضى في سائر بلاده ومنها بلاد أندلس. وتكلم عن المرأة فقال إنها تقل عن الرجل في الدرجة لا في الطبيعة: أي كمية لا نوعًا، فهي قادرة على ممارسة أعمال الرجال مثل الحرب والفلسفة. ولكن بدرجة أقل من الرجل، وقد تَفُوْقُه في بعض الفنون مثل الموسيقا، ويحسن وضع الأنغام بواسطة الرجال وتوقيعها بواسطة النساء، وقال لا بأس إذا حكمن الجمهورية؛ فهن صالحات للحرب وضرب أمثالًا بنساء أفريقيا وقال: «إن إناث الكلاب تحرس القطيع مثل ذكورها».

[10] منصور، محمد (2001) موسوعة أعلام الفلسفة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

ثم قال ابن رشد قولًا — كأن نفسه أوحت به إلى قاسم أمين بعد موته بنحو تسعمائة سنة — قال: إن حالتنا الاجتماعية لا تؤهلنا للإحاطة بكل ما يعود علينا من منافع المرأة، فهي في الظاهر صالحة للحمل والحضانة فقط، وما ذلك إلا لأن حال العبودية التي أنشأنا عليها نساءنا أتلفت مواهبها العظمى، وقضت على اقتدارها العقلي، فلذا لا نرى بين ظهرانينا امرأة ذات فضائل أو على خلق عظيم. وحياتهن تنقضي كما تنقضي حياة النبات. فهن عالة على أزواجهن، وقد كان ذلك سببًا في شقاء المدن وهلاكها بؤسًا لأن عدد النساء يربو على عدد الرجال ضعفين، فهن ثلثا مجموع السكان، ولكنهن يعشن كالحيوان الطفيلي على جسم الثلث الباقي بعجزهن عن تحصيل قوتهن الضروري.

وقد دام الجدال بين علماء اللاهوت وبين أنصار ابن رشد من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر، إلى أن اضطر البابليون العاشر إلى تكفيرهم بمنشور بابوي إذا هم أصروا على القول برأي ابن رشد، على أن ابن رشد الذي كفَّر البابا أتباعه لم يكن كافرًا بل كان مؤمنًا فقد نصح الناس بطاعة الدين في الصبا واحترامه في الشيخوخة.

وقد حاول ما حاوله الفارابي من قبل وهو الجمع بين الدين والفلسفة، فألف في ذلك كتابي فصل المقال ومناهج الأدلة، وقد بلغ ابن رشد بالفلسفة العربية أقصى ما يمكن الوصول إليه، وفسر أرسطو بما لا غاية وراءه. وكان آخر فلاسفة العرب وقد تركت تعاليمه أثرًا عظيمًا لدى اليهود والنصارى، وربما كان هذا الأثر أعظم من أثرها في قومه!

## حرية التفكير عند ابن رشد

كتب الأستاذ لويجي رينالدي في بحث «المدنية العربية في الغرب» قال:

ومن فضل العرب علينا أنهم هم الذين عرفونا بكثير من فلاسفة اليونان، وكانت لهم الأيدي البيضاء على النهضة الفلسفية عند المسيحيين. وكان الفيلسوف ابن رشد أكبر مترجم وشارح لنظريات أرسطاطليس، ولذلك كان له مقام جليل عند المسلمين والمسيحيين على السواء. ولا ننسى أن ابن رشد هذا هو مبتدع مذهب «الفكر الحر»، وهو الذي كان يتعشق الفلسفة ويهيم

بالعلم ويدين بهما، وكان يعلمهما لتلاميذه بشغف وولع شديدين، وهو الذي قال عند موته كلمته المأثورة: «تموت روحي بموت الفلسفة».

وكتب قبله المفكر الإنكليزي جون روبرتسون في «تاريخ وجيز للفكر الحر» (ج١ ص٢٧٧) قال ما نصه:

إن ابن رشد أشهر مفكر مسلم؛ لأنه كان أعظم المفكرين المسلمين أثرًا وأبعدهم نفوذًا في الفكر الأوربي، فكانت طريقته في شرح أرسطو هي المثلى في القرون الوسطى، وقد ظهر فضله بشرح نص السيانتزم (ألوهية العالم)، الذي يؤيد أزلية الكون المادي، ويقول بأن النفس الفارقة تخلق من النفس العامة وتعود إليها فتتلاشى فيها، فجعل شرح هذا المذهب لابن رشد شأنًا كبيرًا في عالمي الفكر المسيحي والإسلامي. (الكاتب، حسان بدر الدين1971)[11]

وقد انشق على مذهب الزهد والتصوف الذي نشره ابن باجه وابن طفيل، وحارب الغزالي في آرائه الدينية المخالفة للعقل، وأفرد لذلك كتاب «تهافت التهافت» ردًّا على «تهافت الفلاسفة». فأثبت ابن رشد بكتبه أنه أقل فلاسفة الإسلام تصوفًا وأكثرهم تأييدًا للعقل، وهو يعارض وجهة النظر الدينية في كل رأي جوهري، فأنكر بعث الأجساد، وعدَّ القول ببعث الجسد خرافة، وشأنه في ذلك شأن من سبقه من المعطلين، وبحث مسألة «الخيار» بحثًا يكاد يكون علميًّا، وعارض في ذلك مذهب المتكلمين المتلف للأخلاق؛ لأنهم قالوا بأن إرادة الله هي مقياس الحق ولا مقياس سواها، وكانوا جبرية. وكذلك عارض ابن رشد مذهب القدرية.

وقد أدرك ابن رشد ما بين مذهبه وبين العقائد الشائعة من العداء، وفطن إلى الأفكار التي تتهدده إذا لم يصانع في بعض الأمور، فحاول استرضاء أهل الشريعة ببعض كتب ألفها وجعل نفسه أوسع صدرًا من ابن طفيل، فقال بأن الإسلام أكمل نظام قومي، وأصلح ملة للشعوب. وهو

[11] الكاتب، حسان بدر الدين(1971) الموسوعة الموجزة، الجزء الأول، دمشق.

واضع مذهب الحقيقة المزدوجة أي حقيقة العلم أو الفلسفة وحقيقة الدين، وكان لهذا المذهب شأن يذكر في مباحث المسيحية عدة قرون.

وقد تكلم في كتابيه «فصل المقال» و«مناهج الأدلة» بلهجة الرجل المحافظ على العقائد وحامي ذمار الظاهر من أمور الشرع. وقال إن العاقل لا ينطق بكلمة ضد العقيدة السائدة، وإن الملحد الذي يطعن في الدين يستحق الموت؛ لأنه يهدم كيان الفضيلة القومية. وقال إن مذهب خلق العالم مخالف للعقل، ولكن الفضل في بقائه للعادة، وإن المتدين لا يكفيه الإيمان؛ لأن المؤمن بغير علم ينقلب زنديقًا إذا بحث واستقصى.

ولكن ابن رشد كان يعيش في عهد انحطاط المعرفة وانتعاش التعصب، فلم ينفعه ظهوره بالتقوى ولم يحفظه من الاضطهاد، فنكل به الخليفة الذي كان يبجله، وجريمته في نظره نشر آراء القدماء وبها ضرر الإسلام. وقد حرِّم النظر في كتب اليونان وفلسفتهم، وأتلفت جميع الكتب التي كانت تبحث فيها، ومات ابن رشد في مراكش سنة 1198، ولم يطل عهد العرب في الأندلس بعده، فلما أفل نجم سعدهم كان الدين قد حل محل الفلسفة، وبذا دللت دولة الأندلس في جو من التقوى.(فروخ، عمر 1965، ص143)[12]

## ثمار الفلسفة الرشدية في أوربا وتأثيرها

كان تأثير الفيلسوف العربي أبو الوليد ابن رشد الأندلسي (1126 –1198) كبيرًا على الغرب، حيث لاقت شروحاته لأهم الفلاسفة الإغريق مثل أرسطو وأفلاطون، اهتمام الفلاسفة الغربيين الذين كانوا يبحثون آنذاك عن الفكر العقلاني الحر ليواجهوا به المد اللاهوتي المسيحي المهيمن على كامل الحياة السياسية والاجتماعية في بلادهم، في العصور الوسطى المظلمة. وكان رجال الدين المسيحي يدعون لمحاربة الفلسفة والمنطق في ذلك الوقت، ويحرمون الاطلاع عليها

[12] فروخ، عمر (1965) الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة الفلسفية المختصرة وتاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، القاهرة.

باعتبارها تدعو للكفر والإلحاد حسب رأيهم، وفِي اللحظة التي إنتبه فيها الغرب الى الفكر الرشدي وأقبلوا عليه، وهي نفس اللحظة التي كانت الحضارة العربية فيها تقترب من الأفول تصدى الفقهاء الأصوليون لفكر ابن رشد وكفروه وأحرقوا كتبه، ولولا أن كتب ابن رشد كانت مترجمة الى اللغة اللاتينية، لاختفى الكثير من تراثنا الفكري الذي يُرسِخُ العقل والمنطق والتفكير الحر، وقد خالف ابن رشد الفقهاء العرب والمسلمين الذين كانوا يحرمون الأخذ بثقافة وعلوم الأمم الأخرى آنذاك، فدعى الى إجازة الاستفادة من علوم الأمم الأخرى المتقدمة كالإغريق، وعزز هذا الرأي بالمنطق، وبالشريعة وهو الفقيه الفيلسوف، وكان الغرب في تلك اللحظة ينهل من الفكر الرشدي في السياسة والأخلاق والفلسفة، فيما كان الفقهاء الأصوليون العرب والمسلمون يزعمون أن فكر إبن رشد يُضلِّل الناس ويبطل المعتقدات الدينية.

عُرِف ابن رشد في الغرب بتعليقاته وشروحه لفلسفة وكتابات أرسطو التي لم تكن متاحة لفلاسفة الغرب باللغة اللاتينية السائدة في بلدانهم في العصور الوسطى. وقبل عام 1100م كان عدد قليل من كتب أرسطو في المنطق هي التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية على يد الفيلسوف المسيحي بوتيوس. وبعد أن انتشرت الترجمات اللاتينية للأعمال الأخرى لأرسطو من اليونانية والعربية في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، أصبح أرسطو أكثر تأثيراً في الفلسفة الأوربية المحدثة في ذلك الوقت.

وقد أسهمت شروح ابن رشد التي ترجمت الى اللاتينية في الغرب، في ازدياد تأثير أرسطو في بلدانهم. كان تأثير ابن رشد واضحاً على الفلاسفة المسيحيين من أمثال توما الأكويني، والفلاسفة اليهود من أمثال موسى بن ميمون وجرسونيدوس. وعلى الرغم من ردود الفعل السلبية من رجال الدين اليهودي والمسيحي على كتابات ابن رشد إلا أنها كانت تدرس في جامعة باريس وجامعات العصور الوسطى الأخرى .وظلت المدرسة الرشدية هي الفكر المهيمن في أوربا حتى القرن السادس عشر الميلادي. وقد قدم كتاب ابن رشد المشهور (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) تبريراً لتحرير العلم والفلسفة من اللاهوت، ومن ثَمّ اعتبرت الفلسفة

الرشدية التي انتشرت في الغرب تمهيداً للعلمانية الحديثة. ونتيجة لتأثير ابن رشد الواسع في الغرب أصبح له أنصار ومريدون سُمُّوا بالرشديين. إذن ليس صحيحاً ما ادعاه الكثير من الباحثين الغربيين المعاصرين أن الغرب نهض بذاته دون معونة أو تأثير من الثقافة العربية، وأن الغربيين اعتمدوا في نهضتهم بعد القرون المظلمة على التراث الإغريقي والروماني الذي وجدوا مخطوطاته في الأديرة، مع أن الكثير من المؤرخين والباحثين الغربيين يخالفون هذا الرأي ويؤكدون أن الغرب مدين في نهضته للعرب وتراثهم العلمي والفلسفي. ويتساءل الباحث الغربي كورد دبيبوف ويقول: إذا كان هذا الزعم صحيحا إذن ما معنى وجود ابن رشد في جدارية مدرسة أثينا (وهي جدارية مشهورة للفنان الإيطالي رافائيل رسمها في بداية القرن السادس عشر وهي تمثل كبار الفلاسفة وهم يتحاورون في الفلسفة ومن بينهم ابن رشد)، جنبا الى جنب مع فلاسفة الإغريق مثل سقراط وأفلاطون وأبيقور؟ ولم يضع الشاعر الإيطالي الشهير دانتي (القرن الرابع عشر) ابن رشد في ديوانه الشعري (الكوميديا الإلهية) مع أرسطو وأفلاطون وفلاسفة الإغريق العظام.

إن تأثير ابن رشد الفلسفي يبدو جليا الى الحد الذي لا يمكن إخفاؤه. وللأسف الشديد فإن محاربة ابن رشد من أبناء جلدته كانت وبالاً على الأمة العربية والإسلامية، فلو أخذ العرب أفكار ابن رشد منذ القرن الثاني عشر ميلادي لتغير التاريخ العربي برمته، ولكنا متقدمين كما تقدم الغرب. ويذكر الباحث راكون أن سقوط الأندلس كان يوم أحرقت كتب ابن رشد، ونهوض أوربا كان يوم احتفى الغرب بكتب ابن رشد فيا للمفارقة، وهل يعاد الاعتبار لهذا الفيلسوف الذي أهملت كتبه وأفكاره قروناً طويلة؟ ليس غريباً إذن أن يلتفت الباحثون العرب هذه الأيام لابن رشد لبناء نهضة جديدة، فما زالت أفكاره صالحة ومتقدمة على الفكر السائد في الوطن العربي.

في أواخر القرن الثاني عشر ظهر في مقاطعة بريتانيا بفرنسا مفكر مصلح اسمه أموري البنياوي، وصاحبه داود الدنيانتي، فخالفا تعاليم الكنيسة واستجلبا سخطها، فحوكم أتباعهما وعوقبوا بالإحراق أحياء، أما المصلحان فقد فرا طلبًا للنجاة، ولكن يد الكنيسة في القرون الوسطى

كانت طولى، وكان صبرها أطول، فإنها ترقبت موتهما ونبشت قبرهما وأحرقت رفاتهما ليكونا عبرة للمؤمنين!

وقد ظهر للكنيسة أن سبب هذا البلاء فلسفة أرسطو كما شرحها ابن رشد، فاجتمع في باريس مجمع ديني علمي (سنة 1209) وحظر درس الفلسفة الأرسطية والشروح الرشدية، فحرمت أولًا الطبيعيات، ثم كتب ما بعد الطبيعة، وقد استمر هذا المنع ثلاثين عامًا.

وفي سنة 1269 حمل أسقف باريس حملة كبرى على الفلسفة في شخص ابن رشد، وخص باللعن والتكفير المبادئ الآتية: (1) أزلية العالم. (2) إنكار آدم. (3) وحدة العقل الإنساني. (4) القول بأن العقل، وهو شكل الإنساني ومهيئ ذاته، يهلك مع البدن. (5) في أن أفعال البشر خارجة عن حكم العناية. (6) أن العناية عاجزة عن تخليد ما مآله للفناء، وصيانة ما مآله للفساد.

ولما كانت كتب ابن رشد الطبية انتشرت من جنوب فرنسا إلى شمال إيطاليا، فقد ذاعت أيضًا فيها تعاليمه الفلسفية، ومال الأطباء الذين تعلموا منها إلى حرية الفكر وأخذوا بفلسفته، وأشهر من نذكر من علماء هذا البلد جاتياد السيناوي، الذي بدأ بدرس الشرح الكبير سنة 1436 وأوعز بطبعه سنة 1476. وقد خلفه في منصب تدريس الفلسفة سينكوفرنياس، ولم يبال هذان الحكيمان بالاعتراض، بل نشرا مذهب «روح العالم» على ما فيه من مخالفة الدين المسيحي في عقيدة الخلود، وقد ازداد النقد وانقلب سخطًا إذ نشر تلميذهما نينو كتابه في العقل.

ولابن رشد فضل لا ينكر على روجير بيكون الفيلسوف الشهير، فقد استفاد من كتبه وحيًا واستنزل من حكمته إلهامًا، وذكره في كتابه اللاتيني «أبوس ماجوس» وأثنى عليه وعلى مواهبه وسعة علمه، وقال: «إنه فيلسوف متين متعمق، صحح كثيرًا من أغلاط الفكر الإنساني، وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة لا يستغنى عنها بسواها، وأدرك كثيرًا مما لم يكن قبله معلومًا لأحد، وأزال الغموض من كثير من الكتب التي تناولها ببحثه».

أما توماس أكويناس الشهير (1225–1274) الذي صار قديسًا لأنه كان أعظم لاهوتي في كنائس الغرب وأكبر فلاسفة القرون الوسطى، فقد علا نجمه بكتابه إجمال اللاهوت «سوماتيولوجيا»، وقد وصف الله فيه بالطبيعة الفعالة. وذكر القديس توماس أسباب اتصاله بالأفكار الدنيوية، ودل على أن الفضل في وضع كتابه شكلًا ومادة يرجع إلى طريقة ابن رشد وفلسفته، وهو في الظاهر يفندها وينتقدها، ولكنه كلما حاول الوصول بالفكر إلى إحدى نتائج الحكمة قرر مبدأ التعدد الذي أساسه أزلية المادة، مستمدًّا ذلك من ابن رشد وأرسطو.

وممن تعذب في سبيل ابن رشد هرمان فان ريزويك الكاهن الهولندي الذي أحرق بتهمة الهرطقة في لاهاي في سنة ١٥١٢، وقد حَبَسُوه وحكموا بإحراقه وأحرق فعلًا. وقد قال في ذلك اليوم جملة هي سبب هذا الاستشهاد الطويل وهي: «إن أعلم العلماء أرسطو وشارحه ابن رشد، وهما أقرب إلى الحقيقة. بهما اهتديت وبفضلهما رأيت النور». (منصور، محمد 2001، ص234–345)[13]

[13] منصور، محمد (2001) موسوعة أعلام الفلسفة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

## ملاحظات ختامية

تذهب فلسفة ابن رشد الطبيعية إلى ما هو أبعد من إعادة صياغة نصوص أرسطو. إنه يردد صدى مناقشات المعلقين اليونانيين والفلاسفة العرب حول القضايا الرئيسية. فضلًا على ذلك، واجه في حياته تحدي الفقهاء وعلماء الدين الأشاعرة. بادئ ذي بدء، كان على ابن رشد أن يشرعن دراسة الفلسفة واتساق مذاهبها. يجب أن تُفهم مقدمته ليس فقط على أنها مخطط لمذهبه في العلوم الطبيعية ولكن أيضًا كدفاع عن الفلسفة: الفلسفة تمنح الإنسان كماله الفكري، والسعادة الحقيقية.

غالبًا ما تستجيب آراء ابن رشد للمعالجة الجدلية للموضوع. تتعامل فلسفة أرسطو الطبيعية مع الموضوع الرئيسي أو المادة الأولى كأحد موضوعيها الرئيسيين، والمحرك الأول هو الآخر. إن وجود المادة الأولية هو أصل الصراع مع اللاهوتيين الأشاعرة الذين يؤكدون التغييرات من موضوع غير موجود، ويمكن أن يعتمد ابن رشد على أرسطو لتوبيخهم.

لم ير ابن سينا نفسه في دين أرسطو وعلمه عن الأمور الإلهية، الذي يمكن ترجمته على أنه ميتافيزيقيا، احتوى على عقيدة أصلية عن الوجود. خصص ابن سينا دورًا للميتافيزيقي في إثبات وجود الطبيعة أو تكوين المادة والشكل في الأجساد، ولم يعترف ابن رشد بهذا الدور. تظهر علاقة ابن رشد المتوترة مع ابن سينا أيضًا في خلافهما حول وجود الشكل المادي، أو على مدى الضرورة في الطبيعة.

إن تعريف الحركة أو التغيير هو بلا شك أحد القضايا الرئيسية التي ناقشها ابن رشد. قرر ابن رشد أن الحركة هي حالة غير مكتملة لكل فئة من فئات الجوهر والنوعية والكم والمكان، وليس كفئة في حد ذاتها ويمهد الطريق لنظرية الحركة في العصور الوسطى.